... نواس ... عرق ...

قلت هكذا وجدت هذين البيتين منسوبين الى ابي العواد ... [illegible]

بعض الفضلاء بن عيسى وذكر ذلك جماعة من الادباء في مجاميعهم وفي ... [illegible]

ثم نظرت في كتاب معجم الشعراء تأليف المرزباني فوجدت في ترجمة ابي ...

الاعمى واسمه معاوية بن سفيان وبيتين وهو راوية بغدادي احد غلمان الكسائي

البيتين في الحسن بن سهل يؤدب اولاده فحجب عليه فخرج فقال يهجوه

لا تحمدن حسناً في الجود ان مطرت ... كفاه غزراً ولا تذممه ان زنتا

فليس يمنع ابقاء على نشب ... ولا يجود لفضل الحمد مغتنما

لكنها خطرات من وساوسه ... يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرما

والله اعلم بذلك وقد تقدم الكلام على الجاحظ وطرخان بفتح الطاء

المهملة والباء الموحدة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وكذلك ...

تقدم في اول الترجمة الكلام على سبب هذه النسبة ...

نقلاً عن وفيات الاعيان لابن خلكان —

في منتصف ليلة الحادي والعشرين من اول الرحيم

٢٣ ... ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين
هذه رسائل الاستاد ابى بكر الخوارزمى رحمه الله تعالى

كتب بها الى الحاجب ابى اسحاق لما نكبه الوزير ابن عباد رحمه الله تع

وفقك الله فى مراجعة الحق لما تستحق به انتهاء محنتك، والهمك فى استيفاء شرائط التوبة ما يطرق لك النهوض من صرعتك، ولا خاصك الله مما انت فيه من جناية غيرك عليك، حتى يخلصك مما كنت فيه من اساءة نفسك اليك، فان نفسك اعظم خصميك، وان كانت اصغرهما لديك، وقد مثلت يدك الله بين ان احوشك كلامى، وافوق نحوك سهامى، واقضى بذلك حق عظتك، واخرج من عهدة ما يلزمنى فى هدايتك، وبين ان اليس قولى الذى تبقى فى نفسى حاجة من نصيحتك، فرايت الاول على اوجب والى الصواب اقرب، وانا اقول:

اخوك الذى ان اجرضتك ملمة ❦ من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما،

ولا اقول، وليس اخوك بالذى ان تشعبت ❦ عليك امور ظل يلحاك لائما،

اصاب المرقش ايدك الله فى بيت لواجم، ولم يصب فى بيت اللائم، وكيف يمكن الطريق لرشده فى غده، دون ان يلام على غيه فى امسه، وكيف يتوصل الى تحسين الصواب الآنف، الا بتقبيح الخطاء السالف، وكيف لا يلام المسيء والنهى عما بعد يقتضى اللوم على قبل، وكما لا بد فى الكلام من الاثبات والنفى، كذلك لا بد فى العظة والنصيحة من الامر والنهى، فاللوم اذا على هذه القضية اجدر اذ كانت النصيحة التى عليها قامت، وبها استقامت، وهل يلوم المرء الا اخوانه

الاقارب، وهل يرخى له عنان العذال وينجوز معه في اللوم الامعارفة الاجانب واذا فرغت للحق زاوية من قلبك وحكمت على هواك لعقلك، علمت ان ماتكره فيما تحب خير لك مما تحب فيما تكره، وان دواء تستبشعه وفيه شفاؤك خير من غذاء تستلذه وفيه داؤك، ولئن كان ظاهر كلامي يلدغك فان باطنه لينفعك، وانت ايدك الله تعلم انك كنت من الذل في مكان يتخطاك فيه الناظر ويدوسك الخف والحافر لا يشرفك نسب، ولا يرفعك ادب، ولا يرجوك صديقك، ولا يخافك عدوك، عن يمينك الخمول وعن يسارك الذبول وبينهما الفقر الذي لو قسم على الاغنياء لصاروا فقراء، والضعف الذي لو فرق على الاقوياء لعادوا ضعفاء، تصبح في قلة وتمسي في ذلة وتروح الى انثى وتغدو الى طفل، فانصفك الدهر الظالم، وانتبه لك البخت النائم، واراد الله تعالى ان يرفع من حكمتك ويقوم من قبو رحدبتك، فينظر كيف تعملون والله يعلم ما تبدون وما تكتمون، فاتصلت من لى نعمتك بحبل لو اتصل به الادبار لتقدم الاقبال ولو خدمه النقص لفضل الكمال، ولو تعرف اليه الجماد لنطق بحمده، ولو استجار به امس لما بر لرجع بسعده، فما هو الا ان نسبت اليه وحسبت في آثار يديه، حتى قاتلت الايام بسلاحه، وطرت الى المنى والمطالب بجناحه و حتى طمحت الى امور كنت عنها مطروفا، وخطوت الى اشياء كنت عنها قطوفا،

	يؤثر في قدم الناعل		ومثل الذي نلته حافيا	

وحتى زارك قوم لو زرتهم فيما قبل لطال وقوفك بين الدار والباب، ولكثر ترددك بين الآذن والحجاب، وخدمك اناس ما منهم احد الا وقد لاحظته بعين هائب، ونقلت اليه قدم راغب وراهب، هذا الى استنقاذه لك من الردى، بيد الهدى، واخراجه اياك من ظلمة العمى والتقليد الى نور العدل والتوحيد، فلزمك ولاؤه مرتين، واحاطت برقبتك نعمه من جهتين لانه انقذك من النار كما انقذك من العار، واعتق رقبتك من اسر الضلال كما اعتقها من ذل السؤال، فكانت نعمته عليك مضاعفة، وصنيعته اليك متداخلة، وكل ذلك بعين احسان الله تعالى بمد نفيس احسانه اليك

لتؤدى زكاة الاحسان، وتتمم الصنيعة باليد واللسان، ويريك يقظان
ما لم تحتلم به وسنان، ويزف اليك من ابكار الصنع ما لم تخطبه بهمتك،
ولم تستوجبه بقيمتك، الى ان اصلح عليك الدهر الطالح، وملكك عنان
البخت الجامح، وانت سكران من خمر اليسار والغنى، غريق فى لجج المطالب
المنى، لو طلبت النجم لرقيت اليه بسلم معك، او طرت نحوه بجناح الهوى والاقبال
ستر عيوبك، والامهال يغفر ذنوبك، ولا ستر اكثف من اقبال، ولا شفيع
انجح من اهمال، والدولة تجعل البعيد قريبا، والجد يرى المخطئ مصيبا، و
المجد ود همس بيديه، ما لا يراه المحدود بعينيه، ويتناول قاعدا، ما لا
يتناوله غيره قائما، ولا رسول اسرع من جد هى، ولا مستحث اوحى من يسر بلا
عسر، فلما جازيت النعمة بالكفران، ونسيت هل جزاء الاحسان الا الاحسان
نظرت الايام اليك شزرا، وابدلتك باليسر عسرا، فاصبحت تلك البوارق، و
هى صواعق، واستحالت تلك المواهب وهى مصائب، وتقاضاك دهرك ما
اسلف، واستانف بك خلاف ما سلف، والدهر غريم لا يماطل اذا اقتضى
وحاكم لا يراجع اذا قضى، ومعير اذا لم تحفظ عاريته ارتجع، ومعط اذا
لم تشكر عطيته منع، ومؤدب اذا لم يتعلم منه عاقب، واذا تعلم منه ادب
وهذب، على انى ما رايت معلما احسن تعليما من الزمان، ولا متعلما اسوأ
تعلما من الانسان فها انت قد ذمك حامدك، ورحمك حاسدك، واحتقبت
اوزار الندامة، ورضيت من الغنيمة بالسلامة، وكانت الايام تعد نابك
فاو صد تنافيك، وخلف ليل الشك نهار، ووراء سكر النعمة خمار، فانت
الآن عليل داؤه التوبة، وجريح شفاؤه الرجعة والفيئة، فان قبلت
توبتك فقد انقطعت مدة الداء، وظهرت بركة الدواء وان تكن الاخرى
فربما قد خلف الدواء شاربه، وخان الرجاء صاحبه، فيا طبيب نفسه
ارفق بها، ويا مداوى جراحته الطف لها، واعلم انه قد كان شكر الرخاء، اهون
من مصابرة البلاء، وكان حفظ الصحة ايسر من معالجة العلة، ولو وجدتك العافية
من اكفائها لما طلقتك، ولو رأتك النعمة من نظرائها لما فارقتك، واقل ما كان يجب

لصاحبك عليك ان لا تستعين بنعمته على كفران نعمته ولا تكتب حسنته في جريدة سيئته ولا تسل عليه من لسانك سيف ايذائه صقلته ولا تشرع اليه من كلامك رمح افك قومته

لقد جازيت بالاحسان سوءا … اذا وصبغت عرضك بالسواد
وروحت تسوق عبر الكفر حتى … انخت الشرك في دار الجهاد

فيا ايها الرجل وكلكم ذلك الرجل كم تمتكون حجب العوارف بيد الكفران وكم تصافحون النعم بالبغي والعدوان وكم تفضون ختام العافية بالعذر وكم تسمون الخيرات بقلة الشكر وكم لا تبرزون الصنائع في معرض من حسن الذكر ولا تقلدونها حلية من طيب النشر وكم تتبعون الوفاء بالملق وتنادون على الامانة كاينادى على الثوب الخلق وكم تقبحون في النعم وتحسنون في النقم وكم تجهلون ما عرفه الحطيئة مع خبث مذهبه ولؤم موكبه حيث يقول

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه … لا يذهب العرف بين الله والناس

اعلم ان كفران النعمة لو احله الشرع لحرمه الطبع ولو جاز من طريق الملة والديانة لحظر من طريق المروة والصيانة فان المحسن من الله عينا كالئة للانام وان وراءه من واقية الاحسان ركنا منيعا للايام ومن تقلد نعمة الله من انسان فقد ضمن له عهده وصار في حكم الاحسان عبده واذا خدم غيره وهو حي فقد خان الاول في نعمته وغش الثاني بخدمته وهل يبرأ العليل بين طبيبين وهل يسع الغمد سيفين وهل ينطق لسان واحد بشكرين او يتسع قلب واحد لمحبة اثنين ولهذا الشان طلقت الناس ثلاثا وفارقت المدح بتاتا لما وردت من الوزير على من خدمته غيره تعد كبيرة ليس لها غفران وسيئة لا يمحوها احسان فلما رايته علمت ان الايام قد خبأته لي ذخرا واعدته لي عذرا واراد الله تعالى ان اعاشر الناس حرا وندلا واجوب البلاد حزنا وسهلا حتى ذابجت الآفاق وقلبت الاخلاق وصارت الارض في عيني دارا هجم بي السعد على حسنة الايام وغريبة الانام ونصفة الدهر الظلوم ومكرمة العالم اللئيم فاذا هو ضالة رجائي الحائم وبغية قلبي الهائم فختمت به جريدة المدح والثناء

واغلقت باسمه باب الاستماحة والرجاء، وفتحت له مغاليق فكري، ودفعت اليه مقاليد نظمي ونثري، واقطعته لساني غير منقطع، ووهبت له قلبي غير مرتجع، و نظرت الى ابي الطيب الى تناقض حكمته، وتفاوت طرفي فعلته، حيث قال في سيف الدولة

لا تطلبن كريما بعد رؤيته ... ان الكرام باسخاهم يدا ختموا

وقال في كافور الاخشيدي

قواصد كافور توارك غيره ... ومن قصد البحر استقل السواقيا

فلقد باع من الوفاء علقا خطيرا، واعتاض من الطمع ثمنا يسيرا، وحال ضباب الحرص والرجاء، بينه وبين العهد والوفاء، وكان يضايق نفسه في اختيار المتاع، ويسامحها في اختيار المبتاع، ويخلع خلعة من نظمه تساوي بدرة، على عرض من لا يساوي بعرة، ويزف كريمة من كرائم شعره، الى من لم تقم عنده كريمة، ولم تعرف له قيمة، لو راى الطمع في جحر فارة لدخله، ولو اتاه الدرهم من ست كلب لما غسله، فلاجرم ان الناس كما استحسنوا قوله استقبحوا فعله، وكما اعجبوا بشعره، تعجبوا من عذره، ينكر ثم يشكو، و يمدح ثم يهجو، ويشهد ثم يجرح شهادته، ويعطي ثم يسترجع عطيته، فكم من حر فضله ثم ثلبه، وكم من عرض كساه ثم سلبه، وكم من صفحة اكل منها ثم بصق فيها، ولكن في قميص ابي بكر رجلا اذا اعطى لم يرتجع، واذا طلق لم يراجع، واذا بنى لم يعد على بنائه بالهدم، واذا مدح لم يطأ على عقب مدحه بالذم، واذا طيب فكيه بالمدح للكريم، لم يلطخهما بمدح اللئيم، واذا زوج كرائمه كفوا ا يحجبهن ان يتبرجن الا لديه، ويجليهن غير عينيه، وانما الغدر من اخلاق النساء فمن تعلق بطرف منه فقد رغب بنفسه عن كمال الذكران، وجنح بها الى شق النسوان، وهو اذا مخنث من حيث الخلق، غير مخنث من حيث الخلق، وقد يصلح الانسان خلقه، ولا يمكنه ان يغير خلقه، فالغدر اذا على هذه القضية هو التخنيث الاكبر، والتانيث الاعم الاكثر، والوفا حمية القلب كما ان التوقي من الطعام والشراب حمية الجسم، وثبات الحمية، من قوة الحمية وحفظ العهد من شرائط الرجولية، واني لاعجب ممن يعادي المقبل والله

معه، والايام مدالة، وداعية الجد خلفه وقدامه، وقد رأيت ما صار اليه
مصارع اعداء هذه الدولة، وختمت باحوالها وهذه النعمة، فقد
غمزوا قناتها وقرعوا صفاتها، فاجترموا واصطلموا، فتلك بيوتهم خاوية
بما ظلموا، طافت الايام على الوزير بمناياهم، وبقاء الله تعالى في افناهم، ولم
يزل نقصهم يحارب كماله، وادبارهم يزحف قباله، حتى اجلت معركة العواقب عنه
راضيا وعنهم ساخطين، واقتعت غيرة الايام والليالي عنه قائما وعنهم مصرعين

فلو لم تبق لم تعش البقايا		وفي الماضي لمن بقي اعتبار	

عافاك الله امش مع الدهر كما يمشي، واجر مع الفلك كما يجري، وارفق بمن
رفقت الايام به، وارع لمن رعت السعادة له، ولا تزاحم الفلك الدوار، ولا
تناطح الاقسام والاقدار، ولا تصغر الكبار، ولا تتحكم على الدهر فان الدهر
حاكم لا يحكم عليه، ومسلط لا يؤخذ ما في يديه، وانزل حيث انزلك الاستحقاق
وخذ ما سمحت به لك الارزاق، ولا تجلس على طريق السيل الراغب، ولا تطعن
في نحر القضاء الغالب، ولا تحارب جيش السعد، ولا تطاعن جد الجد
ولا تستسلف اجلك، ولا تتناول ما لم يوضع لك، واحذر قوس الخذلان،
فانما نافذة الرمية، سريعة الرمية، قد والله اوجعت بهذا العتاب قلبك،
وجاوزت بالعقاب ذنبك، ولكني عاتبتك لك، وحاربتك عنك، رجاء
ان ينتفش من هذا الكلام لك، وينحسر ألم وقع هذه السهام بك،
ولولا ذلك، لم اذقك مرارته، ولم اعرض لطيف ما بيني وبينك له، وما اغتنم
لك من الحبس وروعته، ولا من الهوان ولذعته، كما اغتنم من نظر ولي
نعمتك اليك، ووقوع بصره عليك، وقد قعدت تحت عباءة بره، وقابلت
احسانه بكفره، وزرعت منك النعمة في بقعة لم تزد ريعا، ولم تجلب نفعا،
فانا ابكي لك من يوم اطلاقك لا من يوم حبسك، واتفكر في ساعة سعدك
لا في ساعة نحسك، فقد شغلني الخجل عن الوجل، ونسيت بقبح الموقف
الثاني هول الموقف الاول، فلا غضاضة عليك، من امتداد يد الدهر
اليك، فان امير المؤمنين وفعله، لكالدهر لا عار بما صنع الدهر

وكتب الى كثير بن احمد الهارب من الامير ابى الحسن

كتابى الى الشيخ وانا فى خمار شربتى من يد الدهر فقد كانت بشعة المخبر طويلة السكر قليلة النفع كثيرة الضر والحمد لله تعالى على حفظ على الدين وان ذهبت الدنيا وسلى ان صودرت على المال لا على العرض والتقوى وصلى الله على محمد خير الورى خرجت ايها الشيخ من نيسابور وانا زاملة شكر وثناء وحمال مدح ودعاء وقتيل خجل وحياء اذا تفكرت فى كثرة اعدائى وقلة شفعائى وفى ضعف اعوانى وقوة خصمائى ثم نظرت الى وقد خرجت من تلك الغمة وشققت رداء تلك الظلمة موفر الحال والمال صحيح العرض والجمال لم تنشب فى اظافر الفقر ولم ينفذ فى حكم الدهر علمت ان الشيخ قصر عنى يد المحنة وهى طويلة وصرف عنى ولاية النحوس وهى بسيطة ولو بلغه غاية مراده امكانه وساعده على نيته فى زمانه لحجب صروف الدهر عن فنائى ولقام بين الحوادث وبين فنائى عرف الله تعالى له نيته وبلغه فى الدنيا والآخرة امنيته ولا زالت نعم الله تعالى عليه ضافية واياه من الغير صافية ولا زال كما لم يزل عليه رقيب من عدله ومعه وزير من عقله وله مادح من فضله وطوله ووراثه واق من قوله وفعله فلعمرى لئن كنت اشكر لمن وهب لى مالا انى لمن وهب لى روحى اشكر ولئن توفر على افضال من اغنانى فان افضال من استبقانى ولو شاء افنانى اوفر فقد جاد على الملوك بالصلات وجاد على ذلك الامير بالحيات فهناه الله بهذا الشكر الغريب وهذا الثناء العجيب وذلك انى اشكر الملوك على انهم اغنونى واشكره على انه لم يفقرنى وامدحهم لانهم احيونى و امدحه على انه لم يقتلنى واعتد لغيره ان بذل لى كل خيره واعتد له بان كف عنى بعض شره والشكر على قدر الاحسان والسلع بازاء الاثمان والسلام

وكتب الى محمد العلوى من الرى فى هذه المحنة

اطال الله بقاء سيدنا من بعض مطارح الغربة ومساقط النكبة وانا

انا من

من فلول هذا الزمان، لا بل فل من فلول هذا السلطان، والحمد لله على سلامة
الروح والمهجة، وان كانت سلامة ضعيفة المنة، رقيقة الكسوة، ثقيلة
الحركة، قليلة البركة، ليس بينها وبين الهلاك الا اقرب من خطوة، واسرع من
لحظة، ذكر الشوق فما بينه وبين السيد رجيع من القول، وكلفة من كلف
النقل والفصل، على انى والله مشتاق اليه، شوقه الى ابتناء العلاء، ومنتبه
للقائه شهوته لبذل لندى اذكره وان كنت لا انساه، والقاه بقلبي وان كنت
لا القاه، واسأل الله تعالى ان يريبا سلامة سليمة، واستقامة احوال مستقيمة
فلا شئ احوج من السلامة الى السلامة ولا الى الاستقامة من الاستقامة، وان
يجعل اقسام صنعه لديه، واحسانه اليه متناصرة مترادفة، ومتلاحقة متوالدة
قد رأى السيد ما كان من العلانية حين فوقت نحوى سهامها، ونشرت طرفي
اعلامها، وتسلحت على بالسعاية وهي سلاحها الذى به تقاتل وبيدها التى
بها تطاول والسعاية سلاح من لا سلاح له، والنميمة كيد من لا كيد عنده
وشر من الساعى من انصت له، وشر من متاع السوء من قبله فلما رأيت بيني و
بين الموت حجابا رقيقا، وحجزا دقيقا، ورايت نفسي قد اكتنفها اربعة اشياء
ما منها شئ الا وهو يقرب عليها مسافة الممات، ويقطع عنها علائق الحيات،
خصم فاجر، وسلطان جائر، وبخت عاثر، وزمان غادر، آثرت الغربة على وطن
معه اذى، واخترت الظمأ على شراب فيه قذى، وفارقت دار الهوان والحمية
تتبعني وعزة النفس تشيعني ولى من الصيانة رفيق وزميل، ومعي من العزم
هاد ودليل، وليست تبعد على العزم مسافة، ولا تصعب مع الارادة شقة
ولا مشقة، وما علمت انى عيش حتى اصادر على اللسان، واسلفا الشكر
قبل الاحسان، وقد كنت رايت حاكما يحجر على يتيم او معتوه في وفره، ولم ار
اميرا يحجر على كاتب في كتابته او على شاعر في شعره، وانما الشكر ابدا لله
السيد فرس جامح، ان منع عن سننه قطع ارسانه، واستلب عنانه
فشقي به سائسه وهلك معه فارسه، والشعر ينقلب مع الجود حيث كان تاو
يرتاد المعروف والاحسان، وانما هو ماء سارب، بل سيل زاعب، اذا اسند عليه

طريقة خرق في الارض خرقا، وجعل لنفسه طريقا بل طرقا، وما اشبه من اكره الالسن على مدحته، الا من اكره القلوب على محبته، يحب المديح ابو خالد و يفضح من صلة المادح، كبكر تحب لذيذ النكاح، وتفرق من صولة الناكح،

وكتب الى تلميذ له فوض اليه اشغاله .

كتابي ولو استقبلت من امري ما استدبرت، وقدمت من رأيي ما اخرت، لما امضى الفراق فينا حكمه، ولا انفذ فينا سهمه، ولا قنا جميعا، ورحلنا معا، واني لاظلم الفراق اذ شكوته، واتعنف الدهر اذ هجوته، وبيدي ضربا ني ومن سهمي رماني، فانا كالقاطع يده بيده، والفاجع نفسه بنفسه، ومطرق الفراق الى قلب طوى المنازل عن حبيبي دائما، واظل ابكيه بدمع ساجم هلا اقمت ولو على جمر الغضاء قلبت او حد الحسام الصارم، ما تذكرت تلك الايام التي سلبنيها الدهر بل سرقنيها، وغبنني بل دلس علي فيها، وكانت ادق من حاشية البرد، و احسن من طلوع السعد، واحلى من انجاز الوعد، واعذب من القند بل من النقد واعبق من الورد، وما اردت الا ورد الخد بل من المسك والند، واطيب من القرب بعد البعد، ومن الوصل في اثر الصد، بل كانت ارق من نسيم الزهر في السحر، و من قضاء الوطر على الخطر، بل كانت اقصر من ليل السكارى او نهار الحيارى، الا اكلت الوجع، وشربت الجزع، وانثنيت على كبدي خشية ان تنقطع، ولو انني اعطيت من دهري المنى وما كل من اعطي المنى بمسدد، لقلت لايام مضين الا ارجعي، وقلت لايام اتين الا ابعدي، البستان قد وعدتني يا سيدي اقامة وظيفته بالشجر، وبالنور والزهر، وانت يا سيدي بالانجاز قين، ووفاؤك به ضمين، وذلك المكان مرتع ناظري، ومتنفس خواطري، ومجال بصري، ومراد فكري ونقلي اذا شربت، ومحدثي اذا خلوت، وتسليتي اذا اغتممت، ونمامتي اذا اشممت وما ظنك بمكان ليست فيه زاوية الا وقد صب علي فيها طاس بل كاس وشرب عليها انسان بل ناس وقام في حافتها وجه صبيح، وتقلب في اطرافها قد مليح وكاني بك وقد عرضت هذا الفصل على الناس فظنوا اني اصف بستان الزاهر

اوراد

اودار ابن طاهر، او اذكر الجعفرية، او البركة المتوكلية، او اعني صغد خراسان، او شعب بوان، او انعت نهر الابلة، او متنزه الغوطة، او شعب نطاكية، ولا يعلو اني انما اذكر بقيعة طولها باع، وعرضها ذراع، اعني باع البقة، وذراع الذرة واقل من لا، واصغر من الجزء الذي لا يتجزأ، لو طارت عليه ذبابة لغطته، او دحلته نملة لسدته، تسقي بالسقط صباحاً، وتكنس بالظلال مساء، اشجاره مائة الا تسعة وتسعين، وانهاره خمسون الا تسعة واربعين، واني شاعر اذا احسن من لسانه بسطه، ووجد في خاطره فضله، واصاب من القول جرياناً، ووجد ميداناً، وقال ما وجد بياناً، وما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم، والكذب مذموم الا فيهم، اذا ذموا ثلبوا، واذا مدحوا سلبوا، واذا رضوا رفعوا الوضيع، واذا غضبوا وضعوا الرفيع، واذا اقروا على انفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم يمتد اليهم بالعقوبة يد، غنيهم لا يصادر، وفقيرهم لا يحتقر، وشيخهم يوقر، وحديثهم لا يستصغر، وسهامهم تنفذ في الاغراض، اذا نبت السهام عن الاغراض، وتصل الى البعيد كما تصل الى القريب، وشهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل، ولم يشهد بها عدل، وسرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار، ولو بلغت الف قنطار، ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم، وان صارموا الصديق لم يستوحش منهم، بل ما ظنك بقوم هم صيارفة اخلاق الرجال، وسماسرة النقص والكمال، بل ما ظنك بقوم هم امراء الكلام يقصرون طويله، ويخففون ثقيله، ويقصرون ممدوده، ولم لا اقول ما ظنك بقوم يتبعهم الغاوون، وفي كل واد يهيمون، ويقولون ما لا يفعلون.

وكتب الى تلميذ له قطع في مجلس وكابر واختلط

بلغني انك ناظرت، فلما توجهت عليك الحجة كابرت، ولما وضع نير الحق على عنقك ضجرت وتضاجرت، وقد كنت احسب انك اعرف بالحق من ان تعقه، واهيب لجلباب الانصاف والعدل من ان تشقه، كانك لم تعلم ان لسان الضجر ناطق بالعجز، وان وجه الظلم مبرقع بالقبح، وانك انا استدركت على نقد الصيارفة

وتتبعت خطاء الحكماء والفلاسفة، فقد طوقت الى عيبك لعائبك، ونصرت عدوك على صاحبك، وقد عجبت من حسن ظنك بك، وانت انسان والله المستعان

وكتب الى ابى عمر المكندى وزير صاحب جرجان

وعد الشيخ يكتب على الجملة اذا كتب وعد غيره على الجملة ولكن صاحب الحاجة سيئ النظر بالايام، مريض الثقة بالانام، لكثرة من يلقاه من اللئام، وقلة من يسمع من الكرام، وفلان نفض عنك غرائر شكره، واستعان بى على تحمل ما اثقله من اعباء بره، فاعلمته انني اثقل منه بنعمة الشيخ ظهرا، واضيق منه بما لزمني اداؤه صدرا، وانشدته شعرا

اعنين هلا انكلفت بها	كنت استغنت بضارع العقل
اقبلت ترجو العون من قبلي	والمستعان به لفي شغل

ثم انى تندمت في ابراد اخواني في ماعون طلبوه من لساني فاصحبته هذه الاحرف والشيخ يلحظه بالزيادة حلاوة الشكر، ويعرفه فعلا لا قولا حميد عاقبته وما افاض فيه من جميل النشر، فتله عزة الشاكرين الصنعة، ونفوق بينهم هذه السلعة

وكتب الى صاحب ديوان الحضرة وقد طولب ابو بكر بحضور الديوان فانفعل

هذا اطال الله تعالى بقاء الشيخ الرئيس حال نيسابور واهلها، بل حالي وحال الاحرار فيها، واصبح اقوام يقولون ما اشتهوا وغاب ابو عمرو وغابت رواحله وقد كنت آوى من الشيخ ايام مقامه بهذه الجنبة الى كنف رحيب وجناب خصيب وباع واسع، ونائل شائع، ووجه اذا نظرت اليه قرأت نسخة الكرم في وجنتيه، تلمع آثار الكرم بنور اساريره، وتعرف بشرى النجاح في تباشيره وفم يبشرني بابتسامه، قبل ان يبشرني بكلامه، ويحييني بالنجح باشارته قبل ان يترجم بعبارته، واذا رايته رايت بختي قد اقبل الى في معرض الكمال، وطالعت سعدى وقد طلع على بنيل الآمال، عن يميني الجمال وعن يساري الكمال، فاغدو والى بابه يقدمني الامل والرجاء، واروح عنه

فيشيعني

فيشيعني الشكر والدعاء، واحمل حوائجي منه على جبل الجود الذي لا تحركه
الطالب، ولا تثقل عليه الرغبات والرغائب، بل على بحره الذي لا ينزفه الاستقاء
ولا تكدره الدلاء، ولا يرى قعره، ولا يدرك غوره، وانما يصبو على حوائج الناس
ويلتذ باستماع صوت رجاء الاضراس من لسن طالع السخاء، وغذي في
حجور الكرماء، وقرع سمعه منذ صباه باصوات الادباء والشعراء، ومرن
على البذل والعطاء والثقل ليس ضاعف المطية، الا اذا ما كان، وهما بازلاء
حتى اذا كادت غصون آمالي تزف بعد ما يبست، ووجوه مطالبي تضحك بعد
ما عبست، رمتني الايام بفراق الشيخ فاخدج رجائي الحامل، وجف ضرع املي
الحافل، وسكت لساني القائل، وفترت فتور التاجر بار متاعه، وعاب مبتاعه،
وخجلت خجل ابي البنت زهد فيه اختانه، وضحك منه جيرانه، ووردت عليه
بكرة، وسيق اليه مهره، وقلت لو اراد الله بالادب خيرا لما غاب من كان يجمع
شمله، ويكرم اهله، ويعرف فضلهم وفضله، ولو انصفت الادب بعد الشيخ
لرثيته مرثية الاموات، ولاقمت عليه ماتم الممات، ومحوت اسمه من جريدة الحياة
هذا وقد ورد على عمل الخراج من لا اطري بحرمه، ولا اتناوله بطرف ذريعة
او وسيلة وكأني به وقد حسدني في جملة العامة، وادخلني في غمار سائر الرعية
ووقفني على حسر قدامه الخسران، وخلفه الهوان، وفجعني بدرهمات جمعت
بتقحم المهالك، واختراق المسالك والممالك، ودنانير قطعت القفار، وخاضت
البحار، وناطحت الحوادث والاقدار، فان بذلتها ابرزت وفرا طالما كان مخزونا
وان منعتها ابتذلت عرضا لم يزل مصونا، على انني احمل الجمال على التجمل واوثر
البذل على التبذل وانشد شعرا، جانيك بعض الشر اهون من بعض
وما اليس دواء هذا الداء لوطاوعتني نفسي العاصية، وتابعتني رجلي الآبية
فدخلت الديوان، وصانعت الزمان، وفتحت جراب النفاق والرياء، واغلقت
باب الحفاظ والوفاء، ولكن النظر الى عين الشمس ايسر علي واهون على عيني
من ان انظر الى هذا الصدر، وقد جلس فيه غيرك ايها البدر، واني لاغار
على الكرم، كما يغار على الحرم، وابخل بالمراتب كما يبخل غيري بالمكاسب واستحيي

لعيني ان افتحها على الصغيرة وجلس مجلس الكبيرة لا ابتلاني الله بمجالس الغيرة، ولا اقامني في مقامات الغم والحيرة، فانه ان ابتلاني بذلك وجدني ضيق ساحة الصدر، قريب غور الصبر، كثير المبادرات، قليل المدارات هذه اطال الله بقاء الشيخ حالي فهل لي عنده فرج ارتجيه، او نظر اجمع فيه وهل يحرك لفظة من لافظه، او لحظة من لاحظه، يرد بها على وجهي ماء نضب من مائه، وعلى عرضي ما ذهب من بهائه، ولعمري ان حاجتي الى الشيخ في هذا الخراج صغيرة ولكني لا استصغر منه يسيراً، كما لا استعظم منه كبيراً، واعلم ان الحريص الصديق بفطنته، والخليل بهمته، و ان ابطأ عني كتابه بالفرج خشيت ان يسري في السم الوحي الى ان يصل الى الترياق البطي اعوذ بالله من ان يكون دائي نقداً، ودوائي وعداً،

وكتب الى رئيس طوس يعزيه عن شقيق له

كتابي عن سلامة، وما سلامة من يرى كل يوم ركناً مهدوداً، ولحداً ملحوداً واخاً مفقوداً، وحوضاً من المنية موروداً، ويعلم ان ايامه مكتوبة، وانفاسه محسوبة، وان شباك المنايا له منصوبة، اف لهذه الدنيا ما اكدر صافيها، و اخيب راجيها، واغدر رايا منها ولياليها، وانغص لذاتها وملاهيها، تفرق بين الاحباء والاحباب بالفوات وبين الاحياء والاموات بالرفات، وورد على خبر وفاة فلان، فدارت بي الارض حيرة، واظلمت في عيني الدنيا حسرة، وملك الوله والوهل قلبي في ساوس فكره، وتذكرت ما كان يجمعني واياه من سكر الشباب في الشراب فعلمت انه شرب بكاس انا شارب من شرابها، ورمي بسهم سوف ارمى بها، فبكيت عليه بكاء لي نصفه، وحزنت عليه حزناً للنفس شطره، وسألت الله تعالى فانه اكرم مسئول، واعظم مامول ان يفيض عليه من رحمته، ما يتمم به سهمه من نعمته وان يتغمد كل زلة ارتكبها برحمته، ويضاعف له كل حسنة اكتسبها بمنته وان يذكر له تلك الاخلاق الكريمة وتلك المروة الواسعة العظيمة، فان الله تعالى ليحب السخاء في الملحد،

فكيف في الوحدة وان سخاء النفس ونصب المائدة خلوص اخلاق الصديقين وشعبة من شعب النبيين، ثم تذكرت منازل بسيدي من الوحشة لفقده، والغلة من بعده، والتحسر على قربه ببعده، فخلص الى قلبي وجع ثان لسانى الماضي وثالث انسانى الثانى، حتى استفرغ ذلك ما في صبري بل ما في صدري وحتى صار الوجع وجعين، والمصاب اثنين، ثم رجعت الى رب الله تعالى فقلت انا لله وانا اليه راجعون، اللهم لاشكاية لقضائك ولا استبطاء لجزائك، ولا كفران لنعمتك، ولا مناصبة لقدرتك، اللهم ارحم الماضي رحمة تحبب اليه مماته، وابق الحي بقاء يهنيه حياته، واطبع على قلبه حتى لا يطيع داعية الجزع، ولا يضع عنانه بيد الهلع، ولا يشلم جانب الاجر والذخر، بالاثم والوزر، ولا يجد عدوه الشيطان سبيلا اليه، ولا سلطانا عليه، اقتصرت من تعزية سيدي على هذا المقدار لاجريا على مذهبي في الاقتصار والاختصار، ولكني لم اجد من لسانى بسطه، ولا في قريحتي فضله، ويحق لهذه الفادحة الحادثة ان تدع اللسان محصورا، والبيان مقصورا، او ان تحدث في العقل خللا وفي البيان شللا، وليعرفني سيدي خبر ما هداه الله اليه من جميل العزا الذي لم يعدم جميل الجزا ليكون سكوني الى ما اعرفه من سلوته، اضعاف قلق كان بما ظننته من حرقته وان كنت اعلم انه لا يخلي ساحة الحلم والعلم، ولا يخل بالواجب من التمسك بالحزم، ولا يحل عقدة صبره، ولا تتداعى اركان صدره، ولا يعمي الرشد في جميع امره، وهذه شريطة الكمال، وسجية الرجال

وكتب الى ابى الحسن الطرحوري بدارطوس

فلا ترتفع عنا الشعل وليته، كما لم يصغر عندنا شانك العزل ليت شعري الذي راه في الكبر حتى اعتقد ملته، واستقبل قبلته، وفي العجب حتى تبوأ ساحته، واستوطن راحته، وفي الجفا حتى علق اسبابه، ولبس جلبابه، وما الذي ارتكبته من بين اخوانه، حتى افردهم عني وكاتبهم دوني حتى كأني قطعة

وصلوه، ولسيته وذكروه، وجفوته وبوه، كانه عرض جريد تهم فوجد
اسمي ملحقا بحواشيها، ومثبتا فى اخريات اساميها، فهلا اذا لم يوهلني لمرتبة
الخاصة، جعلني اسوة بالعامة، وهلا اذا لم استحق منه فضلا، رزقت منه
عدلا، وهلا تصدق على بكتابه الى، فالزمني على المساكين صدقه، وللفتيق
هدية، فكنت اجعل يوم وصول كتابه الى عيدا، ونيروزا جديدا، ثم اتصدق
بمالى فيه طريفا وتليدا، واطوف بكتابه فى اخوانه واخوانى، واباهيهم به مباهاة
الاخباخيه، الذى مساعيه مساعيه ومساويه مساويه، وكلشيئ من فضيلة
ورذيلة فهو شريكه فيه صفحت ايد الله سيدى عن هذا الذنب الفظيع والجرم
الشنيع فهل لسيدى ان يستأنف ما احاله آخرا، ويأخذ بنا فى طريقه غير الاول
فان الاستقالة تاتى على العثرات، وان الحسنات يذهبن السيئات، وان قليل
الاستغفار ينسي قليل الخطأ والاوزار، خرج الى ناحية سيدى فلان وهو
جوهرة من جواهر الشرف، لامن جواهر الصدف ويا قوتة من يواقيت الافكار
لامن يواقيت الاحجار، وانا نظرت اليه من مرآة الحيرة، وقلبه بيد العشيرة،
استدل به على حسن انتقادى، وصائب رتيادى، وعلم انى لا اختار غير الخيار
ولا اجنى غير خير الثمار، ولا اصادف غير الاحرار، فلينطق سيدى لسانه بشكره
وليكفه الدقيق والجليل من امره، وليهش على عقبى لابل مقدمتى الى الطافه
وبره عرض سيدى هدايا تلك الناحية، وكيف اطمع فى هدية من يبخل برد السلام
ويحاسب صدقائه على الرسالة والكلام، وكيف يسمح بالجوهر الحاصل
من يبخل بالعرض الحائل، وكيف يتوسع فى النافلة من تضايق بالفريضة
انصفنا الله تعالى من اصدقائنا، فانا بحوله وقوته ننتصف من اعدائنا،

وكتب الى وزير قابوس بن وشمكير

وكل ولاية لابد يوما	مغيرة الصديق على الصديق

قد كنت انظر مصداق هذا البيت من سيدى حتى حقق الله تعالى ظنى ولو
اكذبه كان احب الى واوقع لدى، فسبحان من جعل حصتى من وفاء الاخوان

منحوسة، وبتجارتي فيما اعاملهم به ربيعا ملونني مركوسة، فان كان سببه عم بهذا الجفا اخوانه خلطني بهم، وجعلني واحدا منهم لقد اخلف ثقتي بانفرادي عن صحبه، وخلف ظني بناحيتي عن قلبه، و كنت احسب انه يخصني من بينهم بفضل المقة، كما خصصته من بينهم بفضل الثقة، وانكان وصلهم وقطعني دونهم لقد عكس حكم الرجاء وغرس الجفا في منبت الوفاء واساء الترتيب بين الاصدقاء، وما ادري له في احد الفعلين عذرا وانكان احدهما اثقل وزرا، واسوأ بوا، واقبح ذكرا، وقد كنت طويت بيد الياس بساط العتاب، واغلقت باب المراجعة وضيعت مفتاح الباب ثم استظهرت بهذه الاحرف وستره علي من سببه اذن من العتاب صماء، و عين من الوفاء عمياء، ونفس تبغض الوفاء، كما يبغض الناس الاعداء، و تعشق الجفاء كما يعشق الرجل المرأة الحسناء، وتشتهيه كما يشتهي الظمأن الماء، وانتظاري الجواب عنها اكذوبة من اكاذيب الاماني واغلوطة من اغاليط زماني ومناقضة لحكم القياس وارجاف من اراجيف الوسواس ولكنها سخرت من سخر الفراغ تكلفتها، وحاجة في نفسي قضيتها

وكتب الى رئيس بهراة يعزيه بابن اخته وبنته

كتابي ايده الله الشيخ الرئيس وانا سليم المهجة، سقيم القلب والمنتزه النية، صحيح العرض والجسد، عليل الخاطر والجلد للمصيبة في فلان رحمه الله فانها مصيبة خرجت من كمين الدهر قبل ان يستعد لها بعدة الصبر وجاءت مجيء البغية، ووثبت وثبة المسارقة، وغلبت الايام على ذلك الحر اطرأ ما كان غصنا، واتم ما كان حسنا، وابعد ما كان املا، و اظهر ما كان جذلا، حتى كأن المنون اخذته خلسة، وانتهزت فيه فرصة وفقد الشباب الطري اكثر جزعا وكسر العود الرطب اشد وجعا

ان الفجيعة بالرياض نواضرا	لاشد منها بالرياض ذوابلا

ولوكان الدهر يجيب من خاطبه، ويعتب من عاتبه، لاستدركته هذه

الفعلة عليه ولفوقت سهام اللوم اليه لكنه اصم عن الكلام صبور على وقع سهام الملام، يختصر العيدان ويمتصر الاغصان ويخترم الشبان، و يبكى الانام والابدان، ويلحق من يكون بمن كان، والشيخ جدير بان يتدرع لهذه الفجيعة درعا من كرم التسلى وجميل التعزى لا تخرقها يد التذكر، ولا تهب عليها ريح الغم والتحسر، ولا تطمح نحوها عين التغير والتنكر، و ان لقى هذا الخطب الكبير والغم الكثير بصبر منه اكبر، وتجلد هو منهما اسر، فان الكبير في قلب الكبير صغير، وان العظيم على العظيم صبور،

والثقل ليس مضاعفا لمطية		الا اذا ما كان وهما بازلا	

وليحذر ان يجمع على نفسه ذل الغربة، وثقل الكربة، وان كان لا غربة على عاقل ولا وحدة لفاضل، فان الداء اذا قابل داء لم يقبل دواء، ولم يرج لصاحبه شفاء، وليعلم ان الله تعالى قد اخذ منه اليسير، وابقى له الكثير، وسلبه الصغير، ومنحه الكبير، سلبه اخا كان يعتضد باخوته، ومنحه ابا يجمع خير الدارين بابوته، وابقى له اخوة هم قوة اليد والعضد، وغاية الايد والمدد، وزينة العدد والعدد، وجمال الدهر والابد، فسبحان من اذا سلبنا من هواه لك به منا اجرنا، واذا صبرنا على ما لابد من الصبر عليه شكرنا، واذا امتحن كانت محنته خيرة، واذا منح كانت منحته نعمة كبيرة، ورحم الله فلانا ذا الخلق المعسول، والكنف المأهول، والطعام المبذول، صاحب المرعى الخصيب، والقلب الرحيب، والوجه الطلق، والجناب الغدق، الشاب سنا وجلادا، والشيخ حلما وسدادا، الذى كان زينا اذا دنا، وذخرا اذا تأى، وعدة للآخرة والاولى، والذى كان بهين ماله ليكرم نزاله، ويبذل ديناره وداره، ليصون زواره، ويضحك فى وجه النازل عليه عند نظره اليه، كان الموت ينتقد الافاضل ويبهرج الاراذل، وكان الآخرة تختار الاخيار، وتترك على الدنيا الاشرار، وكان اعمار الكرام مشاهرة، واعمار اللئام مياومة، قال الطائى

عليك سلام الله وقفا فاننى		رايت الكريم الحر ليس له عمر	

فاما البنت رحمها الله تعالى فقد كانت حياتها عفافا وستراء ووفاتها ثوابا
وذخراء ولقد كانت في زمان النجابة في رجالهم غريبة، وفي نسائهم عجيبة
والعفاف في ذكرانه معوزة وفي اناثه معجزة والعقل في شيوخه نادرة تفقد
وفي شبانه ضالة لا توجد، فالحمد لله الذي سترها بالحياء في حياتها و
بالثواب بعد وفاتها، فاسبل الله تعالى على سيدنا سترين واستوجب
منا ومنه له شكرين ولقد ثكلتها ثكل الرجل لاخص اخواته بل لاكرم بناته
فقد كانت لي من جهة ميلادها والمحال بيني وبين والدها بنته ومن جهة
تربيتها اختا، والمستور عزيز في كل مكان، ومحبب الى كل انسان، وممدوح
بكل لسان، فان تكن خلقت انثى لقد خلقت كريمة غير انثى العقل
والحسب فرحمها الله تعالى رحمة تلحقها بمريم وآسية في الاولين، و
بخديجة وفاطمة في الآخرين، وبام الدرداء ورابعة في نساء الصحابة
رحمهم الله تعالى اجمعين ولولا ما ذكرته من سترها، ووقفت عليه من غرائب
امورها لكنت الى التهنئة اقرب من التعزية، فان ستر العورات من الحسنات
ودفن البنات من المكرمات، ونحن في زمان اذا احمد نافيه المحرمة
فقد استكمل النعمة، واذا زف كريمته الى القبر فقد بلغ امنيته من الصهر

	وقال الاول
ولم ار نعمة شملت كريما	كنعمة عورة سترت بقبر
	وقال الثاني
تهوى حياتي واهوى موتها شفقا	والموت اكرم نزال على الحرم
	وقال الثالث
وددت بنيتي لو ردت اني	وضعت بنيتي في لحد قبري
	وقال الرابع
ومن غاية المجد والمكرمات	بقاء البنين وموت البنات
	وقال الخامس
سميتها اذ ولدت تموت	والقبر صهر ضامن وبيت

وقد كنت على أن أفرد في معناها كتاباً إلى الشيخ ثم تطيرت له من تناسق التعزيتين، كما توجعت له من تواتر المصيبتين، وأرجو أن تكون هاتان الحادثتان خاتمة الكروب، وقافية الخطوب، ثم تجيء النعم بعدها مترادفة، بل مترافدة، ثم متظاهرة، بل متواترة، ومتناسقة، بل متطابقة، فإن المحن إذا تناهت انتهت، والرزايا إذا توالت تولت، ولكل غمرة محنة معبر، ولكل مورد غمة مصدر، وسيجعل الله بعد عسر يسراً، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً، على أنما تعفو الكلوم، وإنما توكل بالأدنى، وإن جل ما يمضي، سأل الشيخ أن يكتب لي بحصة ما وجده من برد السلوة، لأشركه فيه كما شركته في حرارة اللدغة والفجعة والسلام

وكتب إلى صديق له جواب كتابه.

ما أخر جواب كتاب سيدي وشيخي جهلاً بحقه اللازم الواجب، ولا إنكاراً لأفضاله المتراكم المتراكب، ولكني تحريت وقتاً ينشط فيه اللسان للبيان، والبنان للجريان، ويوماً يحسن فيه الدهر، وينشرح فيه الصدر، ويقل فيه الفكر، فلا والله ما وجدته، وقد كنت أشتاق إلى غدٍ، فأنا الآن ألهف على أمسٍ، وما من وقت كرهته إلا وأنا أحن إليه، ولا من يوم بكيت منه إلا بكيت عليه

وكتب إلى حاكم

ورد كتاب الحاكم فملأني سروراً وحبوراً، وصار في جأش الميت حركة وفتوراً، وشكرته على ما بذل شكراً لا أرضاه مهراً لإساءته لو انتهت إلي، فكيف لإحسانه المتظاهر علي، ولكن لن تتجاوز الطاقة ذرعها، ولن يكلف الله نفساً إلا وسعها، وما عندنا غير خلق لا يشترى بثمن، ولا يعارض بما يعمه بقبيح ولا حسن، وهو الدعاء استجاب الله في الحاكم صالحه، وأسبغ عليه مننا يجمع أعطاه من كل خير مقاليده ومفاتحه

وكتب إلى نائب الوزير ابن عباد بأصفهان

كتبت إلى الأستاذ معاتباً مرة، ومستعتباً كرة، فما وجدت للعتاب عتاباً، ولا قرأت عن الكتاب

جوابا ولیت شعری ما الذی منعه عن صلة لا تضره وتنفعنی، وعن تواضع لا یضعه ویرفعنی

ولربما بخل الجواد وما به ... بخل ولكن سوء حظ الطالب

فالآن قد عنيت بجواب كتبه، وعرفت بين عتابه وعتبه، يكلفني ان اورد على الاستاذ خبر شكره، وان اجعله بعض ودائع عند احسانه وبره ومذ اخبرته انني قد ركبت من التقصير في شكر الاستاذ عن خاصيتي مركبا اسقط معه شهادتي، واخففت بعده شفاعتي، وان شكري له عن غيري بعد ما ضيعت الواجب منه على نفسي، نافلة اقيمها بعد ما ضيعت الفريضة، وتفصيل اصلحه بعد ما افسدت الجملة، ولن تقبل النافلة او تؤدى الفريضة فلم تقابل حجتي الا بالجحد وعذري الا بالرد، وما زادني على كتبه العريضة الطويلة، ومعاتباته الثقيلة، فذكرته الآن الاستاذ فان كنت اسأت فالاساءة بيني وبينه، وان كنت احسنت فالاحسان لي دونه، ويا عجبا مني اعجز عن تحمل نعمة ثم اخطب نعمتين، ولا اقوم تحت عارفة ثم اطلب عارفتين، ولا ارضاه البر الا مداخلا، ولا اقبل الاحسان الا مضاعفا، وما يستبدع منه بذل الرغيبة بعد الرغيبة، ولا مني اقتراح الغريبة بعد الغريبة، فانه ايده الله اوحد في النوال، كما اني اوحد في السؤال

وكتب الى ابي الحسن الحكمي

خرج الشيخ من ههنا على حالة ان كان الذنب فيها له فقد غفرت وعذرت، وان كان لي فقد استغفرت واستعذرت، والدهر يولع بافساد الاحوال، وتكدير ماء الوصال، وقطع قرائن الرجاء، ثم يعود العاقل لما يفوه بالخرق، ويرتق به الفتق، فيقبل الزلة، ويراجع الوصلة وينشد

اذا نزعات الحب اورثن بيننا ... عتابا تراجعنا وعاد العواطف

فاما الجاهل فانه اذا هجر لم يبق في القوس منزعا، ولم يترك للصلح موضعا والحمد لله الذي وفقني في اثناء هذه الحال حتى كبحت فرس الغرامة، وغمدت سيف الشكوى والملامة، وايقنت الحال في صوانها، ولم اتعد منها حكم زمانها، فهجرت هجر منازل كريم المقاطعة، ووصلت وصل مراجع حميد

المراجعة، لتكون الاولى بدرة مغفورة، والثانية كفارة مشكورة، والعتبى عرس ليس لها غير الصلح مهر، والاعتذار سعي ما له عن القبول اجر، وقد كنت قلت عن عرض الشيخ بنا ناحد يد المخالث و ذلك عن جانبه سيفا مرهب المضارب وانما سلطان الغضب ساعة تورث ندامة الابد، ويوما يثمر حياء الغد، الامن اعين بالعصمة، واطاع راعية العقل والحكمة، والسلام

وكتب الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة

قد كنت ارجو ان تعلقي بالشيخ يا سو خراج الايام لي وينزع نصالها الواقعة بجنبي فطالما تعلق المدبر بذيل المقبل فاقبل باقباله، وصارت حاله قطعة من حاله

وكم صاحب قد جل عن قدر صاحب	فالقى له الاسباب فارتفعا معا

ويا عجبا كيف لا يغار الشيخ على جانبي منه، وكيف لا يخاف على سخطي فيه، و كيف يرضى بان يرى مصون قولي فيه وقد ابتذلته، وكيف يستحسن ان اسئل غيره بعد ما سالته، فوالله تعالى ان لسانا جرى بمدح سواه بعد مدحه لاهل ان ينزع، وان كلاما كان فيه ثم صار في سواه لجدير بان لا يسمع، وقد كنت زففت الى الشيخ عروسا من كلامي عاتبته فيها، فان كانت حسناء فاين حق الزوجية، وان كانت قبيحة فاين حق النية، ولا اقل من ان يرضى بالجان، ان لم يشتر بالاثمان، وان يمسك بالمعروف او يسرح باحسان، و ان درهما يوخذ مني لدرهم ثقيل الوضع على السلطان، قبيح الاحدوثة في البلدان، ولئن كان يعمر به بيت المال، فان يخرب بيت الجمال، ولئن كان يزيد به عدد الدراهم، انه لينقص من عدة المكارم، ولئن كان يسمى في العامة جباية، انه يسمى في الخاصة خراية، والبس اكفان الموتى، وسرق ادوية المرضى، وقطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر النبي عليه السلام، احسن في الاحدوثة وابعد من العار والنقيصة من الزام مثلي خراجا وسوم غرامة واستخراجا، وانما يحاسب نفسه في مثل هذا من وزن افعاله بمعيار الحرية، واخذ نفسه

بشرائط

بشرائط الانسانية، وغار على نفسه كما يغار على عرسه، وضن بقدره، كما يضن بوفره، وهذه خصائص لا يؤخذ بها الاحرار، والشيخ بحمد الله صدرهم وبدرهم، وعليه مدار امرهم، وهو اولى من غضب للادب، وحافظ على الاقدار والرتب

وكتب الى ابى الحسين على بن داية

لم ينقطع عن كتاب سيدى مع ضنى به، وعشقى له، الا انه يبخل على بان احفظه وارويه، ويخشى على انتحله وادعيه، فعهدى به لا يبخل على الفقراء، ولا يرضى لاسمه ان يكتب فى جريدة البخلاء، ام لانه يكره ان يصير نظيرا اذا كاتب دونه كثيرا فهذا ظن غير صائب، ورأى غير ثاقب، فقد يكاتب الكبير الصغير، فلا الكبير يصغر، ولا الصغير يكبر، ام لانه يخاف ان لا يعرف حقيقة خطابه، ولا يبلغ غور كتابه، فقد علم ان الله تعالى خاطب لعامه بوحيه كما يخاطب به الخاصة، ام انه يأنف الكتابة اللطيفة من جوابى الكثيف فما قال الخطاء منها على مقدار الصواب، وما زال توسط الحجيب ليلا على تقدم الحجاب ام لان اخوانه الذين استطرفهم من بعدى واعتاضهم منى قد شغلوا يده عنى، فما كنت اظن انه يحفظ لكل جديد لذة، وينسى لكل عتيق حرمة، ام لان الايام اعدته فاحسبته يقبل عدواها، وتجلى بحلاها ويرضى لنفسه ان يسعى مسعاها ام لان سمرقند بعدت عليه، والكاغذ عز لديه، فانا اجهز اليه قوافل تحمل من الكاغذ وقرا، ويتصل منى اليه قطارا قطارا، ام لانه يتكاسل عن مكاتبتى فانا اكتب عنه الى وارضى قلبى بيدى هذا اذا تواضع وقبلنى كاتبا، فاما انا فقد رضيت به صاحبا، على انى منتظر منه ان تعطفه على العواطف وان تعود الى نعمه السوالف فربما غلط الدهر المسيئ الى بالاحسان، وعاد على الهدم بالبنيان، هذا والكتاب ملقح لا موقى، تسرع اليه اليد المحاملة وتعرض له الآفات السانحة، فالماء يغرقه والنار تحرقه، والريح تطيره، كما ان الايام تغيره، والدخان يسود بياضه كما ان الحك يبيض سواده، والرطوبة تضره، كما ان اليبوسة

لا تنفعه، فآفاته اکثر من آفات الزجاج الذی یسرع الیه الکسر، و یبطئ عنه الجبر، و حوادثه اکبر من حوادث الغنم التی هی لکل ید غنیمة، و لکل سبع فریسة، و اقل آفاته خیانة الحامل، و وقوع الشاغل، و عوائق الفتوح و القوافل، و هذا التطویل کله ارتیاد لعذر راجح لسیئ، و ان رجلا اعتذر عنه الی قلبی، و ابرز ذنبه فی معرض ذنبی، لاعظم فی عینی من کل عظیم، و اکرم علی قلبی من کل کریم، و کانه فی و فیه قیل

اذا مرضنا اتینا کم نعود کم	و تذنبون فناتیکم فنعتذر

و کتب الی ابی الحسن الحکمی

طالت ایام الشیخ بتلک الناحیة، حتی ظننت ان الدهر فطن لایامنا فی ظله، و لو تعنا فی فضله، فزاحمنا علیه، و سابقنا الیه، و سلبنا النعم به، لا سلبنا الله نعمته، فانها نعمة متجاوزة الی کل من قدح بزنده، و استظل بظل احسانه و رفده، و انما یرید الناس النوال للمال، و هو یرید المال للنوال، فالنعمة علیه نعمة علی من سواه، و النعمة علی غیره نعمة لا تعداه، علی انی عارف بان الله تعالی لن یختم للشیخ الا باحمد العواقب، و لا یعدل بحاله الا الی الین الجوانب، و علی الکریم واقیة من فعله، و له حصن حصین من فضله، فاذا زلت به النعل زلة، او صال علیه الدهر صولة، اقامته ید احسانه، و انتزعته من مخالب زمانه، فلیمد الشیخ عنان رجائه، و لیتوقع الفرج فی صبحه و مسائه، و لیعلم ان وراءه ربا لا یخذله، و سیرة صالحة لا تسلمه، و سلطانا عادلا لا یظلمه، اراه الله تعالی و ارانی فی حساده ما یصیرهم نکالا بین عباده و بلاده، و اراهم فیه من غرائب النعم، و غرائب القسم ما یتمنون العمی قبل رؤیته، و الصمم قبل روایته، و اطال الغمهم و غمهم بقاءه، و جعلهم فداه ثم جعلنی فداه

و کتب الی ابی الفرج لما قلده خلافة البندار بطوس

وردت کتب ولدی علی ید جماعة اصدقائه، و کافة اولیائه، و طلبت

حصتي منها فلم اجد فيها، فليت شعري كيف قصدني من بينهم الزمان،
وكيف خصني منه بالحرمان، وكيف صرت المستثنى، وقعدت على طريق لا
وكيف عدني ولسكني في الاجانب، وكنت اعد نفسي في الاقارب، وهلا اذ لم
يدخلني في جملة اخوانه واصفيائه، ادخلني في جملة شيعته واوليائه، و
قد غفرت هذه الواحدة، وساواخذه ان عاد اليها ثانية، فما يسع عفوي
الا اكثر من مرة، ولا تنال اقالتي اكثر من عثرة، هذا العمل اول ما جرى ولكل في ميدانه
وسابق هذا زمانه، فان طلب الغاية، وبذل الجهد والطاقة، لحق السابق
وفات اللاحق، وان قصر فاته المراد، وسبقته الجياد، وهو ابن رجل ان سبق
ابنه فلم يشكر، وان سبق لم يعذر، فليتعب نفسه، فلا راحة مع الهمة،
وليسهر عينه فلا نوم مع طالب الغاية وليحذر فلتات اليد واللسان، وسكرات
الشبان، فان سكر الشباب اشد من سكر الشراب، وليكتب في قلبه بيد عقله
قول الاول: خدمة السلطان والكاسات من ايدي الملاح، ليس يلتئمان فاختر
رفعة او شراب براح، واني لاعلم ان لولده عرقا سيرخي عنانه، ويخلف قرانه،
وانه لن يستقبل الا قبلة حسبه ولن يفعل الا ما يليق به، ولكن احزم الحزمة لا يستغني
عن عظة الاخوان، كما ان اعتق الجياد لا يستغني عن ركض الفرسان، كنت كتبت
كتابا قبل هذا ارخيت فيه عنان لساني، واتعبت في تطويله قلبي وبناني، التطويل
في شكر الجميل اختصار، والاطناب في قضاء الواجب تقصير واقتصار، فلان
قد الف طوس حتى عشقها، وهجر نيسابور حتى طلقها، وتعدى طلاقها الى طلاق
اخوانه بها، وانا احسد ثلثه على ما خصه من قربه، واود لو شركته فيه كما شركته في
حبه، والحسد على مثل هذا سنة متبعة، وفي غير هذا بدعة مبتدعة،
وقد كنت اشكو الايام وهي تفارقني باخواني فرادى، وهي اليوم تفارقني بهم
مثنى، فتكلفني ان اقيم للشوق نوبتين، واوجه قلبي اليهم من طريقين

وكتب الى وزير خوارزمشاه لما نكب وكان حريجة هرجة

اصبحت ايد الله الشيخ وامسيت شبعان من كل بغية، ريان من كل مراد

ومنية، غير خبير انقشاع هذه الضبابة، وانجلاء هذه السحابة، فان يعلم الله تعالى ظمآن الى خبر يذيل فرحي على غمي، ويهزم بسروري عساكر همي، فما اسرع خبر السوء حتى كانه يخب وما ابطأ خبر السرور حتى كانه يدب، وما اولع الدهر بهدم ركن الفضل وثلم جانب العقل، وما اسرع الايام على الكريم فيما يضره، والى اللئيم فيما يسره، وما ابين مجانبة الدهر لاهله، واكثر مناسبة الجاهل في جهله، وما اشد غيظي على فلتات الايام في الكرام، وعلى نفحات الارزاق في اللئام، وما اشوقني ان استمع من اخبار تلك النفس النفيسة ما ابكي له طربا، كما ضحكت من ضده عجبا، والى الله اشكو حالا اضحكها سخرية، ومجاز وعارية، وبكاؤها حق وحقيقة، واياه اسأل ان يغني مدة النقص فقد طالت، ويضع من غرة الجهالة فقد استطالت، ويعيد للفضل الكرة، ويعزل عنه الفتور والفترة، ويصب في سمعي من خبر انحسام دواعي هذه المحنة ما يعيد شبابي للذهول، ويطرد شيبي لئلا تجلى نحو لمن شاب عن سماع ما يسوءه، ان يشب من سماع ما يسره، وحق لجسيم هدمه الغم الامسي ان يبنيه الفرح اليومي، وحق الدهر ان يكف فقد بالغ في العقاب، وتناهى في العتاب، وحق لصروفه ان تنصرف فقد اشفت وشفت واكنفت وكفت، وزادت على ما في الامكان واوفت، وحق لها ان تخاطبها بقول ابن المعتز

يا محنة الدهر كفي ۞ ان لم تكفي فخفي ۞ قد آن ان ترحمينا ۞ من طول هذا التشفي

على اني ارجو ان يكون في طي هذه المحنة من المصالح ما يغمض مسلكه، ويخفى مذهبه، وان يكون اقل ما يكسبه الشيخ فيها، ويستفيده منها، تمييز معارفه من اخوانه، والوقوف على من لا يصادقه الا بصدق زمانه، واذابة المغشوش من الدعوى بنار الاختبار والسلوى كما قال البحتري وصدق في المقال

لئن ثنى الدهر عن عزمي فلم يصل ۞ وكف من يدي الطولى فلم تطل
لقد حمدت صروفا منه حين نبت ۞ منه وبها غضبا مما على ولي

ومما سرني والشيخ ان المحنة لم تثلم جوانب جلادته، وان طول مدة الذلة والقلة لم تعتصر ما احتماله وصلابته، وان الوحدة والوحشة

لم تقد حافى لسانه وقلبه، ولم يظهر اثرهما على صفحات ثباته وعزمه، وان لم تصغ على تلون الزمان نفسه، ولم يلن على اكفاء عدائه مسه، وانهم كتبهم الله وان توصلوا الى تغيير نعمته، وقد عجزوا عن تغيير همته، وان تطرقوا الى كيده باطنا فقد اضطروا الى تبجيله ظاهرا، وقد قيل فى ذلك لعلى بن الجهم

وما المكر الا للنساء وانما … عدوك من اشجاك حين تجامعه

حتى اجتلت عنه غبر العواقب والعرض نقى، والقلب بالله تعالى قوى، و الفعل بحمده تعالى مرضى، والنفس تلك النفس الا ما انقص من مال تخضع من جال، والجملة فتلك الجملة لا الرخاء اكسبها بطراء، ولا البلاء ورثها ضجرا، ولا اساء مجاورة النعمة فتطاول، ولا محاورة المحنة فتضاءل، والحمد لله الذى كشف عن مقداره فى ميزان الاختبار والابتلاء، واظهر عن حقيقة كيفيته فى هواء الرخاء والبلاء، والايام مرآة الرجال، والاطوار معيار النقص فيهم والكمال، والعثرة بعد الدولة تخرج خبث الاخلاق، وتكشف عن مقادير الاصول والاعراق، ثم الحمد لله الذى بتلى فى الصغير وهو المال وعافى فى الكبير وهو الصيانة والجمال، وقد قيل ما يليق بهذا الحال، من حسن المقال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة … ولكن عارا ان يزول التجمل

المال ايدك الله تعالى حطام ينقص ثم يزيد، وظل ينحسر ثم يعود، والشيخ يقضيه قول امير المؤمنين رضى الله تعالى عنه، قيمة كل امرئ ما يحسنه، انت ايدك الله تعالى اغنى اهل خوارزم يوم تصيب افقرهم، واكبرهم ساعة تظن اصغرهم، وهو الوزير يوم يعزل، والمصون ساعة يتبذل، والكبير بنفسه، وان انفرد عن غيره، والمستانس بفضله، وان استوحش من دهره

ان الامير هو الذى … يضحى اميرا يوم عزله
ان زال سلطان الولا … ية كان فى سلطان فضله

وكتب الى ابى على البلعمى لما فارق الحضرة وورد نيسابور

كتابى الى الشيخ وقد مضت الايام فى حكمها، وانفذت فى صبرى وتجلدى

سهمها، والحمد لله تعالى على كل شيئ الا غيبتي عن الشيخ فاني اخشى ان
ازداد منها، اذا حمدت الله لها، انتهت بي المحنة بعد فراق الشيخ الى غاية
ليس بينها وبين الموت حاجز، ولا ورائها للبلاء مجاز، حتى لقد ركبت
غير دابتي، واكلت غير نفقتي، ونزلت بيتا بكراء، واكلت خبز ابن ابي وحرمت
العيني، وشربت الزبيبي، ولبست الصوف في المصيف والبرد في الخريف
وكوتبت مواجهة، وخوطبت بالكاف مشافهة، واجلست في صف النعال
اعني اخريات الرجال، وناظرني من كان يدوس على، وخالفني من كان
يختلف الي، وحتى لقد نشزت على جاريتي، وحرنت على دابتي، وتقدمني
في المسير رفيقي الذي جمعني واياه طريقي، وحتى اني اخذت الدرهم
الجيد قصا وفي يدي ستوقا، وقطعت الثوب المشترى قصار على يدي
مسروقا، وغسلت ثيابي في تموز فغابت الشمس وطلع السحاب وساقني
في حزيران فعصفت الريح وسد الافق الضباب، وفقدت كل شيئ ملكته
غير عرضي الذي عهده الشيخ معي، وصبري الذي عرفه مني، ومن لم يكن
على المحنة صبورا، لم يوجد للنعمة شكورا، ومن لم يحقر سوء ما يبلى
لم يحمد حسن ما يولى، انكر الشيخ عزوف نفسي عن مواقف البذلة، و
صعوبة جانبي على من جرني الى مظنة الهوان والذلة والادب سلطان
ينسى هيبة السلطان، ولطول العشرة دالة تقيم الملوك مقام النظراء
والاخوان، ولا ذنب الا وله في العفو ساحة عريضة، كما انه لا ذنب الا وله
من العذر مسافة قصيرة، وانما المدار على الرضى فانه يقرب البعيد، و
على الغضب فانه يبعد القريب، اللهم الله رؤسا نا عنا الرضى واتم لنا
باحسانهم الينا الحسنى، قد علم الشيخ اني منذ كنت لم يسم خدي عذار الهوان
ولم يوضع على قبتي نير التبذل والامتحان، ولم تطرق الايام حريم عرضي
فتنهكه، ولا نالت ستر صيانتي فتهتكه، ولا ماء وجهي فتسفكه، ولقد اخترقت
البدو والحضر، ودخلت ديار ربيعة ومضر، فما رايتني بحمد الله تعالى اتاخر
عن رتبة، ولا تخلف عن الغاية في موطني رغبة او رهبة، ومع اني ذاك

سكو الشباب وذل الاغتراب والقوم قد باينوني بالنسبة، وفارقوني بالتربة وان عرضا صنته في غير مظنة الصيانة لجدير ان لا اهينه في غير موضع الاهانة، فقد يبتذل الشاب يقول تصون اذا شبت، ويمتهن الغريب يقول تعزز اذا ابت، فاعذر من يحتمل الذل وقد رجع الى الوطن من الغربة، وخرج مرحلا لشبيبة الى الشيبة، وهل وراء الغاية منزلة، ام هل بعد الشيب الا الموت مرحلة، وورد على كتاب سيدي يدعوني ومثلي لا يجيب داعي القول دون ان يصدق داعي الفعل، وبالجملة انا قد تفارقنا على حالة فان كنا عليها والتقينا فيها فآخر التلاق اول الفراق ولا يبرح من هذا اللقاء غير تجريح فراق جديد وتولد حزن حديث والمرة من الفراق مرة فكيف المرتان والسهم منه نافذ فكيف السهمان وان كنا تغيرنا عن تلك الخلق ومشينا في غير تلك الطرق فيجب ان ندل على ذلك بالاحوال لا بالاقوال والشيخ خليق ان لا يفل سيفا شحذه، ولا يضيع علقا اتخذه، ولا يعطش زرعا سقاه، ولا يميت خاطرا احياه، ولقد ارخيت عنان خطابه ووسعت ذرع عتابه ولكن لا خير للشيخ فيمن لا يحمي عرضه ولا يسخو عن بعضه الا اذا افسد بعضه، ويد الشيخ اطول من لساني وامره امضى من قلمي وبناني فليبلني لين مسها وانا بعيد كما نالتني خشونتها وانا قريب وليعلم انه متى اراد في خير ارجف به الناس وحملته الى الانفاس وكان اول رسله الى عزمي المتذبذب وقلبي المتقلب وفي الارض متحول، وعلى الله المعول

وكتب الى ابي محمد العلوي

بكتب الانام كتاب ورد	فدت يد كاتبه كل يد
يخبر عن حاله عندنا	ويذكر من شوقه ما نجد

وورد كتاب السيد اطال الله بقاءه، واجزل من كل خير قسمه، ووفر منه سهمه وجعل امسه يحسد يومه، ويومه يحسده غده، فرتع الطرف منه بروضة ممطورة، وحلة منشورة، ولآلى فرائد منثورة، وجال منه الخاطر في حكم

لا تعرف ولا تجهل، وفقر لا تترك ولا تستعمل، وفصول يحسد عليها الخاطر
الناظر عند الرؤية، ثم يحسد عليها الناظر الخاطر عند الروية، وجعلت
انافس فيه البياض الذي يحتوي عليه، واغبط به المداد الذي جرى في طرفيه،
واتمنى لو كانت اعضائي كلها نواظر تبصره، وخواطر تتذكره، والسنة تكرره،
على شريطة ان يكون الناظر لا يمل لحظا والخاطر لا يكل حفظا، واللسان لا يغول لفظا
فسبحان الله كيف جعل محاسن القول والفعل الى السيد محشورة، وعليه
دون الانام مقصورة، وكيف لم يرض له بان يسود العالم شرفا ونسبا حتى
سادهم علما وادبا، وكنت اعتقد ان الكتابة سوادية ونبطية، فانا الآن اعتقد
انها خراسانية وعلوية، وكنت ارى ان المحاسن في الناس متفرقة،
وانا الآن اراها في واحد مجتمعة، وكنت احسب قول الحكمي

وليس على الله بمستنكر ‏ ‏ ان يجمع العالم في واحد

كلام مسهب، وملق متكسب، حتى علمت انه قال ما لا يمتنع امكانه، ولا
يتعذر وجدانه، وليت شعري ماذا اقول في هذا الكتاب وقد سد على
مسالك الصفات، وحمى على قلبي ولساني موارد التشبيهات، فلذا ان وقفت
وقد اجريت لساني، وتوسطت ميداني ذلك على عرقي في الكوادني، وانسلخت
عما سمي بلبنيه السيد بشهادته لي من المحاسن، وان جريت وقد سد على توسعة
انفاس بياني، وافترع دوني بكار الالفاظ والمعاني، ناديت على نفسي بانه السابق
وانا اللاحق، وشهدت له علي بانه المسرق وانا السارق، ولكن الحازم يختار خير الشرين
ويجمع بين المتماثلين، وانا استخير الله تعالى، واعدل عن الاولى الى الاخرى فاقول
هذا الكتاب احسن من كل حسن، الا من وجه كاتبه، ومن خلق صاحبه، واغرب
من كل غريب، الا من السيد في زمان لا يسع فضله، ولا يقتضي مثله، واعجب من كل
عجيب، الا من قيامي اعزني الله مقام المجيب عن كتاب اقصى غايتي ان اذريه
واوسع خطي همي ان ارويه، وانور من كل نير، الا من اوقاتي بلقاء السيد فانها
اوقات ايامهن قصيرة، وسرورهن طويل، وسعودهن طوالع ونحوسهن افول
واجل من كل جليل، الا من مقدار اوبة السيد الى بلد هو حال باوبته، عاطل

بغيبته، عامر به وان خلا من سواه خراب بمنه، وان جمع العالم الا اياه، و
تعرفت فيه من خبر سلامته ادامها الله له، ولى به، ما اوجب صيام ايام دهرى
وقيام ليالى عمرى على ان تكون الايام فى طول يوم يزيد بن الطثرية
والليالى فى وزن ليالى النابغة الذبيانى اردت بقول ابن الطثرية

ويوم كظل الرمح قصر طوله   و بقول النابغة   وليل اقاسيه بطيء الكواكب

لا بل على شريطة ان تكون شمس النهار كشمس ذى الرمة التميمى
ونجم الليل كنجم العباس بن الاحنف الحنفى اردت بقول ذى الرمة والشمس
حيرى لها فى الجو تدويم، و بقول العباس بن الاحنف الحنفى

والنجم فى جو السماء كانه   اعمى تحير ماله قائد

لا بل على شريطة ان تكون صفة الليل كما قال خالد الكاتب
وليل المحب بلا آخر، وصفة النهار كما قال الآخر

ويوم كان المصطلين بحره   وان لم يكن جمر قعود على جمر

ولئن اصبحت كل ايام الزمان صائما، وكل لياليه قائما، شكرا لله تعالى على
سلامته، ثم تصدقت بعد ذلك بعدد نخيل البصرة، وآجر الكوفة بل بعدد رمل
الدهناء ونجوم السماء بل بعدد العالمين وعدد نبات الارضين بل بعدد قطر
كل بحر، وتربة كل بر، وسراب كل قفر، وحوادث كل دهر، وخواطر كل صدر، بل
بعدد فضائل على بن الرضى ومحن محمد بن العباس الطبرى، فانها اكثر من الكثير
واكبر من الكبير، لم اكن وفيت النعمة على مهرها، ولا قدرتها حق قدرها، ولا
بلغت غورها، ولا اديت شكرها، ولا وفيتها بعض قيمتها ولا عشرها الا انى
لما عرفت قصورى عن قضاء الحق ووقوفى دون ادنى مسافة الجهد والطوق
قلت كلمة جعلها الله ثمنا لجنته ورضى بها ثوابا من نعمته وهى الحمد لله رب
العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد واله الطيبين وعدنى السيد من
سرعة رجوعه عدة اخشى ان يحمله لؤم دهره على الرجوع فيها وان يعلمه
تنغيص ايام السرور بها فان الدهر بئس المعلم لبنيه وبئس المثال لمن يحتذ يه
وعبدك بالسيد لا يرجع فى هبة ولا ينظر فى اعقاب صلة، ولا يندم على حسنة

اللهم الا ان اكون اصبت كرمه بعيني حبي له وعجبي به فان عين الاستحسان
آفة من آفات الاحسان وفرط عجب العاشق بالمعشوق باب من ابواب
التغير التنكر وسبب من اسباب التنقل والتحول وانا والله اتهم على السيد عيني
وان كنت لا اتهم قلبي وارضى لمودته نيتي وان كنت لا ارضى لها طاقتي

لي لسان كانه لي معادي	ليس ينبي عن كنه ما في فؤادي
حكم الله لي عليه فلو انصف	قلبي عرفت قد ر ودادي

قرأت الفصل المسجع فشغلني الاقتباس منه عن الجواب عنه ولقد
عمد السيد الى كل سجعة منتخبة في زاوية ملقاة في ناحية فالجمها بلجام
وقادها بزمام وغبر بها في وجه سجعي الملترق وكلامي الملفق وضربه
ضربا آلم الخاطر وان لم يجرح الظاهر وينكأ في الفهم وان لم يؤثر في
الجسم واوجع الضرب ما لم يكن معه البكاء واشد الشكوى ما لم
يخففه الاشتكاء ومن بلغ من البلاغة مقداره واقتدر على التصرف
اقتداره واحسن ان يسيء في معرض الاحسان وان يعطي في اثناء
الحرمان وان يمدح مدحا حقيقته هجاء ويظهر رضى باطنه استبطاء فها انا
ايد الله السيد نتيجة لعوق الفدامة وجريح الخجل والندامة اذا اشتهيت لقاءه
لشوقي اليه وتلهفي عليه آثرت غيبته لحيائي منه وقصوري عنه فويلي من فراقه
اذا نأى وويلي من لقائه اذا دنى وكما قيل يا عبرة مقبلة ويا سهوة مدبرة ولكن

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا	على ان قرب الدار خير من البعد

جعل الله تعالى اوبة هذا السيد على حالة تحكي وجهه ضياء وخلقه
سناء ومجلسه بهاء وقدره علاء وعقله صفاء وقلبي له نقاء وودي
له بقاء ونيتي فيه استواء وتراب تشيعي له ولاهل بيت هو فيه زكاء ونماء
واراني الله تعالى فيه من الصنع الجميل ما يستغرق نثر كل ناثر ونظم كل ناظم
شاعر ويقع وراء ذكر كل ذاكر وشكر كل شاكر ولا زالت ايامه تصبحه بكل
فتح وتمسيه بكل نجح وتلاقيه بسعد وتصافحه بجد وتزوره
بجد وتودعه بحمد لياليها اسحار وظلماتها انوار وطوال اوقاتها قصار

ان الليالى للانام مناهل	تطوى وتبسط بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة	وطوالهن مع السرور قصار

وما ارضى للسيد دعائى بان يخرج على مقدار همتى، وينزل على حكم قدرى
وقيمتى، ولكنى اقول جعل الله تعالى رزق سيدى فى سعة همته، وماله فى كبر
قيمته، وعيشته فى حسن شيمته، ونعمته فى كثرة نعمته، ليكون عاذرى ما اخلا
ومدحى له مقابلا، وذكرى له بالجميل من كل جانب معا ومخولا، ولتكونا قسما
وصفه متعالية واجناس فضله متماثلة، ذكر السيد انه كتب جواب كتابى من الظهر
الى العصر، ولقد استبطأته مع ما اعرفه من بعد غوره، وغزارة بحره،
ولكنى غلقت لهذا الجواب بابى، وارخيت له حجابى، وضممت الى شتى كتب آدابى
وجلست من الدواوين بين آل الخراج وآل بويه، ومن بنى الخصيب وبنى
مقلة، ونشرت من المقابر آل يزداد، وآل شداد، وحشرت من الآخرة ابن المقفع
البصرى وسهل بن هرون الفارسى، وابن عبدان المصرى والحسن بن وهب الحارثى
واحمد بن يوسف المامونى، ووضعت عن يمينى عهد اردشير بن بابكان، وعن
يسارى كتاب التبيين والبيان، وبين يدى فصول بزرجمهر بن البختكان، وقبل
ذلك رسائل مولانا الصاحب عين الزمان، وزين الشيب والشبان، فما زلت
اسرق من هذا كلمة، وانظر من ذاك فقرة، واستعير من هناك نادرة وثيقة،
اغصب الاحياء على بيانهم، وانبش الموتى من اكفانهم، وانا فى اثناء ذلك رطب
اللسان بالدعاء، رطب العين بالبكاء، ادعو الله بالتوفيق والتسديد، و
بالعصمة والتأييد، واسأله ان يحفظنى من نفسى، فانها اعدى الاعداء، ومن
عجبى فانه ادوأ الادواء، ثم قمت فصليت ركعتين ختمت فى كل ركعة منها
ختمتين، واستعذت بالله من الشيطان الرجيم، وقلت بسم الله الرحمن الرحيم
وابتدأت فسودت هذا الكتاب كله، ثم نظرت فاذا انا قد تعبت وحبط العمل
وانفقت مالى وعجز الجمل السيد ابو الحسن اكثر الله فى ابى طالب مثله، ولا
سلبهم جماله وفضله، فان كون مثله فى ابى طالب رغم لانوف النواصب وهيهات
لقد عظمت غلطا، وسألت الله شططا، فنحن معاشر الشيعة انحس

وحظنا من الاقبال بخس من ان يفلح فى الدنيا طالبى، او يبقى فيها ناصبى، ومن حصل مثل السيد والداً فقد حصل المجد تالداً، وحق لمن كان السيد اباه، ان يكون من الكرام اخاه، فيستويا بالانتماء اليه فى الميلاد وان اختلفا فى الولادة، فهذا بضعة من خلقه، وهذا شعبة من خلقه، و من استقى عرقه من منبع النبوة، ورضع من ثدى الرسالة، وتهدلت اغصانه على بيعة الامامة، وتبجبحت اطرافه فى عرصة الشرف والسيادة وتفقأت بيضته عن بلدة الطهارة، وتناول المعالى بيد طويلة، وخطو اليها عن غاية قريبة، لم تستكبر منه حسنة وان كبرت، ولا تستصغر منه سيئة وان صغرت، فامتع الله هذا السيد بهذا الولد الذى لو لم ينتم اليه قولا لانتمى اليه فعلاً، ولو لم نعلم ولادته من طريق الضرورة، لعلمناها من طريق القياس والفكرة فان لسان الشبه ناطق، وشاهد النجابة عدل صادق، وقد تكرم الاعراق فتخونها الاغصان، وقد تسبق الشيوخ فتتخلف عن مضمارهم الشبان، ولكن بنو طاهر بنوا طاهراً، كما زان اباه طاهر، فكم من اناس لهم اول وليس لاولهم آخر، طولت على السيد بكلام اسفيه باجى قليل العظم، مفصل النظم، داعية الى التكرار والاختصار، يمشى فى طريق الاقتدار فان راى السيد ان يعيى هذا الهذيان اذناً واسعة، ونفساً صابرة، و يتضاحك له تضاحك المعجب به ليغلط به العامة، وان عم فيه الخاصة، فعل.

وكتب الى تلميذ له قصيدة ليسئله نسخة قصيدة مما احدثه

وصلت القصيدة الغراء الزهراء، فكانت ارق من الماء، بل من الهواء، والذ من الصهباء، واسر من اللقاء بين الاحباء، ومن هجوم السراء على غب الضراء واعذب من مغازلة النساء، ومن مجالسة الندماء، ومن مساعدة القضاء ومن معاقرة الشراب على الغناء، ومن استماع فوائد الحكماء وخطب البلغاء وقلائد الشعراء، ومن اخذ جوائز الامراء وتحصيل مراتب الخلفاء، فكانت معانيها ابدع من الوفاء، واعز من السخاء، واغرب من النصفة فى الاصدقاء

ومن الامانة في الشركاء، بل اغرب من المغرب العنقاء، والفاظها احسن من البدر
في الظلماء، واطيب من وصال الحسناء، ومن افتراع العذراء، ومن الشماتة
في الاعداء، بل كما قالت الست سكينة بنت امير المؤمنين الحسين رضي الله تعالى
عنهما: كنت احسن من السماء، واعذب من الماء، لا بل كانت اهنأ من الشفاء
بعد الداء، ومن الرضا عقيب البلاء، ومن النعماء في اثر البأساء، ومن استجابة
الدعاء، وتحقيق الرجاء، وفتحتها عن الوشي الوشاء، وعن الروضة الغناء،
لا بل نشرتها عن الزهرة الزهراء، وعن الغرة الغراء، وعن الدرة العذراء، و
رايتك نطقت بها وعن يمينك التأييد وعن يسارك التسديد ومن ورائك
الجد السعيد، وانما صنعتها صنع من طب لمن حب فاني اشهد انك اطب من كل طبيب
واني اليك احب من كل حبيب واذا صدر الكلام عن صفاء ود، ونقاء عهد وخروج
من متفضل الى مستأهل حضره من التوفيق اذن واعية، وهمة كالية وصحبه
من التسديد عين راعية، وقوى مراعية، ولم يكن للخطأ طريق اليه ولا
للخطل مجاز عليه وانما يزن القول بحسنه القائل على مقدار حصة من يهديه
اليه ورغبته فيه وموضعه منه وانت ايدك الله تتحفني بما لا استأهل الا
على قدر حصتي من قلبك وموضعي من حبك ولو عاملتني على طريق المجازاة
لا على طريق المحاباة، لخرج لك على غلط كثير، وحاصل كبير، وقد حملت اليك نسخة
كلمة قلتها، فرضيت بها عن شيطاني وصالحت لها قلبي في لساني، ولعمري
لقد كلتها من جراب الدق، ووزنتها من كيس اللب وعبأتها من ربعة الخاصة
ونسجتها على منوال النصيحة، وقلبت لها جريدة التصفح والتخير و
نشرت فيها صحيفة التدبر ونطقت طرفها من اللفظ المستبدع ومن المعنى
المودع، وصقلتها بمدوس النظر وجلوتها بكف الفكر، ووكلت بها من التمييز
جفنا ساهرا، ولحظا باصرا، حتى دارت في كوكب النظافة، وخرجت في معرض
الظرف واللطافة، وحتى بدت عروسا تفتن الناظر، وتغطي المناظر، وحتى
حذيت حذو الحضرمية ارهفت، واجادها التحسين والتلسين

وكتب الى الحاجب الوزير ابن عباد وقد وردت عليه كتبه ثم انقطعت

اما قصور اجوبة كتبي فاني لا اعاتب الحاجب عليها، ولا اوجه الشكاية عنه اليها، فانا ولا كفران لله تعالى في زمان يجب ان يجري الجفاء فيه مجرى العادة والسجية، ويضعه موضع السنة بل الفريضة، وينفيه مقام الجبلة والشيمة فنظر الى حفظ العهد بعين الشماتة والطرفة، وينزله منزلة الغريبة والنادرة، ويحكم عليه بنقض العادة وخلاف الجملة، على اني مذ كنت استثني الحاجب من غيره واميزه بالفضل وسائر خصال الخير عن ابناء دهره، واعتقد اني قد ضممت يدي منه على فخيرة ليس للزمان فيها عمل، ولا عليها للحوادث والغير مدخل، فان صدق ظني فقد غرست في ارض كريمة، وبنيت مسألتي على علة صحيحة غير سقيمة وان تكن الاخرى فعادة من عادات الايام، وغلطة من غلطات الاوهام، وعين عاينة من عيون المجد، وعارضة من عوارض الوفاء وصحة العقد، وماخلوت منذ تفارقنا من نفس تتقد فيه الاضلع، وذكر تفيد له الادمع، ولا انسى تلك الايام الطويلة القصيرة بصحبته، والليالي المظلمة المقمرة بطلعته، ولا انفكر في صغر حجم المقام، وتقارب خطو تلك الايام، الا انشدت

لما استتم عناقه للقائه		حتى ابتدأت عناقه لوداعه	

واذا كان في قصة الشعراء، وفي شريطة الوصافين والبلغاء، ان الوقت الطيب قصير وان لم يقصر، كما ان غيره كبير وان لم يكبر، فعلى هذا القياس ان ايامنا كانت قصيرة مرتين، وقليلة من جهتين، اما الاولى فقصر الامد وقلة العدد، واما الثانية فصفاء الوقت من الكدر، ونقاؤه من وضر الحوادث والغير، فسبحان من جعل محنتي زائدة على محن الناس، وفاضلة عن معاسير العادة والقياس، حتى ان نقصان اوقاتي المسعودة، وايامي المحمودة، حصل مثنى مثنى، ورجحانها يحصل فرادى فرادى، كما ان نحوسه لا يعجبان يجيئني الا غريبة عجيبة، ولا يمكنها ان تسلك طريقها الى حتى تقود جنيبه، وصلت الرسالة والقصيدة، وكانت الاولى ماء زلالا، والاخرى سحرا حلالا، وما منهما الا قريب شاسع، ومطمع مانع، كالشمس تقرب سناء، وتبعد سناء، وتنال ضياء، وتبعد علاء، وكالماء يرخص موجودا

ويغلو مفقوداً، ورايت فيهما من غرائب الرجحان ما نقض عادة التباين حتى لقد قامت الحيرة منهما في وجه علمي، وحتى لقد توقفت بين فهمي ووهمي، والآداب كلها زين، وهي اذا تكافات ازين، والمعارف كلها حسنة وهي اذا تقابلت اجمل واحسن، والكتابة آلة عجيبة، وهي من الشاعر اعجب كما ان الشعر صناعة غريبة، وهو من الكاتب اغرب، واذا ورد على من الحاجب كلام فضلته على ما قبله، واستثنيت في التفضيل ما بعده لعلمي انه قد امتطى من الاقبال مطية لن تقف به الا على الغاية، وسلك من السعادة طريقا يؤديه الى الزيادة، وابتدأ في وظيفة من الجمال لن تختم له الا باقصى غاية الكمال، وانا اسأل الله تعالى ان يجعله في هذه الصناعة مجتهداً يهتدى باثره، ودليلا يورد بورده، ويصدر بصدره، وان يقيم لكلامه علماً يؤمه البعيد، ويستذكى به القريب انه قريب مجيب، والحمد لله الذى جعل الحاجب يضرب في المحاسن بالقدح المعلى، ويسمو فيها الى الشرف الاعلى، ولم يجعل فيه موضعاً للولا ولا مجالا للالا، فان الاستثناء اذا عرض في الكلام نضب ماؤه، وكدر نقاؤه وصفاؤه، ونطق فيه حساده واعداؤه، ولذلك قالوا ما املح الظبي لولا خنس انفه وما احسن البدر لولا كلف لونه، وما اطيب الخمر لولا الخمار، وما اشرف الجود لولا الاقتار، وما احمد مغبة الصبر لولا افناء العمر، وما اطيب الدنيا لو دامت واستقامت

	للمجد لكنه يأتي على النشب		ما علم الناس ان الجود مكسبة	

وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم

ورد كتاب الشيخ فاورد من السرور اضعاف ما كان فيه من السطور بل اعداد ما كان فيه من الحروف بل اضعاف ذلك بالالف بل الوف وفهمته اما ما ذكره الشيخ من انثيال الناس عليه يستعيرون ونسخ كتبي اليه فانما حملهم على ذلك عجبه بي، وصار سببا لعجبه بكتبي، وصار ذلك داعية الناس الى عجبهم بها، وحاملا لهم على انتساخهم لها، وهم في ذلك

رجلان أما أحدهما فإنه يتبرك باتباع رايته والسير تحت لوائه، وأما الآخر فإنه يتقرب إليه بمجانسته، ويتشرف بين الناس بمناسبته، والأفهذه الكتب أيسر متونا، وأقل عيونا، من أن يفخر بها مليء أو يرغب فيها مستمل أو تشغل بها الأقلام والدفاتر، أو يوقف عليها ناظرا وخاطرا، أو يحرص عليها كاتب وشاعر، ومما يحملني على التجوز فيها، وينهاني عن الاحتشاد والتكلف لها، أني أصدرتها إلى حضرة من إذا رأى سيئة ستر وغفر، وعذر واعتذر، وإن رأى حسنة نشر وأظهر، وقرر وكرر، وفكر وصور، وجعل الخمسة عشرة، والعشرة خمسة عشر، وسيوصل كتابي عند هذه الكرة إلى الشيخ مشبع الفصول، ضافي الذيول، وافي القسم من العرض والطول، فقد وافق مني هذه الكرة ساعد فصادا وهوى لا لة، و أورث الكلالة والملالة، وعاجلني الفتح ملازما بالباب، مطالبا بالجواب، مجاوزا باب المسئلة إلى باب العتاب، فكتبت وسحر البديهة عازب، وماء القريحة ناضب

وكتب إلى كاتب الرئيس بنيسابور

ليت شعري ما صنع بعدي العهد بقلب سيدي، هل غيره عما عهدته عليه من إقامة رسوم الود، وتوثيق أطناب العقد، أم هب عليه رياح التنقل والتحول، ومد إليه يد التغير والتبدل، فإن ذلك صنع الأيام بالقلوب في تقلبها يمينا وشمالا، وتلونها حالا فحالا، بل ليت شعري هل نسي سيدي من لا ينساه، وسلا من لا يسلاه، واستبدل بمن لا يريد إلا إياه، ولا يتعاض من لقياه غير ذكراه، وهو صديقنا أبو بكر الخوارزمي الطبري أعزه الله تعالى أم هو على رغم ظني به وكذب همي عليه ثابت ركن الصفاء، صافي شرب الإخاء حافظ على الغيب ما كان يحفظه على اللقاء، فقد علم الله أنه تقاسم قلبي هذان الظنان وتنازعني في علمي به هذان الطريقان، فإن ملت إلى أولهما وهو أغلبهما علي وأقربهما إلي ذهبت في القياس بالناس على مذهبها شديدا، ووقف بي سوء الظن بالزمان وأهله موقفا قريبا بعيدا، وإن ملت إلى الثاني فسيكـ

ايده الله تعالى يستحق ان يستثنى من غيره، وان يحكم له بحكم يباين به اهل عصره، وان يكذب فيه الظن اذا نسبه الى مجانسة الدهر، ويرد له القياس اذا قضى عليه بمعاونة التلون في الغدر، وانا الآن في هذه الجملة واقفي وعهده بي لا اتواضع لمذهب الواقفية، ومرجئ وما كانت تطمع في مثلي شبابك المرجئة فكيف عاتب سيدي بل كيف عاقبه بل كيف خاصمه واواثبه بل كيف اطاعنه واضاربه واقاتل جنته على غيبته اني كنت معتزليا، فصرت مرجئا وقاطعا على صحة مذهبي فعدت به واقفيا، هذه اصغر جنايات فراقه علي و اقل صنيع وداعه الي ثم اني بعد هذا كله طويل الليل منذ فارقته بل قصيره وقليل الانس بعده بل كثيره، اما طول ليلي فلتذكري طول غيبته، واما قصره فلقطعي له بتمني اوبته، واما قلة انسي فلبعده عني الآن واما كثرته فلتمثلي قربه الآن ولتصوري طلعته في قلبي وعيني ونظري اليه عن مرآة من هاجسي وظني على انني ارجو ان خطو ايام الفراق قد قصر، وان حجمها قد صغر، وان سيدي وارد قبل ان يبرني بالجواب عن هذا الكتاب ولعمري لئن ورد علي قبل ان يكتب الجواب الي لقد بر الكاتب وان عق الكتاب فيكون قد بر بالكبير الكبير، وعق في الصغير الصغير، ولان يونس عيني بلحظه احب الي من ان يونس سمعي بلفظه، وان كان كلامه في نفسي ماء زلالا، وفي اذني سحرا حلالا، وكلام الحبيب حبيب وكل شيء من القريب قريب قال جرير

ان البلية من يمل كلامه ... فانقع فؤادك من حديث الوامق

وقال غيره

واذا كرهت فتى كرهت كلامه ... واذا سمعت غناءه لم تطرب

اردت مكاتبة الرئيس ثم اشفقت على سمعه ان املأه بالكلام الغث، وعلى ناظره ان اشغله بالخط الرث، ورأيت رثاء بلاغتي قصيرة، وقيمة الفاظي التي فيها اقل واحقر، من ان اعرضها النظرة، وامرها على سمعه وبصره، و اتعرض بها للخطة اسلم طرقها طريق العذر، وآمن مسالكها مسالك التغافل والستر، ومن فطن لعيبه فقد استتر، ومن عرف ذنبه فقد اعتذر، ومن

مدیداً قصیرة لیتناول بها غایة بعیدة فقد استهدف لسهام التوقیف و
قعد علی قارعة التقریع والتعنیف وسیک یعتذر عنی الیه ویقرأ سلامی علیه
ویعرفه عنی انی عدت نیسابور رستاقا اذا غاب عنها واعدّ الرساتیق قصبة
اذا اقام فیها وانی لا آنس بشیٔ اذا غبت عنه کالا استوحش من شیٔ انما
قربت منه والله تعالی اسأل ان یرد علی نیسابور بهاها ویعید الیها بطلعته
سناها وضیاها ویجلی بشمسه ظلماها وان یجعل نعمته علیه الوفا لا
عزوفا فان النعمة اذا الفت قرت واذا عرفت فرت لانها لا تألف لا مکانا
لتزین بنزوله ولا تقیم الا علی باب لا تأنف من دخوله ولا یطول مکثها الا
فی بیت للشرف فیه مجال وللمادح فیه مقال وللادب فیه مرح ولعصا
الامل فیه مطرح فان اصابت مثل هذا المکان نفضت غبار الترحال و
نسبت حدیث الزوال والانتقال وخالطت خلطة الشرکاء وواصلت وصلة
الاقرباء وصارت من الاجداد الی الآباء ومن الآباء الی الابناء واذا کان
نزولها فی مکان هی فیه غریبة احتشمت حشمة الغرباء وانقبضت
انقباض الاجانب البعداء وتقلبت الی الارتحال واقامت بین الدلال والادلال
ولم یکن مقامها الا عدد ایام واضغاث احلام وانما النعمة انثی ان اصابت
کفوا ناکحت واذا صادفت غیر کفو سافحت فهی تقیم مع اکفائها الشهر
والدهر وترحل عن غیر اکفائها الظهر والعصر واین یقع مقام الخلیلة
خلیلها وان ما اسمه الحق وبنته الشریعة خیر مما اسمه الباطل وبنته
البدعة والله تعالی یطیل بقاه ویجعل من یحسده فداه

وکتب الی ابی الحسن الحاکم بن ابی حاتم لما هرب من نیسابور
الی بخارا بعد ان اراد والقبض بما علیه وبعث خلفه فلم یجده

ما زلت انشد ایدک الله الحاکم قول الاول

رب امر تتقیه	جر نفعا ترتجیه	خفی المحبوب منه	وبدا المکروه فیه

فانظر الی تنزیله ولا اقف علی حقیقة تأویله وارى ظاهره ولا

استشف باطنه، حتى خرج من خروج الحاكم ما جرى ووقى الله من المكروه في ذلك ما وقى، فعلمت حينئذ ان الطاف الله تعالى تسير الى عباده في طرق خفية المذاهب دقيقة الجوانب وان السلامة ربما نشأت في معرض الخطر وان الامن ربما ظهر في قالب الخوف والحذر، وانا الشيئ ما امرنا ان نستعيذ من شر ما ندري وما لا ندري، وما كنت اشعر ان فراق الصديق يسر، وان الاجتماع معه يضر، ولا كنت اصدق ان الداء يستحيل دواء، ولا ان الدواء يجلب داء، ولو رايت في المنام اني فارقت الحاكم ولم يتفطر عليه كبدي حرقات، ولم تذهب نفسي في اثره حسرات، لتعوذت بالله من شر منامي، وسألت العافية من طوارق احلامي ولظننت ان تلك الرؤيا نتيجة فكر ردي، وبخار خلط سوداوي، واني انما دفعت في منامي الى مثل هذا التخليط، لاكل الباذنجان في القنبيط، فانهما منابع السوداء على مذهب الاطباء، والآن فقد فارقت الحاكم وانا ضاحك السن قرير العين قليل الحزن جلد على وقع سهام البين، لاني رايت العافية وهي متعلقة بذنب رحيله عنا، والى البلايا وهي مشتملة على قربه منا، فاخترت على مقامه رحيله، وآثرت اغتما مي له، وقلت يا عين لان ترى فراق ما تحبين خير من ان ترى فيمن تحبين ما تكرهين، فالحمد لله الذي اقصى بي من المكروه الى اخف وقعاء، واقله لذعاء، وانتهى بي من المحنة الى غاية لم تستغرق اقصى امكان الدهر ولم تستوعب بعد غايات التجلد والصبر، وما نقص من الشر، فهو زائد في اقسام الخير، وما وقع من المكروه فهو محبوب وان كره ظاهره، ومحمود وان ذم عاجله، وما كنت احسبني اعيش حتى احمد الله على فراق الاصدقاء، و اتكلم في مواقف الضراء، بما يتكلم به في مواقف السراء، ولقد اغرب على الدهر وما كنت اظن يغرب علي ويزيد من بوادره على ما لدي، هذا ايد الله الحاكم وقد بث الاعداء شباك الغدر، ونصبوا حبائل المكر، واستفرغوا في السعاية جهدهم واخرجوا اقصى ما عندهم، فابى الله تعالى وله الحمد الا ان يقع في البئر من حفره وان لا يحيق المكر السيئ الا بمن مكر، وخرج الحاكم من غيابة تلك الاهوال خروج المشرفي من الصقال وقد فديت عنه عين الزمان، وقصرت

دون خطوة الحدثان، اذا اذن الله فی حاجة، اتاك النجاح بمايركض اذا الله سنی
عقد شیٔ تیسراء والحمد لله الذی لم یری فی وجه الحق اسود، ولا ناظر العدل و
التوحيد ارمد، ولم يشمت الناقص بالفاضل، ولم يضحك الحق من الباطل
ثم الحمد لله الذی جلی تلك الضبابة، وقشع تلك السحابة، وغسل عن جميع
عن وجه اهل الحق تلك الكآبة، ثم الحمد لله الذی ختم للحاكم بالمصير الی حضرة
لتوقوف عليها الرجال، وعليها تحوم الهمم والآمال، واليها تنتهی الرغبة والسؤال
فلا مجاز لهمة خلفها، كما لا منتهی لها دونها، ولا غاية لطالب قبلها كما لانهاية
له بعدها، وارجو ان الدهر المحارب قد سالم وان البخت المعاند قد سلم، وان
مدة الفترة قد تناهت، وان غاية المحنة قد انتهت، وان عسكر النحوس قد
عزم على القفول، وان نجم الهم قد اذن بالافول، وانا بعد هذا كله اتعجب
من كثرة قولی الحمد لله ثم الحمد لله واقول هذا حمدی على فراق الاصدقاء
فكيف حمدی على اللقاء، وهذا شكری على المحنة فكيف به على المنحة
وقد كان مات لعبد الملك بن مروان ابن فقال الحمد لله يقتل ولا دما
ونحبه، وانا اقول الحمد لله الذی فرق عنا اخواننا ونحمده،

وكتب الی وكيل الوزير ابن عباد باصفهان وقد ولی سوق الطعام بعناية فوجهه

كتابی وقد علم الله تعالی ان امرك مستول على افكاری وشاغل عن ساعات
ليلی ونهاری، فانك بصدد شغل ان كفيته لم تشكر، وان عجزت عنه لم تعذر
اذ كان الاحسان فی شرطك، والاساءة غير مظنونة بك، والذی اراه لك
ان تقسم لكل ساعة حقا من نفسك، وتصرف الی كل وقت طائفة من شغلك
ولا تبيت ليلة الا وقد قضيت وظيفة يوما، ولا تمر بك ساعة الا وقد توفرت عليها
بقسمها، ولا تؤخر عمل اليوم الی الغد، ولا تهمل نفسك فی شغل السبت الی
الاحد، فان الاشغال اذا تزاحمت اعمت الناظر، وشغلت القلب والخاطر
وبلدت الكافی والماهر، وكيف مثلك وانت اعزل اليد من سلاح الكتابة
مصروف عن اعظم حظوظ الكفاية، فاياك وتعريض مالی عندی ولی نعمتی

المنضوبُ ووجهي الشحوبُ وعلي بن سعيد ذو القلمينُ والفضل بن سهل
ذو الرياستينُ واسحق بن كنداج ذو السيفينُ وصاعد بن مخلد ذو الوزارتين
وفي المتقدمين خزيمة بن ثابت ذو الشهادتينُ وقيس بن مسعود ذو الجدينُ
وابن الشريد ذو السهمينُ والنعمان بن المنذر بن ماء السماء ذو القرنينُ و
كعب بن مانع ذو الكنابتينُ وجعفر ذو الجناحينُ وعثمان ذو النورين وفلان
ذو اليدينُ وفلان ذو الشمالينُ وفلان ذو البردينُ وعبد الله ذو البجادينُ و
ابو بكر الخوارزمي ذو الغرامتينُ وذلك اني ثقلت على قلبي بعتي مرة في حوائجي
ثم اثقل عليه اخرى في حوائجك ثانية، على انه ايده الله تعالى واسع الحكمة
طويل الخطوة، كثير التوسع والمسامحة في باب الاموال مع الكمالُ يسامح في
بدرة سائلاً، ويضايق في حبة عاملاً، وكذلك الكريم يتسع من حيث السخاء
ويضيق من حيث الوفاء، ويبتذل ماله تخرجاً، ويحمي دينه تحرجاً، فلا يجهلني
معه على خطة ان اجابني منها الى مرادي استوحش، وان منعني اوحش
ولا تأمن السم باصفهانُ اذا كان درياقه بخراسانُ وفي هذا القدر ذكر
لمن كان له قلبٌ واغاثة على من له لبٌ الاستاذ فلان ايده الله تعالى قد كثرت
كتبي اليهُ وطال عرض صلاحي عليهُ ولذلك لم اكاتبه في هذه العلة التي
عظم موقعها منيُ وجل خطرها في قلبي وعينيُ ولقد اعتل بعلته الكرم
وشكا شكايته السيف والقلمُ وكسفت به شمس الادبُ وتزعزع له عرش
العربُ فانما علة مثله تغير عالمُ وفساد اممُ وخراب مسالكُ واضطراب ممالك
وكرة النقص على الفضل، ودولة الجهل على العقل، ووهن على العلم واهله
وفترة في الكرم وحزبه فالله تعالى يعيد بصحته الى الدنيا ضياءها ويرد
على السحب ماءها، ويجعل ما يستأنفه من عمره، ويقتبله من عيشه مصفى من
الغير، منقى من الوضر، وخالصا من كل خوف وخطر، وصافيا من كل شوب
كدر ليكون ما مضى كفارةً وما بقي نعمة، سيدي فلان قد فطمني عن عادته
الجميلة وارتجع ما كان عندي من عطيته الجزيلةُ وقطع عني كتبه التي اذا وردت
الحسنة على لسانها يدي، وعلى لحظها عيني، واحتسب على ما زاده الله تعالى

جلالة قدره وكمال كمال بدره ولكن تلك الزيادة يحاسب عليها الاعداء لا الاصدقاء فامام بعوث بربه فيها واخذ بقسم منها فلا بل زيادة النعمة توجب زيادة الصدقة وفضل المال يقتضي فضل النوال والتواضع في الرياسة احكم شباك السياسة فاقرأ اعزك الله تعالى سلامي عليه وعرفه اني قد كنت رويت ابياتا والقلب غير مقسم الافكار والحفظ غير كليل الفرار فلما سلبني الدهر ثوب الشباب ومزق على رداء الجمال والكمال نسيتها فلما عاملني سيدي فلان بما ذكرته وذكرتها ولقد احسن الي من حيث رد رواتي علي وان كان اساء بي من حيث ارتجع مني بره وجانس في دهره وقد يتأتى له اثناء كل مسائة منه مسرة وفي ضمن كل جفوة منه مبرة ومن اذا احسن كان احسانه خالصا من كل شوب وصافيا من كل عيب وريب وان اساء كانت اسائته بالاحسان مشوبة والى غير جهتها مقلوبة والابيات

	كفى حزنا ان لا صديق ولا اخ	يفيد غناء لا يدا خله كبر	
	ولا التوى وطن اتك دونه	وتلك التي جلت فما عندها صبر	
	فلا نال فوق القوت مثقال ذرة	صديق ولا اوفى على غيره اليسر	
	وما ذاك الا رغبة في وصاله	والا حذارا ان يميل به الدهر	

وكتب الى ابي القاسم الداودي اول ما افتتح بمكاتبته

كتابي وعزيز علي ان يجمعني والفقيه بقعة او تشتمل علينا جملة والكتابة فيما بيننا دارسة الاثر مهملة الورد والصدر واشد علي من هذا ان افتتح ذلك بسؤال الحاجة او امزج ماءه وبهاءه بتكلف كلفة ولقد حاسبت على هذا نفسي وعاتبت فيه قلبي فرأيت ان جفاء يؤدي الى البر وان ذنبا ينتسب الى العذر عذر وان حاجة حملت على طي بساط الحشمة وعمارة طريق المكاتبة والمباسطة حاجة عظيمة البركة محمودة التفصيل والجملة فعذرت نفسي اعزني الله تعالى قبل ان تعتذر وغفرت لها قبل ان تستغفر ونسيت قول الاول

	واحسن ان يعذر المرء نفسه	وليس له من سائر الناس عاذر	

صحي

حتى كان هذا البيت لم يجر بين قلبي وكتبي ولم يسافر بين جنبي وقلبي و
حتى كأني لم ادرسه صغيراً ولم ادرسه الناس كبيراً وحتى كأني لم ار الديوان
الذي هو فيه والشعر الذي هو بعض قوافيه والعجب لي في هذا
الفصل بينما انا اعتذر اذ صرت افتخر وبينما انا اضع من نفسي لجنايتها
اذ صرت اعد لها لحفظها وروايتها وهكذا من جمع به قلبه وبنانه و
استنزله تبيينه وبيانه بل هكذا يكون من جرى في ميدان الكتابة وهو
راجل ورمى في هدف البلاغة وسهمه افوق ناصل ثم نرجع الى حديث
المكاتبة والله لو كان من الورق اعز من الوفاء واغرب من السخاء و
القلم اغلى من الماء في وسط الدهناء واقل من المغرب العنقاء واعوز
من الكمال في النساء ومن الصدق في الشعراء ومن تورع الربا في القراء والحبر
والمداد اضيق من الانصاف في الاصدقاء وحسن العشرة في الندماء
بل اضيق من امانة الشركاء بل اضيق من خاطر ابي تمام حيث قال قد لك
اتئب افرطت في الغلواء حتى كانه لو لم يقع على احد من هذا الابتداء
لما كان لي عذر في ترك مكاتبة الفقيه وبيني وبينه ثلث الخريطة ومسيرة سبع
القافلة هذا في الظاهر فاما في الحقيقة فبيننا الفرسخ بذراع الميل وخطوة
الفيل فان الخطوة بين المتحابين فراسخ كثيرة ومراحل طويلة عريضة
ما زلت ايد الله الفقيه اورد على قول عمر بن ابي ربيعة المخزومي

يا اهل بابل ما نفست عليكم	من عيشكم الا ثلاث خصال
ماء الفرات وطيب ظل بارد	وسماع محسنتين لابن هلال

فاقول هلا حسد اهل العراق على المتصرفين او الرافدين او على الرطب السابري
والتين الوزيري والعنب الرازقي او على فرضتهم من ماء الساج والعاج وطرازهم
بنوع الخز والديباج لا بل هلا حسدهم على ان فيما بينهم مشهد امير
المؤمنين سيد الاوصياء ومشهد الحسين سيد الشهداء وهلا حسدهم
على ان ارضهم واسطة العمارة في خط الاعتدال بين الجنوب والشمال وهلا
حسدهم على ان الرأي كوفي والاعتزال بصري والخط انباري والحساب سوادي

والتشيع عراقي، وهلا حسدهم على قراء الكوفة، وعباد البصرة، وزهاد الابلة وعلى من هاجر اليهم من الصحابة، ونبغ فيهم من التابعين وابدال الامة، وما الذي خالف به الى ان حسدهم على ظل هو مشترك بين سائر البلدان، وعلى قينتين كسائر القيان، بكل مكان في كل زمان، حتى حدثتني نفسي بمناقضته و حملت خاطري ولساني على معارضته، فاذا انا جالس تحت قول الطائي

نقضنا الحطيئة الف بيت ... كذاك الحي يغلب الف ميت
اذا ما الحي هاجى حشو قبر ... فذالكم ابن زانية بزيت

وتذممت من ان اعارض بلسان خوارزمي، وعقل طبري، وخاطر اعجمي، من لسانه عربي، وعقله قرشي، ونشوه مكي، وظرفه مخزومي، فعدلت عن المعارضة الى المناقلة، فقلت يا اهل هراة ما حسدتكم الا على ثلاث مشهد عبد الله بن معاوية الجعفري فيكم، وكون ابي القاسم الداودي منكم، وحصول شراب الكشمش لكم، وان بقعة خصت بالفقيه لوافرة القسم من الاقسام، معلاة السهم من بين السهام، غير عاتبة على الحظوظ والايام، فلا زالت البقاع ببقائه تضيء وتزهر، و الايام بجماله تتباهى وتفخر، ولا زالت الفصاحة من لسانه في مسكن لا تريد منه بدلا ولا تبغي عنه حولا، ولا زال العلم يأوي منه الى كنف منيع، وجناب مريع، واطال الله تعالى للمحاسن بقاه، ولا سلبها زينه وبهاه، وجعل من يحسده فداه

وله الى تلميذ له وكتب اليه رسالة وقصيدة

وصل كتابك المبشر بخبر افاقتك عن علتك، بشارة لو تصدقت لها بمالي وذبحت لها على وجه القربان اطفالي لكان ذلك صغيرا جللا، ومبلغا مبتذلا، وفي ضمنها القصيدة التي كبرت بل صغرت، وقلت بل كثرت، اما كبرها وكثرها فلجلالة قدرها وعظم امرها، واما صغرها وقلتها، فلانها في جريدة الشعر وحدها، لا مثل لها قبلها ولا بعدها، وفهمتها وتعجبت من اعتذارك بالعلة، وما ارى هذه العلة الا زادتك رجحانا، ولا نقصتك الا نقصانا ونقصان النقصان اول الرجحان، كثر مدحي يدك الله تعالى لما يرد على

من نثرك وشعرك، بل درك وبحرك، حتى خشيت ان يحسب لي زف مدحي الى كل خاطب وابدل شهادتي لكل طالب وان يظن اني قارضك الثناء و اصارفك الجزاء، ولا والله مالي للدنيا استحسان الا والى جنب احسان، و انى لضيق ذرع التزكية والثناء، قصير خطى المدح والثناء، محاسب لقلبي اذا مال ولساني اذا قال، لا امدح الا محمود وحابكل لسان ولا ارضى الا مرتضى بكل مكان ولا اقبل مدلس الفضل ولا اتبع مغشوش القول والفعل ولا يستفزني رعد كل سحاب ولا يستخفني طنين كل في باب وسرعة الشهادة طريق من طرق الخفة، وابتذال المدح والتزكية باب من ابواب الزلة والملق والمجازفة بحساب المقال اقبح من المجازفة بحساب المال لان الغلط في المال سماحة وندى والغلط في المقال حماقة وعيا، واقصى غايات فوات المال ان يكون من صاحبه فقيرا، وادنى غايات فوات الصواب ان يكون صاحبه سخيفا حقيرا، وبين الخسرانين نفس حديد وبون بعيد ومن لم يعرف صرف ما بين النقصانين، لم يعرف صرف ما بين الخسرانين ومن لم يحس بنقص ما عليه لم يحس بفضل ماله، ومن لم يحاسب نفسه سرا، حاسبه غيره جهرا، ومن لم يكبح عنان لسانه وقلمه بيد التأمل ولسان التبين جمحا به الى غاية اولها ندامة، وآخرها ملامة، جعلنا الله تعالى ممن اذا تكلم لم يضع زمام كلامه في يد هواه، واذا شهد لم يلو بشهادته في عنق سخطه ورضاه، وحشرنا في زمرة من اذا تكلموا كانوا غانمين واذا سكتوا كانوا سالمين انه ارحم الراحمين رجعنا الى الحديث الرسالة والقصيدة نظمك ايدك الله تعالى احسن من نثرك ونثرك احسن من شعرك فكل واحد منهما عيا صحي ضا حسنا وجمالا ومثال له تماما وكمالا، فالحمد لله الذي جعل بيانك متكافي الشرف متعادل الظرف والطرف وجعل سماء محاسنك مقابلة لارضها وبعض منا قبك منعوتة ببعضها، ولو انصفتك لاحببتك بقلبين ومدحتك بلسانين كما انك تحسن الي من جانبين وتبرني من لونين ولكن الى غاية ينتهي المدح و عند طاقة يقف المجتهد فاما اعتذارك بالعلة من توقفك دون الغاية، وجريك

في بعض الحلبة، أحسن من المحسن استزادتك منه، وأجمل من الجميل اعتذارك
عنه، والكتاب مذ ورد يد ورد في العيون والأفهام، ويسافر دون الدوى
والأقلام، وفهمت الفصل في حديث المصيبة، وإنما كانت نازلة طرقت ثم
حرت، وشقشقة هدرت ثم قرت، وأنا قابلنا بين حسنات الدهر وسيئاته
ووازنا بين طرفي ارتجاعه وهباته، خرج له علينا حاصل كثير، ولكن الإنسان
إلى الشكاية أعجل، وطريقها عليه أسهل، ولقد أعطتني الأيام حتى صرت
لا أحمدها إذا وهبت، وأخذت مني حتى صرت لا أذمها إذا أخذت وسلبت

وفارقت حتى ما أبالي من انتوى	وإن بان جيران علي كرام
فقد جعلت نفسي على النأي تنطوي	وعيني على فقد الصديق تنام

وكتب الى رئيس من خسروجرد ورد عليه بنية يعتذر من تقصيره اليه

كتابي وقد كنت أخرج إلى إخواني من عهدة تقصيري، وأقر لهم بما في من
عيب تفريطي وتعذيري، وأعرفهم أني في تعهدهم دون مقتضى حقوقهم
وأخرج مما أريد في برهم إلى عقوقهم، حتى اتفق الآن من ورود فلان، ما
كشف عن غيبي، وأبرز من عيبي، ونادى علي بأني صديق مقال لا صديق
فعال، وأن مودتي مجازية لا حقيقية، ولسانية لا قلبية، فأقل ما يجب علي
وقد حضر مثله في داري، أن أنثر عليه صك عقاري، ثم أعتذر إليه
من قلة نثاري، وأن أعتق على وجهه كل نسمة أحتويها، وأحل له كل
عقدة أتصرف فيها، وأصبح صائماً، وأبيت قائماً، ثم أعتد ذلك كله في جنب
الواجب هباء منثوراً، وقليلاً محقوراً، ولقد كنت تذكرت وروده على حين
رجوته وتمنيته، ثم خفته واتقيته، أما رجائي له فحياء اللقيا، وأما خوفي له
فعلماً بقصوري عن بلوغ رضاه، وضعفي عن إقامة شريطة ما يقتضيه حبي إياه

وكنت كبكر تحب النكاح وتفرق من صولة الناكح

وأما ولدك فلان فقد كشفت عن جوهرة كريمة، ودرة يتيمة، وقلبته عن

عقل كثير، وادب غزير، وشعر يحسده عليه الاعداء، وتغبطه به الاصدقاء يلتقط بالابصار، ويخزن في الافكار، وقريحة اصفى من ماء السماء، و واصح من الوفاء، فهو بحمد الله على قرب سناده، وحدوث ميلاده شيخ قدرا وهيبة، وان لم يكن شيخا سنا وشيبة، ووالد من حيث الذكر والمحل وان كان ولدا من حيث العرق والنجر، ومثل والده فلان خرج فاعرب وادب فهذب، وولده فانجب، ان الاصول عليها ينبت الشجر، وليست النجابة في هذا البيت موروثة عن كلالة، ولا خارجة عن سم وعادة، امتعنا الله تعالى بهذا الولد الذي سبق الاولاد، واحيا الاباء والاجداد، وارغم الاعداء والحساد، وكتب اسمه في حسنات الايام، بل في حسنات الانام كما كتب شعره في محاسن الكلام، والهمنا من شكر نعمته به علينا ما يؤمن به بقاءها، ونتمنى معه بهاها، فان النعم اذا ارتبطت بالشكر اقامت سكنة واذا لقيت بالكفران قامت فظعنت، واما ايام فلان عندنا فقد كانت اطيب من ليل المراد، ولكنها اقصر من ساعات الاعياد، ولكني لم استتم عناقه للقائه حتى ابتدأت عناقه لوداعه، وما كان قدومه الا تهييجا للشهوة، وتطرية للشوق الصبوة، وذكاء للقريحة التي كانت تفرقت بالصبر والسلوة، وسبحان من جعل فراقه بالمن الرازي ولقاءه بالمن البغدادي، وجعل مدة غيبته مشاهرة ومعاومة، ومدة اوبته مسايعة ومياومة، ولو انصفنا الدهر لكانت مدة الفراق في اوزان مدة التلاقي، وكان السم بازائه الترياق، سألت فلانا عن جسم سيدي في صحته وعلته، وفي ضعفه وقوته، فعرفني ما سرني فلا زال صحيح الخلق كما هو صحيح الخلق، وقوي الجسم كما هو قوي الدين والعلم، وسليم الاعضاء كما هو سليم الود والوفاء، ولا زالت اوقاته تتنافس بهاء، وتتفاضل حسنا وضياء، يومها وامسها ادون غدها، وقد كنت قبل لقاء فلان رطب اللسان بانشاد

متى يكون الذي ارجو وآمله ... اما الذي كنت اخشاه فقد كانا

فلما فارقته صرت انشد

صلى الاله على من ود عشرته ... واتم نعمته عليه وزادها

وكتب الى صاحب البريد بالري كتبها من اصفهان

قد كنت احسب الفراق يسير الخطب، هين الوقع، قليل التعب، والثقل خفيف الكل والظل حتى منيت بفراق سيدي فعلمت من مقدار الفراق ما كنت جهلته، ووجدت من شخصه ما كنت اضللته، وعلمت من طريق الطالعة والمعرفة وانما كنت اراه من طريق التخيل والصفة، وتذكرت قول جرير،

لو كنت اعلم ان آخر عهدكم		هذا الفراق فعلت ما لم افعل	

ولكني لو علمت اني اقعد تحت اعباء الاشتياق، وانفسخ تحت ثقل الفراق لصحبت سيدي فراشا او ركابيا او طباخا او شاكريا، ولو وسعت اكثر من ذلك لقلت اصحبه كاتبا او حاجبا، او نديما او صاحبا، او مغنيا او ضاربا، ولكنني اخشى ان يتفضل سيدي بقبولي، وينشط لحضوري، ويحملني عند المشاهدة على شرائط المحبة، ويتقدم الي بالخروج من العهدة ويقول بها البرز علينا نفسه في معرض الدعوى العريضة، دونك فاكفف عما ادعيت، او فاكفف عما حكيت، وعد واضرب عما اظهرت وابديت، فاذا بسيدي ابي بكر اخجل من بخراء تكلمت ومن فوهاء تبسمت، قد جلس على قافية الدهش والتحير، وفتح جواب الخجل والتشور، وحك لحيته خجلا، وعبث بلحيته ارتيادا وذهلا، واخذ يتشاغل بالحديث عن السدي وعن الحسن البصري وعامر الشعبي وينشد

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل		بسقط اللوى بين الدخول فحومل	

اللهم انا نعوذ بك من مواقف الاخذال، ومن سقطات المقال، ومن دعاوي المحال، سبحان الله ليت شعري ما الذي جرني الى كل هذا الهذيان، وما الذي حملني على ان اركض في عرض هذا الميدان، وما الذي مال بنا من ذكر الاشواق ومن حديث الفراق الى كل هذا الحديث الغث، والكلام الرث، وهكذا من يركب الجواد وليس بفارس، ويكاتب وليس بكاتب ويقرع باب صناعة لم يستوف حقوقها، ولم يسلك طريقها ولم يختلف الى اهلها، ولم يعثر قدمه فيها، قد خرجنا الامر هذا الميدان، ورجعنا الى باب هذا اليوم

والعريان

والغربان، وانا والله اشوق الى سيدي منه الى احراز خصل المجد، وتحصيل قصب المجد، بل اشوق منه الى الاحسان الذي هو اخوه وشقيقه، والافضال الذي هو شريكه ورفيقه، بل اشوق منه الى اصفهان، والى فراق خراسان بعد ما عاين من تفاوت احوالها، وسخافة رجالها، وحقارة اعمالها بل عمالها، ولو لم يرى سيدي فيهما من طبقات التخلف غيري كاتب هذا الكتاب، لكان كافية في هذا الباب، المخلفون صانهم الله تعالى قد انفذت رسولي اليهم، وعرضت مالي وقليل جاهي عليهم، فانقبضوا ولا الومهم على ذلك بعد ما رايت من انقباض سيدي عمن كان لا يبخل عليه بملك خراسان، وتاج انوشيروان، وصرح هامان وطرازي قاشان وخورستان وبعد ما عرض عليه ما يملك عوضا غير سابري وبذله بذلا غير مجازي، والانقباض في غير مكانه توكيد للحشمة، وظلم للود والثقة وقطع لعلائق المباسطة والمخالطة وكذلك الانبساط في غير مكانه استهناف الهوان، واكتساب المقت والشنان، وفتح لباب الهجران، وتعرض لقطيعة الاخوان، والسلام

وكتب الى اردهل وقد ورد عليه خبر علته

كان قد ورد على خبر علة الشيخ وبلغني ما لم يبلغه شيء قبله، ولا يبلغه شيء بعده، واردت ان ارسل اليه في ذلك رسولا، وافرد نحوه كتابا ثم رأيت في قرائة الكتاب تعب ناظره، وفي وصول الرسول شغل خاطره، فابقيت عليه بقية تحتها جفاء، وراعيت حقه مراعاة في اثنائها تغافل واغضاء، وقد ورد الان خبر افاقته من علته، جعل الله تعالى ذلك اخر محنته، واول نعمته، فكان سروري بالاخرى في وزان غمي بالاولى، لا غم الله في الشيخ اصدقاء وحرس من الحوادث حوباءه، ومن الغير فناءه، ولا اراني الزمان فيه ظفرا فان الزمان حديد الطرف، لئيم الظفر، دقيق النظر، حلو المورد، مر المصدر، معين اللئام على الكرام، والليالي على الايام، ميلا منه على الضوء للظلام، تقاطرت على كتب ثلاثة وفلان يذكر ما وجده لكتابي عند الشيخ من ايجاب

ولحاجتي من إسعاف واطلاب، حتى قلم عنهم اظافير الأيام، وقشع لهم ضبابة الاهتمام، وأراهم من النجاح ما لم يروه في المنام، وهذه نعمة احتاج لها الى دهر أوسع من هوى، والى عمر أنفس من عمرى، والى شكر أبلغ من شكرى، فأما هذا الدهر وهو العمر النزر، فما يسع أن أشكر فيه حوا، اللهم ارزقني زمانا أوسع من زماني ولسانا أفصح من لساني، وبنانا أجرى من بناني، حتى اقضي بالشكر حقوق اخواني فلا بذل الا بجود، ولا جود الا عن موجود، ولكن الدعاء غاية من ضاق امكانه، ولم يساعده زمانه، وقطعت عن مسافة همته، خطوة جدته، وبه يكافي من قلت بسطته، وعجزت مقدرته، وانا اسأل الله تعالى ان يجعل الشيخ غاية لسؤال كل سائل، ومثابة الامل كل آمل، ورحلة كل راحل، وان يجعل السن اصدقائه، مشغولة بشكر آلائه، كما جعل قلوبهم مشغولة بحبه وانفسهم مرتهنة بنعمائه، ويجعلهم بل يجعل زمانهم بهمائه والسلام

وكتب الى يزيد صاحب سمرقند

صدر عني الى الحضرة سيدي كتابان احدهما عامي والآخر خاصي فلاجرم حرمت جواب الماضي ولم ارزق جواب الثاني وقد انتظر غير ما جائني به الزمان وعاقني به الحرمان، لأن الزمان لا يستحق مني حسن ظن، وبيننا أهل ان اصيبه بعين مع ذنوبه الى التي اذا ذكرتها كانت غيبة سيدي اولاها، وانقطاع اخباره عني وسطاها، ولكن لاني كنت اظن ان سيدي يغلب بكرمه لومه، وبهزم بيمينه سومه ويحولني عن شكايته الى شكره وينقلني عن حربه الى صلحه، فالحمد لله الذي جعل سيدي كاهل زمانه، وان قدمه عليهم بفضله لاقرانه، واخرجه من وحشة الوحدة الى انس الجماعة، ونقله في معاملته لي عن قبح البدعة الى حسن السنة لمخالطته ايام، وشكوته شكايتي لهم، وقلت فيه قولي فيهم فيا سبحان الله في اي طالع ولدت، وعلى اي بخت رزقت، فحيثما اواصل ارى صداء، واينما اتوجه لا ارى سعداء، قال عبد الله بن المعتز

قولا لمكتوم يا خير البساتين	الحمد لله حتى انت تجفوني

قد كنت منتظرا هذا فجئت به		وليس خلق على غدر بمأمون	
	وانا اقول		
قولا لمولاى فى الدنيا وفى الدين		الحمد لله حتى انت تجفونى	

وصرت اناقض ابن المعتز فى شعره، طربا منى على مخاطبة سيدى وذكره، و الطرب يرخى العنان، ويبصر العميان، ويجرئ الجبان، ويجرى اللسان والبنان، لازال ذكر سيدى يطرب اخوانه حتى ينطقوا وهم بكم، ويعربوا وهم عجم، ويفصحوا وهم غتم، ولازال اصدقاؤه يعاتبونه على كتاب يقطعه وبر يمنعه، ظمأ منهم الى فائدة من فوائد كلامه، وحرصا على غريبة من غرائب لسانه واقلامه، واطال لهم بقاه وصل ام صرم، اعطى ام حرم اهان ام كرم، انصف ام ظلم، فلا خير فى حب لاتحمل اقذاؤه ولايشرب على الكدر ماؤه، وانما العشرة مجاملة، لامعاملة، والمجاملة لاتسع الاستقصا والكشف، ولاتحتمل الحساب والصرف، ولكنى انما اعاتب سيدى لاتوصل بذلك الى حلاوة اعتابه، واخاطبه بما لاارضاه له لاتسبب به الى ما ارضاه من جوابه، وارجو ان الناس يغتفرون سوء الابتداء لحسن الجواب ويعلمون ان الخطاء اذا سبب الصواب فهو ضرب من الصواب ليت شعرى ما الذى ورد على سيدى من عمله، وهل رأى صيدا ام قيلا ووجد سعدا ام سعيدا، و ياليت شعرى ما الذى استفاده بعدما من الاخوان ووجد فى سؤال المودة والخلصان، وعهدى به يلتقط الاخوان التقاط المحب وينتقيهم انتقاء اللب ويدخرهم بين العين والقلب ويعدهم الكنز الذى لاعد فيه الزمان، والركاز الذى لانصيب فيه الى السلطان،

وكتب الى الوزير ابن عباد لما ورد باب جرجان لقتال الامير قابوس بن وشمكير

كتابى وانا بما يترامى الى من اخبار نعم الله تعالى على الوزير فى حله وترحاله وسائر متصرفاته واحواله قرير العين قوى الظهر شديد الازر راض من افعال الدهر اسمع كل يوم بشرى واحتمل للايام نعمى فاما احوالى

فتماسكة ببقاء نعم الوزير علي وآثاره لدي فان فارقتني مطاره فاكثر عهدنا به
ما نضب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين
قد كانت كتبي انقطعت عن حضرة الوزير صيانة لسمعه عن ان اقرعه
بالكلام الوسط وشفقة على ناظره من ان اجيله في الخط السقط وعلما مني اني
اذا قطعته على هذه النية فقد وصلته واذا جفوته فقد بررته حتى ورد على
خبر حركته الى هذه الوجهة التي ركب اليها مطية الاقبال وجذب نحوها ازمة
الآمال واستظهر عليها بعساكر الايام والليالي فلم اجد بدا من الاذكار
بنفسي التي انما ارتبطتها لتلك الخدمة وامسكت رمقها ببقاء تلك النعمة
ولعمري اني لاعرض منها ماء راكدا ومتاعا كاسدا ولكن الوزير بصدد حرب
وعارض خطب والمحارب يحتاج الى طبقات الناس فيجعل الخاصة منهم عدة
وعتادا والعامة حشوا وسوادا قد شمرت ايد الله الوزير ذيل المحارب
ورفعت رجل الراكب وفارقت خراسان عزما وان كنت بها جسما و
اذا ورد علي له اذن طفرت الى عسكره طفرة تطوي المراحل وتأكل
المناهل بعد ان حصلت من العتاد والعدة ومن الشوكة والشكة
ما ينظم شرائط اوس بن حجر الكندي ومزرد بن ضرار الثعلبي قال اوس

واني امرؤ اعددت للحرب بعد ما		رأيت لها نابا من الشر اعصلا	
وقال مزرد		وعندي للحرب العوان مهند	

هذا غير ما عندي من العدة التي يصنعها غير الله صانعه ولم يبعها غير
الايام بائع على ايد الله الوزير من انتماء اقبالي الى قباله درع لا تصدعها
الايام ولا تنفذ فيها السهام وعلى رأسي من واقية دولته مغفر لا تعمل
فيه السيوف ولا تمر بطريقه الحتوف وبيدي من صنعة يمينه وبركته
قوس وترها الجد وسهمها السعد وفي عنقي من صقال نعمته سيف يقطع
الآجال لا الاوصال ويهزم الاقدار لا الرجال وتحتي من نتاج شوقي
اليه فرس اذا سرت به طار واذا وقفت به سار الشوق عنانه والايام
ميدانه والعجلة سرجه والسوط لجامه والعزيمة لببه وحزامه

فان اذن لی الوزیر فی ورود عسکره المحفوف بجناح النصرة، المکنوف بجوانب الدولة والکرة، رأی منی بحمد الله تعالی فارسا ملأ العین، کما سمع منی عالما ملأ الاذن، فیعلم حینئذ ان اقبال خرج له تلمیذا انتظم فیه فروسیة اللسان وفروسیة السیف والسنان، ویکر فی معرکة الطعان، کما یکر فی معرکة البیان، ویثبت اسمه فی جریدة العلماء والفرسان، فان الاقبال ربما التقی طرفاه، والکمال ربما اعتدل جانباه، والاحسان ربما تکافأت بمناه ویسراه، واذا کان الوزیر وهو استاذ فارس المیدانین، وسایق الرهانین، وکانت یده تجیل قدحی الشجاعة والکرم، وتجمع بین السیف والقلم، وتحذق آداب العرب والعجم، ولم یکن القباء ألیق به من الطیلسان، ولا الدفتر فی یده اخلق من السیف والسنان، فلا بد لنا معاشر تلامیذه من ان نرقی علی درجه، و نمشی فی منهجه، واذا کانت حیاة نفسها الله تعالی حیاة امة، ونفس صانها الله تعالی مقسمة من نفوس جمة، فلا بد من ان تفدیه تلک النفوس بنفوسهم وان یلقوا دونه السیوف بوجوههم بل برؤسهم، وان یخدموه فی مواطن المنایا، کما خدموه فی مواهب العطایا، وان یبذلوا معه مجهودهم قتالا، کما بذل معهم مجهوده نوالا، وان یبتذلوا فیه النفوس الکریمة، کما ابتذل فیهم النفایس العظیمة، هذا واجب فی قضیة الکرم والمجد، لازم فی شریطة الوفاء والعهد، علی ان ناظر العدو اذا ظللته تلک الرایة المنصورة بخطو خطوة اولها جرجان، وآخرها خراسان، تقبلا الاولیة وجریا علی تیرة ابیه فانه اعقل من ان یقذف امه ویخالف اباه، ومن خالف والده فقد نفاء سیهزم من رجل طالما هزم، وینهزم ابن رجل طالما انهزم، ومن اشبه اباه فما ظلم

وکتب الی کثیر بن احمد یعزیه عن ابنة له

نحن معاشر اولیاء الشیخ ومتحملی اعباء نعمته، والمتسمین بسمة جملته اذا صدئت قرائحنا وفسدت اذهاننا، جلوناها بمجالسته، وغسلنا عنها وضر التغییر باتباع طریقته، وسسنا انفسنا بما نراه ونعلمه من سیاسته،

بطانته ثم لو عيته، واذا كانت الحال هذه فمن المحال ان نبيع على الشيخ ما اشتريناه
منه، وان نجلب اليه ما جلبناه عنه، وان نقيم انفسنا مقام المعلمين، وان نحمل
اليه مواعظ بذله كلاماً منها ابرع، وبداية توقيعاته منها ابدع، ولكن
لا بد للمحب ان ينطق لسانه وقلمه، بما يترجم به عن ودائع صدره، ويعبر
عن نيته وسره، ولا بد لمن شارك ربيبه في ايام الرخاء والمواهب من ان
يشاركه في ايام الغموم والمصائب، ليكون قد خدمه في النوبتين، وتصرف
معه في الحالتين، واثبت اسمه في جريدة الشركاء المساهمين مرتين، و
بلغني خبر المصيبة فاغتممت بها غمين، ونفذت الي سهام الفجيعة من
طريقين، اما احدهما فهي اني اغار على هذه الجنبة الكريمة، وعلى هذه
الدولة المستقيمة، من ان ينفذ فيها رمية الزمان، او تتناولها يد من ايدي
النقصان، واما الثانية فهي اني علمت ان الفجيعة اذا لم تحارب بجيش البكاء
ولم تقابل بالاذاعة والاشتكاء، تضاعف اذاها، وزادت اعباؤها، وانما
الفم سم ترياقه المباثة، والموت خرق نحوه التسلية والتعزية قال ذو الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد ويشفي نجي البلابل

واذا كان لا بد من عين تصيب طرفاً من اطراف الكمال، ولا بد من عوذة
يعوذ بها وجه الجمال، فلان تكون الواقعة في الصغير، خير من ان تكون في
الكبير، ولان يقع سهم الزمان على النسوان، امثل من ان يقع على الذكران
فالحمد لله تعالى الذي جعل في طي المحنة منحة، ومزج الترحة بفرحة، فستر
عورة من حيث سلب نساء ونزهة، وكفى مؤنة من حيث جلب فجيعة، وابقى
الكبير من حيث اخذ واحدة صغيرة، وجمل الوالد من حيث اثكل الوالدة
وهكذا تكون مصائب المقبلين المجدودين، فان الدهر اذا اساءهم في القليل
احسن اليهم في الجليل، واذا كاشفهم في المخفي المستور، صانهم في الجلي
المشهور، والمدبرون مثالنا فانما تكون محنتهم صافية صرفاً، وخالصة بحتاً
والدهر يعلم اين الزبون، ومن المغبون، وانا اسئل الله تعالى ان يجعل المتوفاة
لوالدها فرطاً واجراً، وكنزاً من كنوز الجنة وذخراً، وان يجمع بينها وبين

البتولُ السيدة فاطمة بنت الرسول وبين خديجة الأسدية، وآسية الاسرائيلية، بنات الاكرمين وازواج المرسلين صلوات الله تعالى عليهم اجمعين وان يحشرها شفيعا تقبل شفاعته، وتقضي في والديه واهل بيته حاجته ويعوض عنها الشيخ اخالها سوي الخلق والخلق شريف الفعل و العرق ليستوفي الشيخ في يوم اجر الصابرين وفي غده جزاء الشاكرين وليكون قد قضي لله تعالى حق الربوبية، مرحلا فالعبودية، وان تكون هذه الحادثة خاتمة حوادث الزمان، وساقة عساكر النقصان، فلا يري بعدها في تلك الدار الشريفة الا موهبة مستطرفة، وفائدة مستجدة مستأنفة حتى يشتغل بالتهاني عن التعازي وبالمدائح عن المراثي والسلام

وكتب الى ابي محمد العلوي جوابا عن كتابه

ورد كتاب السيد مبشرا من خبر سلامته بالبشرى التي تنسي كل بشرى، و بالنعمى التي تلغي كل نعمي، وبالفائدة التي تفطم فوائد الاولى والاخرى وفهمته ولما بلغت منه الى ذكر الاعتذار عن تأخر كتابه عني وشمول النعمة بامثاله للناس دوني امتلأت عجبا، ورأيت لي في كل جارحة قلبا، ورأيت السيد قد سلك بي من التواضع طريقا قد رفعه الله تعالى عنها، وجعله بنجوة منها وتكلف مالو تكلفته له لكنت سالكا طريق الافراط، وراكبا مطية الغلو و الاشتطاط، وكيف به هو وانما كلامه لنا معشر شيعته كنز وذخر، وعز وفخر ومال ووفر، وكبر وكثر، وحياة وعمر فكيف كتابه الينا، وسلامه علينا والرئيس اذا اعطى المرؤس فوق حقه، فقد استرجع منه واذا باسطه بما لا يسعه قدره فقد نقض عنه والاشياء اذا فرطت الى الرجحان عادت الى النقصان، ذكر السيد انه لا يرضى لمكاتبتي عفو كتابته ولا ينزل فيها على حكم بلاغته، وهذا كلام لولا انه قد جرى به بنانه، ونطق به لسانه لقلت تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا، ولقد جئتم شيئا ادا، الكتابة ايد الله تعالى السيد صناعة مجانسة لها مجانسة النور الظلام، ومناسبتي لها

مناسبة الاوز للنعام، ولم اقرع بابها، ولم اعلق باسبابها ولم اعاشر اربابها و
اصحابها، ولا ادعيتها بقلبي ولا بلساني، ولا ادعاها الى اصدقائي واخواني ولا
تمنيتها اذ كان المتمني انما يتعلق بذنب الامكان، ويمشي في طريق الكيان، ولا
احلمت بها اذ كان الانسان انما يتوهم وهو وسنان ما يتفكر فيه وهو يقظان
ولا دعوت الله تعالى بها لانا امرنا ان نسأله ما لا ينقض العادة، ولا يفسد
التكليف والمصلحة، ولو كنت اجوز على نفسي شيئا منها لجوزته من طريق تصاقبي
بجانب السيد، فان المواصلة ربما صنعت مقاربة والمقاربة ربما جلبت مشاركة ومناسبة
وهب ان ذلك كان فكم وكم مقدار ما يتعلق بذيل المعاشر من دراهم الصيرفي،
وما عسى ان يعبق بثياب الجليس من طيب العطار والصيدلاني وكم يخصني
من الكتابة على مجالسة السيد في كل اسبوع ساعة، وعلى رؤيتي له في كل
شهر كتابة او رقعة، اللهم الا ان يكون السيد اراد بما ذكره رياضتي لا تهذيب
والتعرض لي بذكر الكتابة لكي اكاتب فان هذا من ابواب الحث والبعث وصنف
من اصناف الرقي والنفث، قد يقول الاستاذ لتلميذه احسنت يا سيد الادباء
واصبت يا واحد العلماء، ليلحظه طعم التقدم، وليرقيه في درجات العالم
بالتعلم، فان كان ذلك هذا السيد اراد، فقد بلغ المراد، وها انا ذا بعد اليوم
اقرع باب الكتابة، واتسلق على حيطان البلاغة، واجمع ما قد رد عليه من
رسائل السيد فاحفظها صدرا صدرا، بل سطرا سطرا، واردد كل واحدة
منها خمس مرات بل عشرا فان خرجني ذلك فالحمد لله تعالى الذي رزقني، ثم
للسيد الذي حركني، وان تكن الاخرى فبلغ نفس عذرها مثل منجح ذكر السيد
ان اعتداده بي اعتداد العلوي بالشيعي، والمعتزلي بالمعتزلي، وانا اقول مكافيا لا
مباريا، وما بعد الاموازيا اعتدادي بما رزقنيه الله من اعتداد السيد بي
اعتداد الصحابة بالنبي عليه السلام، واعتداد الشيعة بالوصي، واعتداد
المعتزلة بالحسن البصري، واعتداد الحجازيين بالشافعي، واعتداد الزيدية
بزيد بن علي رضي الله تعالى عنه، واعتداد الامامية بالمهدي لا بل اعتداد
العاشق باللقاء، والظمآن بالري لا بل هو اعتداد محمد بن العباس الطبري

بالسيد بن محمد العلوي، وهذا ميدان يحتمل الفرسان، وفصل يتسع للتصرف والجولان، ولكني اكره ان اشق على السيد في الجواب، وان اكلفه دخول هذا الباب، ذكر السيد ان انكفاءه الينا قد قرب، وان نجم الغيبة قد نجم، وذرعها قد قصر، وانا اسئل الله تعالى ان يصدق هذا المقال، ويحقق هذا الفال، و يريني تلك الطلعة التي اذا رايتها لم تنغص بغيبة الغائبين، واذا فقدتها لم اتهنأ بحضور الحاضرين، واذا نظرت اليها فيومي سعيد، بل عيد، وفصلي مربع بل ربيع، واذا تصبحت بها تصبحت بالنظر الى النبي والوصي عليهما السلام والى البتول ابنة الرسول والى السبطين الشهيدين الحسن والحسين والى السجاد زين العابدين صلوات الله تعالى عليهم اجمعين، سألني السيد ان يسئله بعض هدايا تلك الناحية لا والله ما اعرف نفيسة، ولا طرفة خطيرة تعدل عندي وجهه فليهده الي، وليطلع نظري اليه علي، وليعلم انه اذا فعل ذلك فقد زف الي الدنيا في معرض الجمال، واهدى الي السعود بين طبق ومكبة من الاقبال، ولم يدع لعين التمني بعد ذلك مطمحا ولا لقوس الاقتراح والتحكم بعدها منتزعا، لا يكتب الى السيد بخط غيره لاني اذا قرأت كلامه من آثار بنانه، فقد جنيت الورد من اغصانه، و قليل لمن ادلى بمثل وسيلتي، واتسم بمثل سميتي، ان تنبعث له البنان و الاقلام، وان ينتقى له الخط والكلام، وان ينزل على حكمه والسلام

وكتب الكاتب

اعتذر سيدي من صغر الكتاب واختصاره، فقد اغناه الله تعالى عن تكلفه من اعتذاره، وانما الصغير ما صغر قدره، لا ما صغر حجمه، فاما ما افاد، وجاوز المراد، فليس بصغير، بل اكبر من كبير، واما شكره لي على تفصيلي لكلامه، فاني من هذا بعد في ميدان عريض مديد، وفي شوط بعيد، لم ابلغ عشر عشره، ولم اقض منه اليسير يسيره، والحق اني وان اجتهدت فاني غير بالغ منه ما في ضمن النية، ولا آت على ما في الهمة و الامنية، ولكني ساقف عقلي انتهاء الطاقة، واحمل مجهودي اقصى الغاية

والتمادح بيننا بعد الحال التي عتقت، حتى اخلقت، وقدمت حتى هي متفصل لا يحتاج اليه ولا يعرج عليه، واسأل الله تعالى ان يجعل اخوتنا متصلة في الدنيا باخوتنا يوم الدين فان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين

وكتب الى صاحب الديوان بالحضرة.

عظم على الشيخ ادلالي، وكثر على قلبه اشغالي، وفتح عليه كرمه من حوائجي بابا لا يسد، ولا يرد، ولكني اذا قلبت سلعة الشكر، ونشرت طراز الاحسان والبر، لم ار غيره يشتريها، او يرغب سواه فيه، وانا عرضت جريدة الكرم، و افضت قداح المساعي في الهمم، جاء اسمه صدر الجريدة، وقدحه معلى القداح السبعة، فارجع اليه وعن يميني الرجاء يغريني منه، وعن يساري الحياء يطردني عنه، وما احب ان يشرك الشيخ في لساني غيره، ولا ان يحتوي على قلبي الا ذكره، فاني آنف لكرم المتاع، من لؤم المبتاع، واستحيي لنفاسة هذه الملابس، من خساسة اللابس، واغضب للمركب الكريم من الراكب اللئيم واحب ان ازف ابكار المعاني وان اغرب في الثناء، لمن يغرب في السناء، وان ازوج الشيخ من صنعة لساني كرائم لا تجتليها الا عيناه، ولا تنظمها الا يداه، قد علم الشيخ اني عقدت هذه الضيعة، ولفقت هذه المعيشة لتكون صونا لوجهي عن ذل السؤال، وحجابا لعرضي دون الابتذال، ولا جعل ما يدخل منها من الكفاف جسرا الى الصيانة والعفاف، فاجب نفسي الى اصدقائي، واخفف ثقلي على جلسائي، فان السائل ثقيل الطلعة كريه الزورة، مشنوء اللحظة واللفظة، معرفته غرامة، ومنادمته ندامة ومجانبته امان وسلامة، فمن اعانني على حفظ ما اعتقدته، وامسك على جوانب ما استفدته، فقد كفى اهل المشرق كلي، وخفف عن رقابهم ثقلي، وضرب بين لساني وبينهم ستر الغناء، ومد عليهم دون استبطائي وعتابي كنا كنيناء، ومن اخرجني من صيانة اللّه هقنة، واحوجني الى ابتذال المسئلة، فقد عرضهم للخطبين، وعرضهم لحد السيف من جهتين

لانهم

لانهم بين ان يعطوا فيحتسبوا مرارة العطاء، او يبخلوا فيصطلوا بحرارة الذم والاستبطاء، وما من الخطتين صغيرة وما فيهما المختار خيرة، على ان خروجي من خراسان الى غيرها، وضعة من اهلها، فلو ارتبط الجواد حق ارتباطه لما عار، ولو احسن الى البازي لما طار، وان مقامي حيث خيمت محنة، تدل على فهم الكرام الاجاود، ولو ملكت اعنة الايام، وجاز حظي على الحظوظ والاقسام لكانت مدائحي الى اهلها مصروفة ومعاتباتي على غيرهم موقوفة، ولما جلست تحت قول ابي عبادة البحتري

عذلتني في اهلها واسترابت	جيئتي في سواهم وذهابي
ورأت في سواهم من مديحي	مثل ما عند غيرهم من كتابي

هذا على اني ارى ريح الكرم هبت جنوبا وشمالا، وعساكر المجد قد زحفت يمينا وشمالا، وسوق الادب قد قامت، واطراف المسالك قد استقامت، وليل النقص والجهل قد جلاه فجر الفضل والعقل، والجود قد قبل بوجه الغالب والبخل قد ادبر بقفا الهارب، وارى الدهر قد افتر عن يتيمته، وانجلى عن كريمته، وجاء بواحده الذي لم يزل لسان محامده، وعنان مراشده، والذي لم يزل يرجف به لسان الاماني وتتقاضاني فيه ايام زماني وهو الشيخ الاجل بيت الدولة وعقد النعم وسليل الكفاية والوزارة، وفرع السياسة والرياسة، وناشر ميت الامال وناقد قيم الرجال، وناشر الوية المقال والفعال وقد علمت ان الدهر البخيل لا يسمح الآن به الا ليكون للاحرار ركزه، وليديل للافاضل دولة ولتهب للخير ريح طالما ركدت، وتنفق للفضل سوق طالما كسدت، ورجوت ان اكون احد من ينتصف به من محنة، وينتزع في ايامه حقه من مخالب زمنه فقد طال ما ضرب الزمان على رزقي وغصبتني ايامه وليالية حقي اسال الشيخ ان يعرض كتابي عليه ويوصل كلمتي اليه، ولا يقول كيف يكون الرسول اجل ممن ارسله، وكيف يكون السفير اعظم ممن سفر له، فان الكريم يعز من حيث يهون، ويشتد بأس الرمح حين يلين وهو ايده الله تعالى

الحكيم الذي لا يوصى والمشير الذي لا يعصى واذا سعى في هذه الحاجة فقفى اثره سعيي وعن ماله نضحه ورمى وعن عاتقه القى حملا وطرح ثقلا لانه ان حرم سهمي الاصابة ولم ترزق دعوتي الاجابة فاني ملق كل خراجي عليه وراجع به عنه اليه اذ كنت لا ارى الفرج الا لديه وانشد

سبيلي ان اعطي الذي تسألونني ... وحقي ان يجدى علي لا اجدي

وانشده

اذا كنت لا انفك اغدو مطالبا ... فلم انت عباد ولم انا شاعر

فلينظر الشيخ الى هذه الحاجة بعين من يعلم انه فيها سهيم ولصاحبها قسيم وانه يكدح كدحا له بعضه ويجلب جلبا له شطره واني لاعلم اني قد هتكت ستر الحشمة وخرقت حجاب الهيبة وان هذا الكلام ترق عنه صفحة الاحتمال ولا تطلقه شرائط المهابة والاجلال ولكن الثقة تطلق اللسان وتجري الجنان

وكتب الى وزير صاحب خوارزم

وصل كتاب الشيخ وتصرفت من فصوله في لؤلؤ منثور وطراز منشور واستمليت منه نسخة الود الصريح والعهد الصحيح والخلق السجيح ووجدت الشيخ قد استرقني رقا لا تنحل عقدته ولا ترد عهدته وكفاني مهما لا يكفيه الا مثله على ان ذكري مثله ارجاف بالزمان وفعله وكذب على الفلك واهله وامنية من اكاذيب الاماني وترهات من لساني هيهات الدهر ابخل من ان يأتي بكريمته ويجود بمثل يتيمته والكرم اقل اتباعا واكسد متاعا من ان ينازع الشيخ بهاه او يسلبه رداه

والجود اخشن مسا يا بني مطر ... من ان تبزكوه كف مستلب

اخبرني الرسول بما عمله الشيخ من حيله الدقيقة وفتله من اسبابه الوثيقة في ذلك الحال حتى اخرجه من العدم الى الوجدان وصيره من الوهم الى العيان فحمدت الله الذي رزقني صديقا يحفظ علي ما ضيعه بيدي ويحسن بي من حيث تسيء نفسي الي وقد كنت خاطبت الشيخ في امر هذا المال بكمال جرأتي عليه

فصدق

فصدق ثقتی ببعض ساحتہ احتمالہ، فان شکا فی فقد کافانی وان سلفنی شکرا فعلی اداؤہ وعلی اللہ جزاؤہ، ولو انصفت الحال بیننا، والجہة الجامعة لنا لخرجت لہذا الوافد لاثیر لک والکریم علی من مالی ولقاسمتہ ولدی وعیالی و لحملت العالم الیہ بین طبق ومکبہ والفلک بین دنیا وآخرة ولکنی نزلت علی حکم طاقتی، وانتہیت الی غایة وجدی وجہدی وعولت علی عقدی ونیتی ونکست راس خجل منشور، وغضضت طرف قاصر مقصر، وانشدت

لو کنت اہدی علی قدری وقدرکم	لکنت اہدی لک الدنیا وما فیہا

الذی طلبہ الشیخ من الکتب ساحلہ الی خزانتہ ولو علی رحلی وانسخ ما لیس عندی ولو علی خدی، ولوددت لو کان دمی حبرا وجلدی ورقا واصابع اقلاما، وذلک عندی یسیر ینسئ وصغیر یلغی وقلیل لا یسمع ولا یرئ علی انہ لو باسطنی الشیخ فیما عدا الکتب من الفضة والذہب لکان آخر امرہ منتظما باول امتثالی وطرف قولہ متصلا بطرف فعالی فان الناس یتخذون الاصدقاء لیکسبوا بہم الثراء، وانا اکسب الثراء لاتخذ بہ الاصدقاء والصدیق ہو العقدة التی یحلہا الدہر والذخیرة التی لا یفسدہا الخیر والشر والکنز الذی لا ینقص منہ الغنی والفقر، وسائر الاعلاق تفقد من حیث توجد وتحل کما تعقد ویدب الیہا الفناء کما یتفق لہا البقاء ویتسلط علیہا الاعداء، کما یحسد علیہا الاصدقاء وتمسہا النار فتحرقہا ویصیبہا الماء فیغرقہا، فالذہب والفضة حجران یغنیان ان حرکا، ویفسدان ان ترکا والضیاء والعقار جمادات وموات لا ترحل مع صاحبہا ان رحل ولا تنزل بنزولہ ان نزل والعبید والاماء حیوان یتحکم فیہا الحدثان ویعمل فیہا عملہ الزمان فاذا حاربتہ الایام سقم، واذا سالمتہ ہرم فہو معرض للحادثات اما بالحیاة واما بالممات، والثیاب والفرش ورق یجف اذا استعمل ویخفی اذا اہمل والعتاد والسلاح رفیق ربما خان من حملہ واعان علی من قاتلہ وصار فی ید المحارب آفة علی الصاحب والحلی والجواہر زجاج یسرع الیہ الکسر، ویبطی عنہ الجبر، اظہارہ خطر، واخفاؤہ حذر، خفیف الحمل علی

من سرقة ثقيل الوطأة على من فقده، والزرع خبز مخبوز فناؤه افتقار، وبقاؤه احتكار، من بذله عرضه للفناء، ومن بخل به عرض عرضه للهجاء، والاثاث والشوار اجسام هامدة اذا ابتذلت تمحقت وتكسرت، واذا رفعت صدئت وتغيرت والفيء والماء غريم كفيله الارض والسماء، وهما كفيلان لا يغرمان، ولا يلزمان في لايلاء والخيل والسوام زرع تجففه الريح والهواء، ويحكم فيه الصيف والشتاء ويتداوله الفناء، والكتب مالك جالس على قافية السرقة، موضوع على شبكة الخيانة، ليسرقه كل امين، ويتهم عليه من ليس بظنين، وقد اكثرت ايها الشيخ في هذيانى ووضعت عنان قلبي في بنانى فبيد لسانى فان يكن ماجئت به مفيدا فقد بدعت واغربت، وان تكن الاخرى فقد اضحكت واعجبت فلم اخل ان جئت بفائدة، ان كنت ضحكة ونزهته زائدة

وكتب الى ابن سهل سعيد بن عبد الله الكاتب

وصل كتاب سيدي المنتظر المؤتلف والمستبطأ المتشوف بعد ان عاتبت الدهر على تاخره ولمته وبعد ان فرمت فيه البخت وشتمته وبعد ان نظرت اليه وهو غائب مثالا، ورأيته في النوم خيالا، وبعد ان عددت له الليالي والايام عدا وحسبت فيه الاوقات والانفاس ضربا وعقدا، وبعد ظننت الظنون بسيدي وبوده وتوهمت الايام في وفائه وعهده، وحسبت وانا استغفر الله انه قد اثبت اسمه في جريدة الغدر، وجانس ابناء الدهر، وبعد ان انشدته فيه

	لم تزل تجهل الخيانة حتى	علمتك الايام كيف تخون	

فويلي ان لم يعف سيدي عني ولم يغفر لي ما بدر مني ولم يجعلني في حل من سوء ظني وفهمته، ولم ازل اكرر قرائته حتى حفظته، ثم تزودت في ذلك حتى حفظت غاية بانائه وصارت روايته تقطع على صلاتي وتستهلك اكثر اوقاتي ثم عرضته على اصدقائي واصدقاء ولائي فا منهم الا من سألنيه ونافسني فيه، واستعارنيه، ونيته ان لا يرد العارية ولا يؤدي الامانة، ثم نسخوه ولو طلبته منهم لما اعادوه، ذكر سيدي

من شوقی الیہ مالم یتکلم فیہ الا عن لسانی و لم یترجم الا عن شانی ولقد
طویت بعدہ بساط المدام ، ورفعت صحیفۃ المؤانسۃ والندام وطلقت الراح
ثلاثا ، وفارقت الغناء بتاثا ، حتی جفت الاقداح واستخصتنی الراح ، و
نسی بنانی الاترج والتفاح ، ولقد ترک سیدی بخروجہ رسوم الطرب من
اخوانہ دارسۃ ، وآثار الفرح والانبساط مسۃ ، ودیار المنادمۃ والمجالسۃ
مقفرۃ ، واطلال المحادثۃ والمساعدۃ متنکرۃ ، قد ھبت علیہا بغتۃ ریح
الادبار ، وطلع علیہا نجم البلاء والاقفار ، ونفذ فیہا حکم الفناء ، ولبستہا
ید العفاء سالنی سیدی عن ذکری لہ وکیف لا یذکرہ من یراہ ، وانکان لا یلقاہ
بل کیف یذکرہ من لیس ینساہ ، وکیف یسلو عنہ من لا یری عوضا منہ ، و
کیف یغفی کرہ من لا یفتح عینیہ ، علی کریم منہ علیہ واحب منہ الیہ ، وقد
عرفتہ انا ھجرنا الشراب واغلقنا ھذا الباب ثم ان شربنا فی کل فترۃ نبوۃ ،
او بیعۃ خلافۃ ، فلا نقل الا تذکارہ ، ولا تحیۃ الا اذکارہ ولا حدیث
الا انسنا بہ کان ووحشتنا لہ الآن ، ولا اقتراح علی المغنی الا شعر
فی اولہ ذکر غیبتہ ، وفی آخرہ تمنیا وبتہ ، ردا اللہ تعالی سیدی
الی اخوانہ الذین انا اولہم فی المحبۃ ، وان کنت آخرھم فی الرتبۃ ،
علی حالۃ یقع الشکر وراء حقہا ، وتکل مطایا التعدید والبشر فی مسافۃ
طرقہا ، والناس یقولون ردک اللہ سالما الی سالمین ، وانا اقول ردک اللہ
تعالی غانما الی غانمین ، فان من سعد بلقیاہ فہو غانم کما ان من حرم
النظر الی طلعتہ فہو غارم ، وارجو ان یتقدم سیدی بوصولہ عند
الفطر فیجتمع لی عیدان وفطران ، کما اجتمع علی بغیبتہ صومان علی
ان صوم العین اشد من صوم البطن فان مسافۃ صوم العین مجہولۃ
الامد والعدد ، مخوفۃ الزیادۃ والمدد ، ومسافۃ صوم البطن یوم وشیک
المہلۃ ، قریب العشیۃ من الغدوۃ ، فحصتی من صوم ھذہ السنۃ المبارکۃ
حصتان ، ویومی منہ یومان ، وتأبی صروف الدھر ان تأتینی الا مزوجۃ
فی قرآن ، وذلک انی صمت عن النظر الی طلعۃ سیدی شہری رجب وشعبان

وصمت عن الطعام والشراب شهر رمضان، وقد قال الخليع الشامي

سكران سكر هوى وسكر مدامة … فمتى يفيق فتى به سكران

وانا اقول

صومان صوم نوى وصوم عبادة … فمتى يعيش فتى له صومان

وكتب الى ابي القسم وقد تهدمت داره عليه وسلم

بلغني خبر الهدة فالحمد لله الذي هدم الدار، ولم يهدم المقدار، وحين ثلم المال لم يثلم الجمال ولما سلط الحوادث على النشب والخشب لم يسلطها على العرض والحسب ولا على الدين والادب ولابد للنعمة من عوذة ولابد لعين الكمال من رقية، فلأن يكون ذلك في دار تبنى ومال يجنى ويني خير من ان يكون في النفس التي لاجابر لكسرها ولا شيئ يفي بقدرها، وصادف ورود هذا الخبر على رمد في عيني قد حصرني في الظلمة، وحبسني بين الغم والغمة، وتركني ادرك بيدي ما كنت ادرك بناظري كليل سلاح البصر، قصير خطوة النظر، قد ثكلت مصباح وجهي، وعدمت بعضي الذي هو آثر عندي من كلي، ابعد الاشخاص عني اقربها مني فالبيض عندي سود، والقريب مني بعيد، قد خاط الوجع اجفاني، وقبضني عن التصرف بناني ففراغي شغل ونهاري ليل وطوال اللحظ قصار وقصار اوقاتي طوال فانا ضرير وان عددت في البصراء واعمى وان كنت في جملة الكتاب والقراء قد قصرت العلة خطوتي قلمي وبناني وقامت بيني وبين يدي ولساني وقد كانت العرب تزاوج بين كلمات تتماثل مبانيها، وتتكافأ مقاطعها ومباديها، فتقول العلة ذلة والواحدة وحشة والعلب سلب واللحظة لفظة، والهوى هوان، والاقارب عقارب وانا اقول المرض حرض والرمد كمد، والعلة قلة، والقاعد مقعد

وكتب الى ابي احمد الرازي بشند نيسابور

ورد علي كتاب الشيخ بعد ما كدت اتطفل عليه بخطبته، واسبقه الى المكرمة
في الابتداء بمثله، ثم الى الله تعالى ان لا يكون الفضل الا لاهله، وان ينبت
الكريم الا على اصله، وفهمت وافادني من خبر سلامته فائدة هي الغنى بل المنى
بل الكنوز والقناء بل المراد والهوى بل السناء والعلى بل العالم والدنيا، بل خير
الآخرة والاولى، وهي السلامة التي لا يتصورها الشيخ عني ولا يختص بمزيتها
دوني، اذ كانت الاحوال بيننا متقاسمة، وسائر اسباب السراء والضراء مقتسمة
وسألت الله تعالى اولا، والآن اسأله ثانيا، ان يجري على الشيخ نعمته ويحرس ثروته
ويجمل رويته، ويبصره رشده، في الرجوع الى بلده، الذي هو بحضوره
مصر مباه الامصار، وبغيبته عنه مفاوز بل قفار، كما ان اهله
اذا كان فيهم ناس، واذا غاب عنهم نسناس، والله يلهمه قول النابغة

	متى يدعوا ديارهم يهونوا		فحلي في ديارك ان قوما	

وان اكرم الخيل اشدها حنينا الى وطنه، واعتق الابل اكثرها نزاعا نحو عطنه
والدنيا رستاق نيسابور وقصبته، وعقد نيسابور وسطته، ولو علمت
اني ادفع من غيبة الشيخ الى هذا الامد البعيد والنفس المديد وانه اذا فارق
قوما طلقهم، واذا لقي آخرين عشقهم، لاخذت من الزمان الف كفيل
ووضعت الارصاد بكل سبيل، ولوردته علي او كلت بحفظه عيني بل عيني

	مرائر ان جاذبتها لم تقطع		شددت باعناق النوى بعد هذه	

والآن فقد ادبنا الشيخ ببعده، فاراه ان يعفو عنا بقربه فيكون قد رانا
قدرته، ثم اسبغ علينا نعمته، وجمع بين تعريفنا مقدار النعمة اذا آب
ومقدار المحنة اذا غاب كان كتاب الشيخ الطف من عتبه، واقصر
من اوقاتي بقربه، واظنه اشفق علي من التعب فيه اذا طال وظن بي
الكسل والملال، فما زلت اعرفه مشفقا على حميد الاثر لدي وان ستعفيه
من هذه الصدقة، واشتهي ان لا يبرني بهذه الشفقة، وان تكون كتبه
الي اطول من يده علي وابسط من لساني في شكري حميد آثاره لدي فاني اذا
رتعت في رياض قوله، واجلت عيني وخاطري في ميدان فضله وطوله

تقلبت في روضة وغدير وابيت بات في جنة وحرير ولم اعدم معه يلقى الذهن ولفظا يمتع العين والاذن وفقرا استفيدها ونكتة اقراها ثم اعيدها وان كان تذكر الايام الماضية لا يفرغ قلبي لاستيفاء العائد

فلا يبعد زمان منك عشنا … بنضرته ورونقه العجاب
لياليه ليالي الوصل تمت … بايام كايام الشباب

وكان ابا تمام لم يقل هذين البيتين الا ليقتل نفسي ويميت نفسي وقد استسلمت الفراق فليمض في حكمه الا بد فلينفذ في سهمه وكتاب الشيخ يزيل بعض ما بي ويشفيني من اوصابي فليهد الشيخ الي فان اهداء السرور به الى مثل قلبي صدقة مبرورة وصنيعة مشكورة وكلما قرب مني الدواء فترا تأخر عني الداء عشرا

وكتب الى صاحب الديوان يوم المهرجان

لولا تمكن الشيخ من الانقباض عند الهدايا جلت او قلت وانه كان ليس مع عطاياه جليل كما انه ليس مع تواضعه قليل لا فنيت في هديتي اليه الاعلاق والجواهر ولا تعبت في حملها اليه الخف والحافر ولسبقت في ذلك الاولين واتعبت فيه المتأخرين عرف الله تعالى الشيخ بركة هذا المهرجان وافرده بذلك عن سائر ايام الزمان ولا زال يلبس الايام قشيبها وهو جديد ويقطع مسافة سعدها ونحسها وهو حديد والسلام

وكتب الى ابي سعد احمد بن شبيب

ما اقرب ما كانت المسافة بين لقاء صاحب الجيش وبين فراقه وما اكثر ما انشدت بيت كشاجم في وداعه وعناقه

لما استتم عناقه لقدومه … حتى ابتدأت عناقه لوداعه

كانه كان ذلك الرجل قائما معناه او كانه قال هذا البيت لنا ولقد كانت الايام بلقاء صاحب الجيش طويلة الوعد قصيرة الرفد فانها مطلتني بلقائه سنين طويلة ثم اسعفتني به ساعات قصارا فبينما انا اشكو مطلها اذ صرت اشكو بخلها وبينا انا استدرك عليها الماضي اذ اصبحت اطلب اليها الباقي وبينا انا انشد

ايا ليلة الوصل لا تنفدى ... ويا ليلة البعد لا تنفدى

غدوت انشد، هذا الذى قيل له اطيب ما كان فنى، ولعمرى انى موسى من الصبر، قوى بنية القلب والصدر، حيث ابيت ببلدة وصاحب الجيش باخرى وليس بينى وبينه بعد الخافقين، ولا سد ذى القرنين ولا جبل قاف، ولا سورة الاعراف، ولقد رضيت من الشوق بالدعوى ومن اللقاء بالمنى، وغششت فيما بعته من الهوى، والله اسأل ان يجمع بينى وبينه على ما يثلج صدرى ويقر عينى، وان يرينى الدهر وهو وافد من حشمه والسعد وهو خادم من خدمه، والايام وهى سلم فى اوليائه واعدائه والمنايا وهى سهام فى صباحه ومسائه، والاقبال وهو خليط من خلطائه والسرور وهو نديم من ندمائه، والعز وهو مستدير بافنائه، والشرف وهو مطنب بفنائه، وهذا الدعاء منى خجل قطعت به الحديث لما توجهت به المسئلة على وخرج الجواب من يدى ولو صدقت فيما ادعيته، وكنت من الشوق على ما حكيته، قلت للشوق اذ دعانى لبيك وللحاديين كر المطايا، ولا نضيت الركاب وفارقت الاحباب وركبت كاهل الخطر، واعروريت ظهر السفر حتى انيخ بحضرة طال ما حضرتها العلى وانزل على سدة طال ما سدت زوايا الندى وانظر الى طلعة عليها للكرم ديباجة خسروانية، وفيها للطلاقة روضة ربيعة رجعت من حضرة الوزير بعد ان افرغ على من سجاله، واسبغ على من نواله ما خفف ظهرى بل اثقله، وانطق لسانى بل اخرسه، وارخص شكرى بل اغلاه، وابقى مديحى بل افناه، وانى حين امدح البحر بانه عزيز، والبدر بانه منير، واعلم الناس ان الدهر كبير، وان الرمل كثير، كنت كاحد عباد الله المكلفين الذين قولهم هباء، وعلمهم جفاء، ابقى الله تعالى ذلك السيد لتفتضح به اللئام، وتفخر به الكرام وتتجمل به الايام والانام، واقام به سوق الكرام وقد اقام، وادام بسلامته عز المجد والمجد وقد ادام، وليت المكارم كانت جواهر لا اعراضا، وخلقا لا اخلاقا، فتتمكن من رؤيته العين ويأتى عليها الوزن والكيل، فيدركها الجاهل بحاسة بصره كما يدركها

العاقل بجانب بديه، فاستريح من الدلالة على معرفتها، ومن اقامة البينة على صفتها، وصلت الجارية وددتها لاني رأيت موصلها شابا واذا اجتمع الشابان فقد اجتمعت النار والحلفاء، بل اجتمع الظمآن والماء، وهذا ميدان لابليس فيه مجال، وزاوية له فيها افعال، وان النساء لحم على وضم ونسيه في غير حريم، الا ان تلاحظ بعين غيور، وتلازم بنفس يقظ حذور

وكتب الى تلميذ ورد له كتاب ترتفع الفاظه عن كتابة مثله وطلب نسخة شعره

نسخة شعري التي طلبتها يا ولدي سائرة اليك، وغير مضنون بها عليك، ولكني ذا امتعتك بها الآن اعنتك على طول غيبتك، وصرت بعض آفات اوبتك، فارجع فديتك، وانتجز ما وعدته واسمع ممن قاله تزدد به عجبا فحسن الورد في اغصانه، رأيتك يا ولدي تخاطبني في كتابك بالفاظ ان كنت انت ابا عذرتها لقد اختصرت طريق الكلام، وصرت بعض محاسن الايام، وان كنت اخذتها من غيرك لقد سرقت سرقة لا يلزم صاحبها رد، ولا يجب عليه فيها حد، ولا يعاقبه السلطان، ولا تتبرأ منه الاقوام، واغرت غارة لا يلزمك منها قود القتلى، ولا ارش الجرحى، ولا تتبعك فيها دعوات اليتامى والايامى، وغصبت غصبا لا تطالب بتبعته ورثتك، ولا يثلم لدينك وامانتك، فيا ايها المغير النظيف الغارة، والسارق البرئ الساحة اشركنا رحمك الله في بعض ما رزقت، واجعل لنا سهما مما سرقت، واعطنا قليلا مما اخذت، ولا تبخل علينا بما ليس من ملك يديك، ولا من ميراث ابويك

وكتب اليه ايضا

كتبك يا ولدي عندي تحف وشمامات، ونوادر وباكورات، افرح باولها وانتظر ورود ثانيها، واشكرك على ماضيها، واعد الايام والليالي على باقيها، فكثر على سوادها، ووفر على اعدادها، واعلم اني احبك حبا مستكنا وباديا

احبك ما لوكان بين معاشر ... من الناس اعداء لجر التصافيا

واني آنس بك حاضرا واشتاق اليك غائبا شوقا لو عرفته لبكيت على الهوى، ولم تغفر ذنب لاهل الدنيا، وكنت لا انظر اليهم الا بمؤخر عينيك ولا تكلمهم الا ببعض نفسك

وكتب الى حاجب ركن الدولة بالري

الكتاب الذي عظم الحاجب باصداره شاني، واعانني به على زماني واهل زماني، ورد وثمرة الفؤاد منه بعد في اكمامها لم تزهر فتغنم، ولم تدرك فتطعم، واذا نتجت الشفاعة من حيث لقحت، وزكت اغراس المعونة من حيث زرعت، ولاحت على صفحات احوالي آثار الزيادة وظهرت فيها مخايل السعادة، القت رهج الحمد والشكر، وانطقت بهما لسان الدهر، وقلت ما يتعب الراوي، ويحير السامع والرائي، ويوقع الخواطر شغلا طويلا، وللسان الاقلام عملا ثقيلا، والى ان تيسر من ذلك ما هو في ضمان الايام، وفي ودائع الحظوظ والاقسام، فاني اسأل الله تعالى ان يطيل بقاء الحاجب مصونا عن لحظات العين محروسا من عثرات القدر اقباله وسعده مقتبل، وبابه مستقبل، وبنانه بل كمه بل تراب مجلسه مقبل

وكتب الى ابي عبد الله النحوي الخطيب بالري

ان تكلفت الشيخ ذكرا اسلمني له فراقه من الهلع، واهداه الي من انواع الغم والجزع، جريت معه في ميدان الاعتداد، واستقبلت بكلامي قبلة الشكر والاحماد، ورايتني اشكر نفسي على ان اؤدي فرضا، واحمد جوانحي على ان يجيب بعضها بعضا وان سكت بقيت في نفسي حاجة، واستولت على قلبي حسرة، ورأيتني ابخل على نفسي بشكاية المضرور، وانفث عليها نفثة المصدور، فلا ادري أأقول على ان القول كلفة، ام اسكت على ان السكوت غصة، ولكني انشد قول المولد

واشهد الله وحسبي به   اني الى وجهك مشتاق

ما زال قلبي مقبلا لذكر ليالينا تلك الطوال القصار، اللواتي كانت ظلماتها انوار، وساعاتها كلها اسحار، حاربنا فيها النعاس بجيش السمر

وسهرناها ولم نجد مس السهر، فكلما مال بنا النعاس الى شقة، وكاد يستعبدنا الملال برقة، نفضنا عنا غبار الكسل، وجلونا عن اعيننا بل انفسنا صدأ الفتور والملل بحديث مطرز بالادب، مرصع باخبار العجم والعرب، يسكر من سمعه وان لم يشرب، ويشهد على بهيمية من شهده ان لم يطرب بالفاظ انيقة النظم وثيقة النثر، ومنطق رخيم الحواشي لاهراء ولانزر، فيعود النشاط امضى ما كان حدا، واصفى ما كان فرندا، واثقب ما كان زندا، ولو عاوضني دهري واشترى جميع عمري وباقي عصري ورد الى تلك الليالي الزهر، المحجلة الغر، لكان قد احسن الى واربحني وخسر على، وهيهات الدهر تاجر لا يغبن في تجارته، وامير لا يغلب على امارته، ولكنا نقطع الدهر قالا وقيلا، ونعلل فيه قلبا عليلا، يسر الله لنا حالة يعود بها الانس في احسن زينته، واتم بهجته، وادالنا على الفراق الذي وجدناه لئيم الظفر، قبيح المنظر والمخبر، واعاد لي تلك الاوقات المسعودة المحمودة التي سرقتها من دهري ورأيتها غرة عمري وصافقت فيها بلقاء الشيخ ذهني وفكري وانشدت فيها من شعري وشعر غيري

وفرحة الاديب بالاديب	كفرحة الطبيب بالطبيب		

ولو طلبت من الشيخ عوضا لكنت قد اغنت الزمان، واستحققت بطلبتي الحال والحرمان والفضل اليوم اقل طالبا واعز صاحبا، واجذب جانبا واخيب كاسبا، من ان يعظم غير الشيخ بين طرفيه او يصم عليه كلتا يديه، سقى الله ايامنا بيد الشيخ الجليل فاني لا اعرف سحابة تشدى بلاها ولا تسقى سقياها، وانما طلبت الغاية في الدعاء، وسموت الى اقصى مراتب الاستسقاء، وقد قال ابو الطيب المتنبي

سقى الله ايام الصبا ما يسرها	ويفعل فعل البابلي المعتق		

وكانه قال سقى الله ايام الصبى خمرا فانما فرحها ساعة، وطيبها مجاز لا حقيقة له مع بشاعة طعمها اولا وثقل خمارها ثانيا، والذي دعونه به من السقيا يبقى ولا يفنى ولا يشتبشع بل يستحلى ويستطاب ويستمرى بلغني ان فلانا زعم ان سمعه لا يسع لاستماع كلامي وانه يستعظم ما يرى عليه الناس

من اعطائی والذنب للعين العشواء في محبة الظلماء، وكراهية الضياء، وفم المريض
يستثقل وقع الغذاء، وليستمر طعم الماء، والجعل يتغذى بالسرقين ويموت من الورد
والنسرين ومن الريحان والياسمين ومن جاسر عين الشمس فقد نطق في الحسن
ومن حارب جيش العقل وخلع ربقة العدل، ورضى لنفسه بمجانسة الجهل
فقد كفى خصومة مؤنة عتابه وعقابه، وقد امرني يادة المحنة لتمام مابه
كتبت هذه الاحرف ولم يومني الحر الشديد، والسفر المديد قلبا يدرى
ولا بنانا يجرى فاني قد ذبت غير حشاشة ودماء، مابين حر هوى و
حر هواء، فاما حر الهواء فنشاهده حاضر، ودليله ظاهر، واما حر الهوى
فان هواى مقصور على مولاى وقلبي حما لا يحله غيره، ولا يعمره الا ذكره،
وارجوان لا اعدم على ما قلته من قلبه شاهدا، ومن علمي به رائدا،

وكتب الى قاضي الرى ابي الحسن بن شادان

كتابي ايد الله تعالى القاضي من قم وانا فيها بمكة حر الاحجار، وبعمان هواء
لا ماء، بل كتابي وانا في سلامة الا من الحر الذي يذيب دماغ الضب ويشبه
قلب الصب وهذا سرقته من رسائل الوزير الجليل ابن عباد وليس باول اغارة
الكردي على الحاجي ولا باول اخذ الطرار، مال التجار، ولا باول تجمل المتكاتب
بكلام الكاتب وهل عبرنا منذ عرفناه الا عن بيانه وهل اجرينا اقلامنا الا
على آثار قلمه وبنانه، وهل اغترفنا الا من بحره، وهل نطقنا الا بنظمه ونثره
وهل على الارض عار ان تطلب سقيا السماء، وهل بالفقراء نقص ان ياخذوا
صدقات الاغنياء، وهل يعاب النهران يستمد من البحر، وهل يضع من الساري
ان يستنير من البدر، لا بل كتابي عن سلامة الا من مباينة الجمال ومن عشرة
الجمال على ان الجمال حمار وهو ينطق بلسان، وتشبه خلقته خلقة الانسان
لا بل كتابي عن سلامة الا من سبعي من كل حضرة بعد تلك الحضرة البهية،
ومن كل نفس بعد تلك النفس الزكية، فاني منذ لقيتها وزنت العالم باخف
صنجة وقومت الدنيا باوكس قيمة، على اني ما خرجت منها الا طريد حياء،

ووقيذ عطاء، وفدت على الوزير ابن عباد وحقيبتي مملوة رجاء، وصدت عنه وهي مملوة مدحا وثناء، ولقد غاص في معناه على دقائق من الكرم اخترعها ونوادر من الجود ابتدعها، لو كانت ابياتا لكانت اوابد، ولو كانت قصائد لكانت قلائد، ولو كانت الوانا لكانت غرراء، ولو كانت حليا لكانت دررا، فلما رأيت ان لا ازداد في صناعة طبقة، ولا اترقى في نعمة درجة، الا ازددت عنها تبلدا وبجها تقاعدا، هربت لاكون اوحد في الهزيمة من الجميل، كما انه اوحد في بذل الجزيل، ولا اغرب في الهرب على الشعراء، كما اغرب في العطاء على الرؤساء، وليجمع بيننا ظاهر اسم الاختراع ومحواه، وان فرقت بيننا حقيقته ومعناه، خلفت على القاضي من دقائق اشغالي ما اذا تفكرت فيه قرعت له سني، وتعجبت منه ومني، ورأيتني قد ابتذلت الكبير للصغير، ونطت الحقير بالخطير، ولكن الكريم اذا رأى المكارم لم يجل عن دقيقها، ولم يدق عن جليلها، وقد يتواضع الاسد لصيد الارنب وافتراس الثعلب، وان كان يفترس الفيل، ويصطاد الزنديل، فاما انا فاني اخترت لغرس مودتي من تزكو تربته، وتحمد صحبته، وانزلت حاجتي بمن داره مفيض حوائج الاحرار وبابه مثابة الشكر من الاقطار، ومن نظر الى ندماء الوزير واصحابه، والى حجابه وكتابه، علم انه لم يلقطهم الا بزائد الفراسة، ولم يغض عليهم الا بمعونة من التوفيق والهداية، وانه طالع ما وراء العواقب بمرآة من التجارب وانه اذا قدح بالظن اثقب واذا ولد بالرجاء انجب واذا نظر الى الناس عرف النقاية فلقاها والنقاية فانفاها، وعلى هذه الجملة كان اخلياء القاضي صادف صنعه مصطنعا، ووافق بدره مزدرعا، ووقع الجميل منه موقعا، ليت القاضي لا يقول هذه الحجة لا تساوي كل هذا الملق، وكل هذا السجع الملفق فاني لم يبق في قلبي سجعة الا نثرتها، ولا في لساني فضلة الا احضرتها والسلام

وكتب الى صاحب ديوان الحضرة

كان صدر عني الى حضرة الشيخ كتاب بانشاء الشوق اليه وكثرة التلهف

عليه، وكتبت بريد الحمد والشكر، واملاه لسان الحديث والذكر، وعزيز علي ان في هذا الفصل الذي هو شباب الزمان، ومقدمة الورد والريحان غائب عن مجلسه الذي حضوره شرف دهري، واستئناف عمري، ورفعة قدري لا بل عن وجهه الذي اذا لقيته لقيت به السعد طالعا، والنجح مطالعا، وفارقته ففارقت شخص البركة واليمن، وهيكل الاحسان والحسن والدهر غريمي في استئناف تلك الحالة القديمة، ومراجعة تلك الحضرة الكريمة، وانا راجع، فهل الشيخ مراجع، وانا تائب، فهل رضي الشيخ الى آئب، وسالقي اليه ربقتي، واوقف عليه طاعتي، فان صفح فطالما انكسرت المودة ثم انجبرت، واقبلت الاحوال بعد ما ادبرت، وطالما تقدم عتاب وتاخر اعتاب، وطالما زجر الساعي بالضرب فخاب، ورمى بين الاحرار بسهمه فما اصاب، وطالما كان قليل الهفوة، ويسير النبوة وعارض الجفوة، سببا لحميد الرضى، وكريم العتبى، وكثير الرجعى، لا بل اصل الخلف القطيعة ابقى، والمودة بعد النفرة اخلص وابقى، لان العتاب قد صفى ماء هاء، وجلا اقذاءها، وابرز عن غش مفسديها، ودل على كذب من سعى بالنمائم فيها، وان دام الشيخ على حقده، ولم ينحل عن عقده، لم يجد لي بحمد الله كاسد الشعر، رخيص المهر، قوي الجزع، ضعيف الصبر، ولم اسقط عليه سقوط الذباب في القدر، وانما الادب سلعة تنفق على الكرام والشيخ منهم، وتكسد على اللئام وهو بنجوة عنهم، ولقد خصني من بين الازمان زمن لئيم، ووقع في قسمي من البخوت بخت ذميم، حيث صرت الملزم خراجا التزم بنو المدبر اضعافه للبحتري، واضيق في ضيعة وهب امثالها محمد بن الهيثم الغنوي لابي تمام الطائي حيث قال البحتري

ولولا اغالي بالضياع وقد دنا	على مدها واستقام اعوجاجها
اذا كان لي تربيعها واغتلالها	وكان عليكم عشره وخراجها

وقال ابو تمام الطائي

فدع ذكر الضياع فبي شماس	اذا ذكرت وبي عنها نفار

وبالى ضيعة غيها المطايا	وشعر لا يباع ولا يعار	

فان كان اولئك رؤساء فليس رؤساؤنا برؤساء، وان كان هؤلاء شعراء فلسنا نحن شعراء، وقد عرف الشيخ انى ٩٦ قيم على الخسف، ولا احل الا خطة النصف، فان رأى ان لا يفجع خراسان بلسانها، ولا يخليها من سيفها وسنانها، فعل

وله رحمه الله تعالى

ورد على كتاب من ورائى، من اسرتى ووكلائى، يذكرون فيه ان الشيخ قد ترك لهم خراج هذه السنة، وكفر عن تلك السيئة بهذه الحسنة، ومثله من عقب الفساد بالصلاح، وعفى بالمراهم على آثار الجراح، وانا اعلم ان ماكان منه من الاولى كانت نادرة وفلتة، وان ماكان منه من الاخرى كانت قصدا وعملا وفطرة، فان الكريم اذا اساء فعن خطية، واذا احسن فعن عمد ونية والحر اذا جرح اساء، واذا خرق رفا، واذا اضر من جانب نفع من جانب وان يكن الفعل الذى ساء واحدا، فافعاله اللاتى سررن الوف والله تعالى يطيل بقاء الشيخ لممتحن يخلصه، ولفاضل يستخلصه ولعارفة يسديها، وصنيعة يوليها، ورغبة يعطيها، ومعال يوشيها، وكربة يجليها، ومهمة يكفيها، وملمة يلدويها، وايام كايامنا هذه يداريها، ودولة سامية يليها، وجنية من جنيات الكرم يجنيها، ومعاة من مساعى الشرف يبنيها، وذخيرة من خائر الشكر يقتنيها، وغاية من غايات الفضل يحتويها ومسبق يهاليها، وصفوة من المعالى يصطفيها، وحسنة يرغب فيها وفى ذويها، اسئل الله تعالى ان يعيننى على شكره، وان يزيدنى من بره

وكتب الى الوزير ابن عبا لما فارقه وهو باصفهان فى توفيتا خت الوزير

كتابى اطال الله بقاء الوزير من حضرته الى حضرته، ومن مستقر عزه الى مستقر عزه، فانا بما تبغى من عنايته، وشيعنى من عساكر حياطته ورعايته، ونسبت اليه من خدمته، ولاح على صفحات احوالى

من مواسم نعمته، صالح الحال، بل ناعم البال، راس من الايام والليال، والحمد لله ذي الجلال، وصلى الله على محمد والنخير آل، فقد كنت احسب ايدا لله تعالى الوزير انى توصل الى بره، واكرع من بحره، وارد شريعة نواله، واضرب عطفي بين جاهه وماله، اذا وردت حضرته البهية، وطالعت طلعته الزكية، فاذا فارقتها انحسمت على مواد المواهب، ولم تصافحني ايدي الرغبات والرغائب، فاذا انا بنعمته يشيعني غائباً كما تتلقاني حاضراً، وتمشي على عقبي ظاعناً، كما تنزل بعي قاطناً، كالغيث يستقبل الطالب ويتبع الهارب، وكالقمر يطلع على المسافر طلوعها على الحاضر، وذلك اني وردت هذه الناحية المغمورة ببركات نعمته، المكنوفة بافضاله وفضله، فرأيت بها من غرائب الاكرام والاعظام، ومن دقائق الافضال والانعام، ما ترك مطايا الشكر محسورة مهورة، وجعل ايدي التعديد قاصرة مقصورة، وقدمت من خليفته فلان على رجل عجن من طينة الحرية، وضرب في قالب الفتوة والانسانية، وسخرت له المكارم يضرب فيها بسهام الاقتدار، و يصرفها على حكم الاختيار، اوله ثناء جميل، وآخره عطاء جزيل، وفيما بينهما ترحيب وتأهيل، وتعظيم وتبجيل، بر حتى سر، وعظم حتى فخم، وافضل حتى اخجل، وتركني اتردد بين محاسن قوله وافعاله، واجيل طرفي بين طرفي تنزيله واتراله، واذكر به اخلاق الوزير التي ما رايت كريماً الا ذكرنيها الاستيفائه منها، ولا لئيماً الا مثلها لي لتخليه عنها، يذكرنيه كل خير رأيته وشر، فما انفك منه على ذكر، وكيف اتعجب من علق الوزير انتخذه، وسيف بنانه شحذه، ومن جواد هو ضمرة للرهان، ومن حر هو علمه نسخة الحسن والاحسان، ومن تلميذ استفاد منه، وخريج صدر عنه، فهيهات ان السيوف على مقادير الاعضاء تفري، وان الخيل على حسب فرسانها تجري، وحق لنهر انشعب من بحران يكون غزيراً، ولنجم استضاء من بدر ان يكون منيراً، على انه بالآباء تقتدي الاولاد، وعلى اعراقها تجري الجياد،

والسيف ما لم يلف فيه صيقل	من سنخه لم ينتفع بصقال

وقد ذكرني ما رأيته قول من سئل عن ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية رضي الله تعالى عنهم فقال له السائل اني لم استكثره منه فصغره لي فقال انظر الى اثره على واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد فاذا اقول في حجم هذا شرره، وفي سيف هذا اثره، و في كريم هذا نتائج سؤدده، وآثار يده، فسبحان من جعل نعم الوزير تكنفني في الحضور والغيبة وتحيط بي من الجوانب الستة، فاذا حضرته ربطا الغني واذا فارقته تبعني

	ففي كل نجد في البلاد وغائر	مواهب ليست منه وهي مواهبه	

المصيبة التي وقعت صفاة الوزير في المتوفاة زكى الله عملها وحقق في مغفرته املها وان كانت نالت كلا من خدمه، ومتحملي اعباء نعمه، بالغم الذي لا تنجلي كربته والجرح الذي لا تؤسى ضربته، وخصني من بينهم بالنصيب الاوفر، والقسم الاكثر فاني غار لجنبة الوزير من ذكر النساء اولا، واتطير لنعمته ان تتخللها التعازي والمراثي ثانيا، وآنف له من ان اقيم مقام من يعظ وينبه ثالثا، والا فالقريحة بحمد الله تعالى متدفقة، والخواطر مجيبة، والشعر ليس بعازب، و الشيطان ليس بغائب والطريق الذي نهجه الوزير لنا في الادب عامر ومسلوك لا متروك وقد كان ابو الطيب عزى سيف الدولة عن اخت له فقال

	يعلمن حين تحيى حسن مبسمها	وليس يعلم الا الله بالشنب	

ولو عزاني انسان عن اخت لي بمثل هذا لالحقته بها، وضربت رقبته على قبرها ولا مجال للهم والغم بين عزاء الوزير وهنائه، ولا مرتع للبكاء والفجيعة بين بقاء النعمة عليه وبقائه، وانا اكتب للزمان سجلا بانه اذا تخطأ فناءه ولحظ حوادثه حوباه، فسائر ما يأتيه صغير محتقر، ومنسي مغتفر، وباطل وهدر وسيرد على الوزير شعر غلام لم يعلم انه لم يجهل مقتضى النعمة، ولم يخلد الى الغيبة، ولم يدخر شعره، ولم يخبئ بعد عروس عطره، ووالله ما انصفنا ولي نعمتنا، ومالك رقنا، وجالب رزقنا، فيما نشاركه في نعمائه، ولا نشاركه في بكائه، ونساهمه في احوال الرخاء، ولا نقاسمه احوال البلاء ولا نساعده على البكاء، ونتحمل اعباء منته، ولا نتحمل اعباء محنته قضية والله سدمية، وسنة جدوبية، لا زالت الحوادث عن فنائه ناكبة

والخطوب

والخطوب عن نفسه وانفس اعزته عازبة، وصروف الايام عن مستقر عزه مصروفة، والحاظها دون تطرف نعمته مطروفة، ولا زال يتعرف من الله تعالى صنعاً يكوطريفه على تليده، ويقع عتيقه وراء جديده واراناالله جماعة اوليائه فيه، ما تضيق ساحة رجائنا عن بغيته، ويأتى على صالح دعائنا برحمته، فلان خادم الوزير قد وقف على نفسه صانها الله وماله ثمره الله، وقلد ني نعمة صارت الى نعم الوزير مضافة اذ كان في طريقه ذهبٌ وعلى قالبه ضربٌ وكأن خدم الوزير كثرهم الله في تناسبهم انعالهم، وتكافؤ احوالهم، حلقة مفرغة، لا يدرى ما طرفاها، وسبيكة ذهب لا يعلم اسفلها افضل ام اعلاها، وكلما فقدت منهم درهما وجدت دينارا، وكلما فقدت دينارا وجدت قنطارا، والوزير اوسع لمكافات خدمه، فانما يتقارضون من فضلات ما عندهم ماء نعمه، ويعير بعضهم بعضا ما يتقلب فيه من بقايا موهبه وقسمه، ثم مرجع الشكر بعد هذا اليه، ومدار الاحسان والاستحسان عليه، وما عسى اقول في مدح الوزير ونعمه، الا ان استعير لسان طفيل الغنوى فاقول

جزى الله عنا جعفرا حين ازلقت	بنا نعلنا في الواطئين فزلت
ابوا ان يملونا ولو ان امنا	تلاقى الذى يلقون منا لملت

وكتب ايضا الى بندار رئيس ابورمن الرى لما رجعت الوزارة الى الوزير ابن عباد وعفا عن ندماء ابن العميد

كتابي اطال الله بقاء سيدي من حضرة الوزير عن سلامة مشتبكة، وحال بجميع احواله متمسكة، والحمد لله تعالى على النعمة عليه اولا، وعلينا به آخرا وقد صدر كتابي الى سيدي مشحونا بجد رجوت انه يجمه، وهزل ما اشك انه يطربه، والجد في غير وقته كثافة، كان الهزل في غير موضعه سخافة، وخير الكلام ما انتزع من ضده الى ضده، ورتع بين هزله وجده، واستوفى صفة القائل رحمه الله تعالى، وكلام كأنه قطع الروض وفيه الصفراء والحمراء، وردت ايد الله سيدي من حضرة الوزير على رجل زادته الرفعة تواضعا، والصيانة تبذلا،

حتى كان الايام كتبت له وثيقة بان يستبقي جميل عهدها بجميل عهده، ويستديم
جزيل رفدها بجزيل رفده، وكان صروف الدهر شارطته انها لا تفي له حتى يفي
لاخوانه، ولا توافقه حتى يخالف اهل زمانه، وما ظنك برجل نفذ توقيعه في
البر والبحر، وجاز حكمه في اهل نجد والغور، وخدمه اعيان العرب والعجم
وقبل يده ملوك الجبل والديلم، وصارت لحظة منه تغني، ولفظة
منه تفني، وسطر من سطوره يحيي ملا، ويقرب جلا، وخلوة من
خلواته تزيل نعما، وتحل نعما، وهو مع ذلك بين سكر الدولة وسكر
الشبيبة، ثم هو بعد هذا كله على عهده القديم تواضعا وتقربا، وعلى
سجيته المعروفة المالوفة توددا وتحببا، يصل بشره، قبل ان يصل بره، ويحيي
القلوب بلقائه، قبل ان يميت الفقر بعطائه، اكرم الناس عليه، اكثرهم
حوائج اليه، وابعدهم منه، اشدهم انقباضا عنه، حتى كان الله تعالى لم
يبلغه ما بلغه، ولم يسبغ عليه ما اسبغه، الا ليكذب الفرزدق في قوله

قل لنصير والمرء في دولة السلـ	ـطان اعمى ما دام يدعى اميرا
فاذا زالت الولاية عنه	واستوى بالرجال عاد بصيرا

ويصدق زيادة الاعجم في قوله

فتى زاده السلطان في الحمد رغبة	اذا غير السلطان كل خليل

وانا من بين الجماعة قد حظيت به بحر الغنى، وركضت به في ميدان المنى
ورايت يقظان، ما لم اكن احتلم به وسنان، وزفت الي الايام بمشاهدته
من ابكار النعم ما تقاعد عن شكره، واصغر عن قدره، ولست امسح من
البياض بالمقدار الذي يسع تفصيل هذه الرغائب ويستوي في اقسام هذه
المواهب ولكني اقتصرت بالمكاتبة على الجملة واكل التفصيل الى المشاهدة
فلسان العيان، انطق من لسان البيان، وشاهد الاحوال اعدل من شاهد
الاقوال، وسيكون الالتقاء قريبا فان الشاعر اذا استغنى حن الى اهله
ورجع الى اصله، واحب ان يرى عليه عنوان اليسار، ويجلو نفسه على
عدوه وصديقه في معرض الاستظهار، ويعلم الناس انه زرع رجاء فحصد

عطائه، واسلف من الكلام عوضا زاهقا، فاخذ من المال جوهرا نافقا، وفرح الك عز
اذا قبل شعره، ونفق سعره، كفرح التاجر، صاحب الجواهر، اذا اشتريت يتيمته،
والشيخ ابي البنت اذا خطبت كريمته، وجدت فلانا وفلانا ندماء ابن العميد رحمه
الله وقد البسهم الخذلان ثيابه، ونفض عليهم الادبار ترابه، ونبذهم الاقبال
وراء ظهره، ونظر اليهم الزمان بمؤخر عينه، فهم ارخص من الثمر بكرمان، واضيع من
الورد في شهر رمضان، واثقل من الفرو في حزيران، واكسد من ابي بكر الخوارزمي
بخراسان، وكذلك تكون مصارع البغي والعدوان، وحقائق البهت والبهتان،
ولقد جلسوا على قارعة الامصار، واعترضوا ايدي التحكم والاقتدار، واستهدفوا
لسهام الايام والاقدار، لولا ان امورهم افضت الى رجل عليه من التوحيد والعدل
مانع، وله من الحلم والحياء وسيلة وشافع، هذا وقد ولغوا في دمه، و
رتعوا في لحمه، وخبوا واعنقوا في ذمه، بل في شتمه، فلم يبقوا في القوس منزعا،
ولم يتركوا للصلح موضعا، فلما دفع الاقبال ربقتهم اليه، وصارت حياتهم وموتهم
في يديه، اسبل عليهم ستر العفو والمغفرة، واسبغ فيهم حكم الصفح بعد المقدرة
وقلم عنهم اظافير الحدثان، وقام دونهم في وجه الزمان، وما قتلهم الا يوم احياهم
ولا افناهم الا حيث استبقاهم، ولو كانوا يرجعون الى نفس مرة، والى عراق حرة
لكانوا الى نظر عين الشمس اقوى عينا من نظر الى طلعته، ولكان المقام في القفر
بل في القبر اهون عليهم من المقام في حضرته، ولئن غرهم الكرم والتكرم وطردهم
الحياء والتندم، فلعن الله تعالى من لا يعرف الالم الا في جسمه، ولا النقصان الا في
ماله، ومن لا يقتله العفو ولا يأسره الاطلاق، ومن لا يعد الا حفظ اللغة و
الاعراب، ورواية اشعار الاعراب، هذا جسم الادب فاين روحه، وقشر الفهم
فاين لبه، ولو كانت المروءة رجلا لكان كريم الطرفين، شريف الجانبين، مهذب
العرق، حسن الخلق والخلق، ولو كانت المروءة امرأة لكانت غضيضة الطرف،
ناصعة الظرف، وفية جميلة العشرة للاهل، ولو كان كفران النعم طعاما لكان
قذرا ووضرا، او شرابا لكان عكرا كدرا، ولكن كل انسان ينمي الى عرقه وليه،
وكل اناء يرشح بما فيه، وما اذكر المتوفى رحمه الله تعالى الا بخير، ولا اقابل نعمه

لا يبالي ولكني احب لو تيسر مثله ان يختار ندماءه، وان يشترط على المجالس جلسائه ان يكون اختصاصه لهم من حيث شرائط الاختصاص والاكرام لا من حيث حظوظ الجدود والاقسام، وان يكون افضاله عليهم على مقدار ما يجده من الفضل لهم، ليكون قد اصاب بعارفته مظنة الاستحقاق، ولم يلقها على طريق الاتفاق، وليكون قد ارتاد فاحسن الارتياد، وانتقد فلم يظلم الانتقاد فاما ان تكون الندماء يتقربون الى الملوك بهتك الاسرار من الاستار ويأكلون خبزهم بلحوم الاحرار، فذلك مما يضيق عنه مسالك الحرية، وينطق بحضرته لسان الانسانية، ولقد كشفت الايام من حلم هذا الصدر عن غاية لم تطمح اليها عين، ولم تقرع بها اذن، ولم يعثرها بها ظن فصارت صلاته من الآجال كصلاته من الاموال، وتصدق بعرضه على اعدائه كما تصدق باموالہ على اوليائه، ليكون الجود متكافئ الطرفين و السودد متعادل الوصفين، ولئلا يبقى في الكريم غاية الا انتهى اليها، ولا المدح جليلة ولا دقيقة الا غاص عليها، فلان قد ابطأ علي فليت شعري الريح قلعته، ام الارض ابتلعته، ام الافعى نهشته، ام السباع افترسته، ام الغول اغوته ام الشياطين استهوته، ام اصابته بائقة، ام احرقته صاعقة ام رفسته الجمال، ام اغتاله الجمال، انتكس على ظهر جمل، ام تدحرج من رأس جبل، ام وقع في بئر، ام انهار عليه جرف شفير، ام جفت يداه، ام قعدت رجلاه، ام ضرب بالجذام، ام اصابه البرسام، ام جمش غلاما فقتله الغلام، ام تاه في البرام، اغرق في اللجي، ام مات من الحر، ام سال به سيل راغب، ام وقع فيه سهم من سهام الاجال صائب ام عمل عمل لوط فارسلت عليه حجارة من طين منضود، مسومة عند ربك وما هو من الظالمين ببعيد، وكاني به وقد سمع هذا الفصل فغضب علي و شتم طرفي. وما اردت بما قلته غير الشفقة، ولا نطقت الا بلسان المقة واما انبعث فيه السنة. فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة، وهذه مزحة خفيفة، وان كانت ثقيلة عليه

وظريف وان كانت سخيفة لديه، ومحببة الى سامعها وان كانت بغيضة اليه، وقد اعتذرت والعذر وان قل، دواء كل ذنب وان جل، والسلام

وله الى بعض حكام الرساتيق لما رجع الى نيسابور

كتبت وقد اذن الدهر بالعتبى بعد العتب، وبالصلح بعد الحرب، ورد الله تعالى على من الاقبال، ما كان غصبنيه البخت العاثر، والحظ الغادر، ورد كيد الساعي في نحره، ورد غصته في صدره، والحمد لله تعالى على انعام علينا بما ليس له عندنا شكر، ودفع عنا ما ليس لنا عليه صبر، فما اعظم النعم على غير الشاكر، وما اعجب زوال المحنة عن ليس بصابر، ذكر سيدي حال تلك الضيعة الضائعة، التي اول عهدي بها آخر عهدي بالوجه المصون، والعرض المخزون، والخط يد الله تعالى سيدي في تلك الضيعة جليل، والحديث فيها طويل، لا اسعه حتى اعقد لعجائبها حسابا، واصنف فيه كتابا، واستأجر لتفصيل ذلك وشرحه كتابا، يرتبونه بابا بابا، ويجعلون له رؤسا واذنابا هذا بعد ان اشتري كاغد سمرقند كله، وابري قصب الدنيا دقه وجله، و يكون مدادي ماء البحر، وعمري عمر النسر بل الدهر، وما ظن سيدي بضيعة الزمتني الجزية بعد ان كنت الزمها الصغير والكبير، واستأذ بها الرعية والامير واخرجتني من عز السلاطين الى ذل الدهاقين، وجمعت على فتور الاغنياء وغم المساكين، وشغلني صداعها عن اشغال الدنيا والدين، يستغل الناس الغلة ولنا استغل القلة والذلة، ويزرعون في الارض حبا، فيحصدون حبوبا، وانا ازرع في قلبي كربا، واحصد كروبا، وقد صرت من اجلها اخدم قوما كنت استخدمهم، واسلم على اناس كنت اذا كلموني لا اكلمهم، ويحجبني من لو حضر بابي من قبل حجبته، ويعرض عني من لو سألني فيما مضى ما اجبته، قد كنت ابغض الهوان انا مرباني، فاليوم قد دخلته داري وبين ثيابي، والى من يشكو المفعول به وهو الفاعل، ومن يطلب بالقتيل وهو القاتل والسلام

وكتب اليه ايضا

... في مرضاعي وانا حاضر ما قوى حسن ظني به وانا غائب
... ... حفظه غائبا عهده ومن احسن مشاهدة
... ... من حفظ على ظهر الغيب فقد رعى الوفاء فلما عبت
عن ... بتلك الناحية عين العين ودلى الحاكم حوادث البشر و
... من الصنيعة وفي تلك الغلة من الفلة ما بغض الى المال
وحبب الى الفقر والاختلال وذكرني كلما سمعت بذكر ضيعة قرأت المعوذتين
وانهزمت مرتحين واقسمت بالله ... على مرقبين وانما يكره الفقر لما فيه من
الهوان ويستحب الغنى لما فيه من الصوان فانا ابلغ الغم من تربة الغنى فالغنى هو
الفقر واليسر هو العسر لا بل الفقر على هذه الصفة والحالة والقضية اجمل من الغنى
حالا واقل منه استغناء لان الفقير خفيف الظهر من كل حق منفلت الرقبة من
كل رق لا يلزمه اداء الزكاة ولا تتوجه اليه غوائل النائبات ولا يستبطئه اخوانه
ولا تطمع فيه جيرانه ولا ينتظر في الفطر صدقته ولا في النحر اضحيته ولا في شهر
رمضان مائدته ولا في الربيع باكورته ولا في الخريف فاكهته ولا في وقت
الغلة شعيره وبره ولا في وقت الجباية خراجه وعشره فانما هو مسجد يحمل
اليه ولا يحمل عليه وعلوي يؤخذ بيده ولا يؤخذ من يده يتجنبه
الشرطي بالنهار ويتوقاه العسس بالليل وفي الاسحار فهو اما غانم او سالم والغني
انما هو كالغنم غنيمة كل يد سالبه وصيد كل نفس طالبه وطبق موضوع
على شارعة النوائب ومنصوب على مدرجة المطالب تطمع فيه الاخوان
ويأخذ منه السلطان ويتطرق اليه الحدثان ويتحيف ماله النقصان فاذا
كانت حاله حالي فوقع عليه اسم الاغنياء واصابه من الضرر ما يلحق بالفقراء
فقد نظم له بين المحنتين وخرج عليه الزمان من كمينين لان حقوق
الاغنياء ترهقه من جانب وتبذل الفقراء ومهانتهم تلحقه من جوانب فلا
هو غني فيتسلى بوفره ولا هو فقير فيستريح الى فقره فهو كمؤدي الخراج و
ليس له غلة وكالراهب المعذب نفسه بالعبادة والخلوة وليست له ملة
فقد جمع المشقة والمضرة الحاضرة وخسر الدنيا والآخرة ولولا ان تضييع

المال

المال، ضرب من العجز والاخلال، وخصلة من خصال النساء لا الرجال، لكنت اترك تلك الضيعة نسيا منسيا، واجعل حديثها بساطا مطويا. ولكني لا اغبن عن الصغير، كما لا ابخل بالكبير، ولا اغالط في القليل، من حيث لا اضايق في الجليل، ولقد كسدت بخراسان لاني بها موجود والموجود مملول، كما ان المعدوم مسئول، وما ارخص الماء اذا وجد، واغلاه اذا فقد، وربما غلا الشيء الرخيص والله تعالى اسأل ان يهب ريح الكرم ويطلع نجم الهمم، ويجلو عن خلقه صدأ هذه الاخلاق والشيم بمنه وكرمه

وله الى فقيه بلاد قومس وقد ورد عليه بنيه للقراءة

ورد على كتاب الفقيه بعد نزاع كان اليه، وحرص كان عليه، وبعد ان اقترحته على الدهر، وخلعت فيه ربقة العزاء والصبر، ولم ادر بايهما انا اشد سرورا ابالكتاب وهو اسير واصل، ام بحامله وهو اجل حامل، فلان ولدي قد اقتطعت له من فراغي فلذة على انني لو درسته حتى تحفى الاقلام ويفنى الكلام، وتحصر الافهام والاوهام، ثم لقنته العلم لقمة، وسبكت له الادب فقرة، والهمته جوامع الكلم وافرغت في خاطره اداب العرب والعجم، وخرجت له من حد الافهام، الى حد الالهام لكنت فيه عن قضاء حق من حقوق الفقيه قاصرا، ولكان وقوعي دون ادنى مواجبه على ظاهرا، ولكن الاقرار عذر قوي، كما ان الانكار ذنب طوي، وقد كان هذا الولد ديباجا مجملا، فصار بحمد الله تعالى ديباجا مفصلا، وكان اغر فصار اغر محجلا، وارجو ان الله تعالى يحيي به مآثر سلفه الصالحين، ويعلي به منازل آبائه الاولين، وان يكون اولهم علما وادبا، وان كان آخرهم ميلادا ونسبا

وله الى خلف بن احمد

ورد كتاب الامير متضمنا المواعظ التي تفلق الصخر، والحكم التي تشرح الصدر، يامرني فيه التأدب بادب الله تعالى والتنجز لموعوده ويشير

علی بان اتدرع درعا من التماسك، وتردعنی داعیة التهالك، وفهمته ولعمری ان الرزیة بفلان رحمه الله تعالی وان كانت عظیمة تنسی العظائم، وتوهی العزائم، فان عظة الامیر مما یهون الخطب ویكشف الكرب ویداوی القلب ولقد ضرنی الزمان بحد حسامه، ورمانی بانفذ سهامه، فان اجر علی سبیلی الاولی فی الجزع، وادرع داعیة الوجد والهلع، فلعظم خطب الرزیة، ولثقل وطأة البلیة، ونفوذ السهام النبلیة، ولئن استسلمت للقضاء، واستقبلت قبلة الصبر والعزاء، فلبلاغة العظة، ولمزوم الحجة، ولما وفق الامیر له من مداواة القرحة، وبرضالة السلوة، علی انی وثر الآخرة علی الاولی واحمل التأسی علی الاسی لاكتسب بذلك مرضی الله تعالی فی الآجل ذخرا، ومرطاعة الامیر فی العاجل فخرا، فاكون قد نسقت بین الطاعتین، واستوجبت بهما الثواب فی الدارین، ولاكون قد اصبت بمصیبة احاط بها اجران، وابتلیت بعسر اكتنفه یسران، فانا المحنة فرادا، واذا النعمة مثنی، والله تعالی یرحم الماضی رحمة تضیئ قبره، وتحط وزره، وتضاعف اجره، وتلحقه بالنبی صلی الله تعالی علیه وسلم وعلی آله وعترته، وبموالیه وشیعته، لیرتع معه فی روضه، ویشرب بیده من حوضه، ولیحشر فی اعلام اهل دینه، ویعطی كتابه بیمینه، ویطیل عمر الامیر حتی تصیر خدمه من ابنائه، ویعز نصره حتی یكون خدمه و حشمه من ولاة اعدائه، ان رأی الامیر فی هذه المخاطبة لفظة ینبو عن قبولها طبعه، ویتجافی عن استماعها سمعه، صرف ذلك الی دهش الروعة، وشغل القلب بالفجعة، علی انا ان اصبنا فبدولته، وان اخطأنا فلهیبته،

وكتب الی ابی قاسم بن ابی الفرج كاتب ركن الدولة لما عزل

انا اهنئ الدنیا یوم عزلك، كما كنت عزیتها یوم ولایتك، فلئن عد اقبالك فی مثالبها لقد ذكر ادبارك فی مناقبها، ولئن كانت عوتبت یوم رفعتك، لقد اعتبت یوم وضعتك، وانت والله الجلیل لسر لفراقه والخلیل اهنئ بطلاقه، ولقد كان معرض النعمة فیما علیك

مستغبثا من يديك، كأنك أبا القاسم لم تتول إلا التصديق الأول

وكل ولاية لا بد يوما	مغيرة الصديق على الصديق

ولم تعزل إلا لتترجم عن قول الآخر

ستعزل إن عزلت ولا بساوي	صنيعك في صديقك نصف فلس

لا بل كأنك ما قلدت إلا ليشتد غيظ الأحرار، ويقوى طمع الأشرار، ولتصل زيادة في نوب الأيام إلى الكرام، وحجة عليها اللئام، ولقد خالفت قول الجحاف

نحن الذين إذا علوا لم يفخروا	يوم الهياج وإن علوا لم يضجروا

فلقد ظفرت فلم تضبط نفسك نشاطا، ونكبت فلم تملك استك ضراطا فضقت عن احتمال الفرحة، كما عجزت عن احتمال الترحة فلم توجد يوم سعدك شاكرا، ولا يوم نحسك صابرا، فالحمد لله الذي جعل مسك لنا عبرة، ويومك لنا نعمة، ولا عدمنا فلكا دار بودك إلى قيمتك، وصير حالتك في وزان آلتك، فلا زلت بعدها غضيض الطرف، راغم الأنف، صديقك يرحمك، وعدوك يظلمك ويتهضمك، أقرب الناس إليك أكثرهم بكاء عليك، وأدناهم منك، أشدهم هربا عنك، والسلام على من قال آمين

وكتب إلى أبي علي البلعمي بعد أبيات استبطأ جوابها

قد حملت إلى حضرة الشيخ أبياتا عاتبته بها، بل عتبت فيها، وهي عروس كسوتها القوافي، وحليتها المعاني، ولعمري لقد زففتها إلى كفؤ كريم، وعرضتها من كرمه على قيم عظيم، فإن كانت حظيت ورضيت فبالرفاء والبنين، مائة سنة على متين، وإن كانت الأخرى فقد يصبر الكريم على من لا يحبه، ولا يميل إليه قلبه، والعاقل إذا أبغض أنصف وإذا أحب ألطف وعلى كل حال إن وجد الشيخ حرة فليسق إلى مهرها وإن لم تكن حرة فليوفر على خذرها، وليعلم أني خصيمه فيها، وخصمه عنها، والسلام

وكتب إلى تلميذ له من فقهاء نيسابور لما هرب من محمد بن إبراهيم

قد كنت ايها الفقيه عزمت ان اواتر عليك كتبي، وانبئك فيها بخبري، وافضي
اليك بعجري وبجري، واستأمنك في جل احوالي ودقها، وفي باطل اشغالي
وحقها، ولكني عورضت من المحن بما لم يترك لي قلبا يعقل، ولا بنانا يعمل
واقل ما لحقني غضب الامير علي وهذه حالة يفقد بها العقل، ويشيب بها الطفل
ويتوقع معها الموت بل القتل، ولقد نشبت بين اظفار الخوف، وعقلت
بحبالة الحتف، فلا انا آمن ولا امامي امل، وما كنت احسب اني انظر الى
قبري قبل انقضاء عمري، ولا اني ارى شخص ملك الموت في حياتي، قبل ان يجيء
وقت وفاتي، ولعمري لقد رأى لحاسد ما كفاه وشفاه، واضحكه مني مثل ما ابكاه
فلئن كان وشى بي الواشي لقد بلغ، ولئن كان قد تعني في افناء اجلي لقد افرغ
ولقد كنت ارجو ان يسعني ما يسع الاحمر والاسود، ويشملني ما شمل الادنى والابعد
ولقد اعتذرت فان عذرت فاليوم قبرت ثم نشرت، وان تكن الاخرى فهذه
عذرة الا تكن نفعت فان صاحبها قد تاه في البلد فالى اين المهرب من الفلك
الدوار، ومن القدر الجبار، ومن خطر الليل الذي هو مدركي وان خلت ان
المنتأى عنه واسع، ومن المجير من جل الانام داخل تحت ملكه، والايام منخرطة
في سلكه، وهل الهارب من المجد ودالا كالهارب اليه، وهل الصادر عنه الا
كالوارد عليه، ومن ذا يزاحم ركن الزمان، ومن ذا يبيت على وساد الثعبان، ومن ذا
يرجو الدواء والموت داؤه، ويثق بالاصدقاء والايام اعداؤه، فلان قد
احسن المحضر، وحارب عني القضاء والقدر، وليس الكرم عن مثله ببديع
ولا الجميل من اهل بيته بنزيع، فانما يجري على عرق جاذب، ويعمل على قياس
واجب، واني لا تلهف عليه تلهف آدم على الجنة، واحبه حب الصحابة السنة
واشتاق اليه شوقه الى وجه سؤاله، واعشقه عشقه لبذل نواله، والسلام

وكتب الى ابي علي البلعمي لما بلغه منه عتبه وخرج توقيعه بالتقريع

ذكر الشيخ اني تنقلت بعرضه المصون، وتمندلت بقدره المكنون
المخزون، وقد كنت احسب الشيخ امنع على السعاة جانبا من ان يقرعوا

صفاة حلمه، ويخترقوا بأباطيلهم طريق عزمه وحزمه، ولقد هدم على الوشاة حصناً كنت أعددته، وحلوا عقداً وثيقاً كنت عقدته، وسلبوني علقاً نفيساً اشتريته بنفسي لا بمالي، وحاربوني بعد ما كنت أحسبها أنها لي ولقد كنت أرى البعيد به قريباً مني، وأسري في الظلماء بضوء رضاه عني

فمن لي بالعين التي كنت مرة		إلى بها في سالف الدهر تنظر	

وها أنا هارب من نفسي فإنها أن غضب الشيخ علي كانت أقرب أعدائي إلي ومتهم لأعضائي فإنها عيونه وجواسيسه لدي ومن عاداه الشيخ حاربته نفسه، وزحف إليه نحسه، وصار خيره أمسه

ولا وساد على سم الأساود لي		ولا قرار على زار من الأسد	

لعن الله من يفسد ذات البين، ويسعى بالنميمة بين المحبين فلقد حارب بسلاح كليل إلا أنه قطع، وضرب بعضد واهية إلا أنها وجع، وإنما النمائم من سلاح النساء، ومن حصون الضعفاء

وكتب إليه لما طال عتابه وكثرت رقاعه إليه

أو بغير الماء حلقي شرق		كنت كالغصان بالماء اعتصاري	

كيف يقدر أن يقي الله الشيخ على الدواء من لا يهتدي إلى وجه الداء. وكيف يداري أعداءه من لا يعرف الأصدقاء من الأعداء، وكيف يعالج علة القرحة العياء، أم كيف يسري بلا دليل في الظلماء، أم يخرج الهارب من بين الأرض والسماء، الكريم أيد الله تعالى الشيخ إذا قدر غفر وإذا وثق أطلق، وإذا أسر أعتق، ولقد هربت من الشيخ إليه، وتسلحت بعفوه عليه، وألقيت ربقة حياتي ومماتي بيديه، فليذقني حلاوة رضاه عني كما أذاقني مرارة انتقامه مني، ولتلن على حالي غرة عفوه كما لاحت عليها مواسب غضبه وسطوه، وليعلم أن الحر كريم الظفر إذا نال أقال وأن العبد لئيم الظفر إذا نال استطال، وليغتنم التجاوز عن عثرات الأحرار ولينتهز فرص الأقدار، وليحمد الله تعالى الذي أقامه مقام من يرجى ويخشى

وركب نصابه في رتبة شاب الزمان ومجد هافتي واخلق العالم وذكرها طري فجعله في الميلاد كريها وسليلها، وفي الرتبة قدوتها وجليلها، وليعتقد انه قد هابه من استتر، ولم يذنب اليه من اعتذر، وان من دعليه عذره فقد خرج الى الشجاعة بعد الجبن واخرج ذنبه الى صحن اليقين من سترة الظن وفق الله تعالى الشيخ لما يحفظ عليه قلوب وليائه، وعصمه بما يريد به في جماجم اعدائه، وليس بين الموالاة والمعاداة الا لقية بشعر، اولفظة تدعه

وكتب الى ابن سمكة القمي وقد اهدى اليه مع كتابه هدية

لما وردت الناحية تسالبوني تسالب الطرفة، وتمادوني تمادى السماحة، ووزنوني بمعيار الامتحان، واجروني في ميدان الرجحان والنقصان فوجدوني بحمد الله تعالى جوادا يجري ما وجد مذهبا، وهزوا سيفا يقطع ما صادف مضربا، ولقد عاينوا رجلا هون عليهم من قبله، وبغض اليهم من بعده واجلت الغبرة عن المزور وهو حامد، وعن الزائر وهو شاكر، حملت الى سيدي كتاغير طامع في قضاء حق من حقوقه علي ولاشق غبار حسنة من حسناته لدي ولو اهديت اليه تاج كسرى وخراج الدنيا، وخاتم سليمان، وذخيرة الهرمزان، وصدقة البصرة، وجوهر الشمسرة، وكسوة الكعبة مع الدرة اليتيمة، مع جواهر الخلافة، نعم ولو اتحفته بمال قارون الاسرائيلي وكنز النطف بن حبر التميمي ومال عمرو بن حريث المخزومي ولو كسوته البردة النبوية، واعطيته الشطرنج الكسروية، ولو غرست شجرة طوبى في داره واجريت نهر الكوثر على بابه، وجعلت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد في قبضته، ولو قلت فيه ما قال حسان بن ثابت في آل جفنة، ومدحته بما مدح به زهير هرم بن سنان بن ابي حارثة، وشهدت له بما شهدت به الخنساء لاخويها صخر ومعوية، ووصفت فيه ما صنفه الجاحظ في محاسن احمد بن ابي داود الايادي، واغرقت اغراق الامامية في المهدي وفضلته تفضيل الشيعة للوصي عليه السلام، واعتقدت فيه اعتقاد النصارى

في

في المسيح اولاً، واعتقاد المانوية فيهما ثانياً، وانقطعت اليه انقطاع الاخطل الى بني مروان، واعتذرت اليه في تقصيري عن مدحته اعتذار النابغة الى النعمان، ثم لم ادع بيتاً نادراً، ولا مثلاً سائراً، الا جعلته سلكاً انظم به محاسنه، وقيداً اقيد به مناقبه، حتى افنى في ذلك بياض سمرقند واحفى اقلام مصر وواسط واشغل فيه وراقي الكوفة وكتاب السواد فانهم منبع هذه الصنعة، ومعدن هذه الحرفة، لا بل لو تجردت لمدحه تجرد السيف الحميري للطالبين وتجرد مروان بن ابي حفصة للعباسيين، واتعبت في ذلك الكرام الكاتبين، حتى تركتهم محمود بن لاعبين، لما كنت الا مقصراً ولكني اذا قررت عذري، واقررت بتقصيري وقصور قدري، فقد جاوزت عقبة الاستزادة وسيدي اعلم بخفايا عقدي، واعرف بحال عندي والسلام

وكتب الى تلميذ له لما تخلص من يد محمد بن ابراهيم

كتابي وقد خرجت من البلاء، خروج السيف من الجلاء، وبروز البدر من الظلماء، وقد فارقتني المحنة وهي مفارق لا يشتاق اليه، وودعتني وهي مودع لا يبكى عليه، والحمد لله تعالى على محنة يجليها، ونعمة ينيلها ويوليها، كنت اتوقع امس كتاب الشيخ بالتسلية، واليوم بالتهنئة، فلم يكاتبني في ايام البرحاء بانها غمته، ولا في ايام الرخاء بانها سرته، وقد اعتذرت عنه الى نفسي وجادلت عنه قلبي فقلت اما اخلاله بالاولى فلانه شغله الاهتمام بها عن الكلام فيها، واما تغافله عن الاخرى فلانه احب ان يوفر على مرتبة السابق الى الابتداء، ويقتصر بنفسه على محل الاقتداء، لتكون نعم الله تعالى موقوفة من كل جهة، ومحفوفة من كل رتبة، فان كنت احسنت الاعتذار عن سيدي فليعرف لي حق الاحسان وليكتب لي بالاستحسان وان كنت اسأت فليخبرني بعذره، فاني اعرف مني بسره، وليرض مني باني حاربت عنه قلبي واعتذرت عن ذنبه حتى كانه ذنبي وقلت يا نفس اعذري اخاك، وخذي منه ما اعطاك، ففي اليوم غد، والعود احمد

وكتب الى حمد بن شبيب

ورد كتاب صاحب الجيش مكتوبا بيد خلقت للسيف والقلم، بل خلقت لبذل الدينار والدرهم، بل خلقت لامساك العنان والعلم، بل خلقت النعم والنقم، بل خلقت لجميع آداب العرب والعجم، فرويته لما رأيته، وحفظته لما لحظته، ولو انصفته لجعلت الفلك صحيفته، والدهر راويته، ولما اجلت فكرى فيه، و احطت علما بمعانيه، ورتعت بطرفى وخاطرى فى مقاطعه ومباديه، وتفكرت فى رتبة صاحب الجيش فى الرتب، وفى رتبة كتابه فى الكتب، انشدت

ولما رايت الناس دون محله	تيقنت ان الناس للناس ناقد

ولو انصفت هذا الكتاب لما فرغت منه، الى الجواب عنه، ولكن بعض الاجوبة خدمة، كان بعض الابتدآت نعمة

وكتب اليه لما خرج من حبس محمد بن ابراهيم

كتبت ايد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال، خروج المشرفى من الصقال، لا بل خروج البدر من خلل السحاب، وحالى الآن بين الرجا والقناعة متماسكة والحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله صفوة الله، وصل كتاب صاحب الجيش وافادنى من خبر سلامته ما غفرت له ذنوب الايام الى وجنايا تها على، وفهمته فوجدت صاحب الجيش فى غضبه على رقيق صفحة الاحتمال، قريب غور الصفح والاجمال، مضى يقا من حيث تتوسع الكرام، مخالفا لما توجبه الاحلام، يفطن للذنب الخفى ويتغاضى عن العذر الجلى، لا ينزل فى المكافاة الا على حكم الاعداء، ولا يستقبل بالمعاملة الا قبلة الاستيفاء، ولا يعلم ان العبيد على الموالى ذمة وان كان عليهم حق، وان للمماليك من طريق العشرة احرارا وان لزمهم رق، هذه حالة المملوك فكيف بالحر الذى يأخذ مثل ما اعطى، ويستوفى على قدر ما وفى واما انا فانما ادللت على صاحب الجيش لاطرق له على الى الاحتمال، ولا وفر

له

له نصيبه من الفضل والادلال على انه يحمل التواضع على الكبر، ويميل مع
المحاباة على القدر، فاذا اخذنا في طريق المؤاخذة، وعاشرنا على المكايلة والموازنة، فما
له عندي الا السكوت حتى يرضى، والسكوت بعد الرضى حتى يرضى الدهر فاني اظن
ان الدهر لا يرضى عني الا بقتلي، ولا يتوفر من عناتي، الا عند وفاتي، وهلا
حاربني الدهر بسلاح غير صاحب الجيش فيعلم كيف قراعي للاقران، وكيف
صبري عند الضراب والطعان، ولقد رماني الادبار بسهم على اني لم البس له
جنة ولم اعد لوقعه عدة، فاني والله لست بالصبور على مس العتاب ولا بالقلب
على وحشة الاحباب، ولاني لست على هجرك جلد القوى ولا على عتبك شاكي
السلاح ومن غرائب القضاء، ونوادر اخبار السماء، اني ما قرأت لصاحب الجيش
كتابا اطول من هذا طولا، ولا اضفى منه ذيولا، فليت شعري لم طول هذا
التطويل، وجاء بهذا الكلام العريض الطويل، الا انه لم يشف قلبه الا بلوغ
النهاية في الشكاية ام لانه ما وضعني تحت القلم الا درت على اخلاف كتابته
وانما درت قوافي اجواف خطابته، ام لانه اراد ان يعرفني انه طويل مد
العربدة مديد نفس المذمة والمحمدة، اذا شاء قال، واذا قال اطال، واذا
غضب كان عقابه جليلا، واذا رضي كان ثوابه جزيلا، ولم يبق لي الآن
شيء اعلل به قلبي العليل، واداوي به همي الدخيل، الا فرحي بما اسمعه من
خبر سلامته في نفسه نفس الله تعالى مدتها، وفي اسبابها حرس الله تعالى
جنبتها، ولقد رضيت بالقليل، ونزلت على الربع الطفيف، ولكن كل اللباس يلبس
العريان، وكل الطعام يأكل الغرثان، واستغفر الله ليس لي سلامة صاحب الجيش
بالطفيف، ولا توزن الموهبة فيه بالخفيف، ولكن خوفي غضبه قد حيرني
حتى سلبني عقلي، وحتى صيرني لا املك قياد قولي، وما اعتذر من هيبتي
في مثل هذا المقام الهائل، ولا الام على دهشتي لهذا الخطب النازل،
والشجاعة في غير مكانها خرق، والجلادة على ما لا يقتضي الحال حمق،

وكتب الى كاتب خوارزمشاه وقد تخلص من المصادرة يشكو اليه وزير صاحبه

نوات كتاب الشيخ فكاد سروري بسلامته، لا يفي بهذا منتي على مفارقته، وذكر الشيخ ما فتحه الله تعالى عليه من ابواب المنن، واغلقه عليه من ابواب المحن، فسبحان من اذا اغلق بابا، فتح ابوابا، واذا قطع سببا اوصل اسبابا، واذا بخل عباده فخزائنه مفتوحة، واذا قبضوا ايديهم بالرزق فيده مبسوطة، وانا الى الشيخ مشتاق شوقا لو قسم على القلوب لملأها صبوة، ولم يدع فيها سلوة، وما اشكو نفسي على ان تشتاق اليه من لا ترى منه بديلا، ولا تجد الى السلو عنه سبيلا ويحسب الشيخ ان طرفي بطرفي معقود، وان باب نسيانه وتناسيه علي مسدود، واني ان اصدرت كتابي اليه بالسلامة مع ان قلبي غير سليم من الالم، ولا صحيح من الوان السقم فانما اريد بذلك التفاؤل للكتاب واتباع رسوم الكتاب فلان قد بلغني اطنابه في ذكري، وتفضيله لي على ابناء عصري، وهذا اسلف اسلفنيه وانا بمعونة الله تعالى اؤديه، وما ازن نفسي بالصنيعة التي بها زنني ولا ازينها بالفضل الذي به زينني فان كان كما قال فلعل الفضل دب لي دبيب من الكمين علي لاني عاشرته فاعدانى فضلا، وهذبني قولا وفعلا، وانا في ذلك جنيبته ان قبلني جنيبه، وخليفته ان قبلني خليفه، ولقد اغرب ذلك الحر على اهل دهره، وخالف طريقة غيره، حين ذكرنا ونحن اصدقاء العسرة واخوان الفترة، فلم يغيره السلطان ولم يطغه الشيطان، ولقد شهد له وحده بانه كريم، ومن اللؤم واللوم سليم، على قضية قول ابي تمام

وان اولى البرايا ان تواسيه	عند السرور لمن آساك في الحزن
ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا	من كان يألفهم في المنزل الخشن

وشهادة ابي تمام في الكرم تقوم مقام شهادة امة بلا ام، ولئن كان خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين عند الانبياء والحكام، فان ابا تمام ذو الشهادتين عند الاحرار والكرام ولي على ذلك الولد حق الابوة، كما ان له علي حق النبوة، والآباء ابوان ابو ولادة، وابو افادة فالاول سبب الحياة الجسمانية، والآخر سبب الحياة الروحانية والسلام

وله الى رزمخوارزمشاه لما نكب

قد امتدت مدة هذا البلاء، وادهمتنا ان الدار دار البقاء، لا دار الفناء،
وصار الخطب فيها سببا من اسباب سوء الظن بالانام، وداعية الى
قلة الاستنامة الى الايام، ونصرة لفعال اللئام على الكرام ولقد عجبت من
ذلك الامر كيف استبدل العبيد بالاحرار، وكيف تحول من ظهر الفرس الى ظهر
الحمار، كانه لم يسمع فى الخبر، بدل الاعور، اريد بذلك قول الشاعر

افنيت مذ قلنا غداة اتيتنا	بدل لعمرك من يزيد الاعور		

ولما سمعت ايد الله الشيخ بهذه النادرة التى تضحك الثكلى وتترك العقول حيرى
قلت لا اله الا الله وما اعرف لها فائدة الا انها انطقت الناس بالتوحيد وان كان
على وجه التعجب لا على وجه التهليل والتحميد، اللهم اجعلنا ممن يتعجب اذا رأى
العجائب ويتغرب اذا سمع الغرائب فانه اذا كثر العجب زال التعجب كما قيل

على انها الايام قد صرن كلها	عجائب حتى ليس فيها عجائب		

فاما الآن فقد كان ما كان فارى للشيخ ان يلبس الدهر ثوبا من الصبى
ثخينا، ويولى حوادثه ركنا من التماسك ركينا، وان تجده الايام حرا، وان
تصغب الحوادث اذا اقتدموا، وان يداري معز الك سلطانه، و
يصغر بلسانه اساءته، ويكبر احسانه، ويروض لسانه فى الخلق
على شكره، لئلا يجمح به فى الجلوة الى غيره، فانما ايام المحنة موج من
تطأطأ له تخطاه، ومن وقف على طريقها رداه، ومن قابل ايام الادبار
بوجه صد متر، ومن قاتل عساكر الاقبال فى ايام كرها هو متر، ومن
طالب السلطان بالنصفة طالب عسيرا، ومن حاسب على قليل من العتب
لقى كبيرا، وآفة الناصح آلته، وعيب الكامل فى وقت المحنة دالته، لانه يطالب
بثمن نصيحته، ويدل على صاحبه بكفايته، ويعتقد ان طول الخدمة آكد
حرمة، وان تأكد الحرمة عنده قرابة ولحمة، ولعمرى ان ذلك كذلك ولكن
الغضب ينسى الحرمات، ويدفن الحسنات، ويخلق البرى جنايات

	وانت امير المؤمنين وفعله لك الدهر لا عار بما فعل الدهر	

وكتب الى ابى محمد العلوى

لولا انى لا احب ان افتتح كتابى الى سيد بعتاب وان اكلفه الى تكلف حجة و جواب لوجدت سهامى فى الملام مسددة ، وسيوفى فى التقريع محددة ، وعلم انى اذا ضربت بلسانى لم تقم ضربتى واذا رميت لم تنج رميتى ورد كتاب الشريف ايده الله تعالى وهو الكتاب الشريف كاتباً السعيد حاملاً المغبوط ناسخاً المحسود راوياً . وفيه الكلام الذى لا يبليه الزمان ، ولا تمجه الآذان ، وقد فرد السيد فيه كل واحد من اوليائه وشيعته بلطف وتناوله من البر والتحفى بطرف غيرى وما كنت اعلم انى سكيت الحلبة ، ولا انى ساقة الكتيبة ، ولا ان اسمى آخر الجريدة ، ولعمرى ان شيعة السيد لكبار ولكنى لا اصغر عنهم وانهم لكثير ولكن مثلى لا يضيع فيهم واعوذ بالله تعالى من الكساد ، فانه اخو الفساد ، واستجير من اكون محبا غير محبوب فان المحبة شجرة لا تثمر الا على عرقين ، وسقف لا يبقى الا على عمادين وصفقة لا تتم الا بيعتين ، وان قوما انا صغيرهم لكبار ، وان امرا ابوذر شرها لخيار ، خرج السيد فخبا نجم العلم وافلت شمس الادب انهدم ركن السحاب وفل سيف العطاء وغارت عين الاريحية ، وانثلم جانب الانسانية وانهزمت عساكر الكرم ، واغبر وجه السيف والقلم ، ونضب ماء الحياء وركدت ريح البهاء ، وخرب بنيان العقل وتضعضع جبل التوحيد والعدل ، واخلقت ثياب الافضال والفضل وتهافت نظم القول والفعل ، ودك جبل السخاء والبذل واشتد كل من وجد من فقده ، ونظر الى تكل المكارم من بعده ما حال من كان له واحد ، يؤخذ منه ذلك الواحد ، وانا من بين الجماعة كالواله المتكل ، وكالفاقد المحرى ، اقلب طرفى لا ارى من احبه ، وفى الدار من لا احب كثير ، اذا نظرت الى عرصات المكارم والمجد خالية والى ربوع الفضل عافية والى سدة الشرف وقد خلا جنابها ، واصطفقت ابوابها ، انشدت

واصبح بطن مكة مقشعرا	كأن الارض ليس بها هشام

وقد رحل السيد الى حضرة رجل هو الكرام انشى نفسا ، والفضل امثل

شخصاً، اذا ناظره العربي صار اعجمياً، واذا ناظره الاعجمي صار عربياً، واذا رآه المعجب بنفسه طلق كبره، وفارق فخره، فهو رفيق الجود وخليله، وزميل الكرم ونزيله، وغرة الدهر وتحجيله، حضرته حضرة الآجال والاموال لا بل حضرة الاقوال والافعال لا بل حضرة الرجال والكمال تنصب اليها مواد الرغبات، وتنشد فيها خيول الطلبات من تأمله علم ان الله تعالى فرق المحاسن على اهل كل زمان وجمعها في زماننا هذا في انسان، فسبحان من اذا شاء خص بعض عباده بالفضل، ورفع بعض بلاده على بعض بالاهل من غير ان يكون ظالم لاحد او حابي احد وصف عربي اهل خراسان فقال نسوانها كرجالنا ورجالها كجبالنا، ورايت انا اصفهان فقلت صبيها كرجلنا، ورجلها ككهلنا وكهلها كشيخنا، وشيخها كنبينا، ولم لا تخرج اهل تلك البلدة في قالب الكمال ولا يستوفون شرائط الرجال، ولا ينظمون في طرفي القول والفعال، وهم يرون كل يوم وارداً، ويشهدون وافداً، ويسمعون نغمة، ويطالعون نعمة، لان فيهم مثابة الجود، وقرارة الوفود، وكعبة الآمال ومحط رحال الرجال، وهم يلتقون على باب الوزير مع كل كاتب وحاسب ويجلسون في سدته مع كل ناثر وشاعر، ولا يعدمهم ان ينظروا الى ذي صناعة معاشية او معادية، والى ذي آلة رياضية او عقلية، فترق السنتهم وتصفو اذهانهم وتتنزه ابصارهم، وتدق افكارهم لاقتباسهم علم كل مكان، واستماعهم تبيان كل لسان، ولترددهم بين اللغات المختلفة، وبين الاخلاق المتمايزة، فهم يبصرون و يستبصرون، ويرون فيروون، ويسمعون فيحفظون، واين بهم عن ذلك وهم يترددون في مغيض العلم والادب وينزلون في موسم العجم والعرب وهذا الى ما يسمعونه من كلام الوزير الذي لو سمعته الوحش لانست، ولو خوطبت به الخرس لنطقت، او استدعيت به الطير لنزلت، ومن جالس صاحب صنعة حذقها، ومن طال استماعه للحكم نطقها ونعم المعلم الجوار، ونعم الرسول الاسماع والابصار، كتاب كذا يجب ان يجعل المنع منه صوانه، والعين بل القلب مكانه، فان الغيرة على الكتب من المكارم، لا بل هي اخت الغيرة

على المحارم، والبخل بالعلم على غير اهله، قضاء لحقه ومعرفة لفضله، و
اني لا احسد على الورقة من لا احسده على البدرة، وانا فسرّي حرفا وحرفين
ما لا افسح في دينار او القفين، واغار على الادب الكريم، من يد الادب اللئيم

وارثي له من موقف السوء عنده		لكرثيتي للطرف والعلج راكب	

ولوددت لو ان يكون الادب في جبهة الاسد، ولو اصبحت الدفاتر في انياب
الاساود، ووددت لو ان كتب ورقة بدينار، او كتب دفتر بقنطار، فلا يتادب
الاشباع على كمي، ولا يحوز الدفاتر الاجواد سخي، طولت على السيد واكثرت
وهذيت فيما حررت واضجرت ولسان الهذر ناطق بالضجر، والسلام

وكتب الى ابي العباس كاتب محمد بن ابراهيم وقد طلب منه نسخة رسائله

قد اسلفت الشيخ من شكري ما اوجب عليه صلاح امري، والسفارة بيني
وبين دهري، والسلف في الدراهم محظور مستقبح، وفي الشكر مباح مستملح
وحاجتي هذه من صغار الحوائج ولكن كرم الشيخ يسع جلائل الامور
ودقائقها وكنت طويت مسألة الشيخ في دراج المتاركة، ودخلت في باب
المساكتة، ثم رددت اليه، اني لم ار معبر الكرم الا عليه، ولا ارى منبع الارزاق
الا من يديه، طلب الشيخ شيئا من رسائلي فمرحبا بانجح طالب واكرم خاطب
ومن سعادة الصهر كرم احتانه، ومن اقبال الكاتب والشاعر شرف
من نظر في ديوانه، ولو قدرت جعلت الورق من جلدي، بل من صحن
خدي، والقلم من بناني، والمداد من اجفاني، ولامليت هذه النسخة
على السفرة البررة ليكتبوه بيد العصمة، ويجلدوه في بيت الحكمة، بل لو علمت
ان مثل الشيخ يطلبه، وان مثل يد الشيخ بسطها الله تعالى بالخيرات تكتبه،
لحاسبت عليه قلبي ولساني ادق حساب، وطالبت شيطاني بتنقيحه
وتهذيبه اشد طلاب، ولقلت لخاطري دقق طرزك، وجود
بزك، فان المبتاع كريم، والثمن عظيم، وقد قيل لراوية احد
الشاعرين، وانا اقول الراوية احد الشعرين،

وكتب

وكتب الى ابى الحسن عبد العزيز صاحب ديوان الرسائل

كتابى عن سلامة لا اتمنا بها الا بسلامة الشيخ والحمد لله تعالى على سلامته وعلى سلامتى فى جملته، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد النبى وعلى عترته لما وردت هذه الناحية وجدت النجاح تقدمنى اليها، وانتظرنى لديها، فنزلت منه فى اوسع منزل، وعلى اكرم منزل، اكرمنى الشيخ نازلا، وشيعنى راحلا، وقضى حقى عاجلا وآجلا، وفى الجملة ان الشيخ وجد امرى ميتا فاحياه، ورأى النجاح منى بعيدا فادناه، وصادف اقبالى مريضا فداواه، ولقد اراحنى الشيخ ببره، بل اتعبنى بشكره، وفرغنى بصادق قيامه، لا بل شغلنى بتعديد احسانه وانعامه، وخفف ظهرى من ثقل المحن لا بل ثقله باعباء المنن، واحيانى بتحقيق الرجاء، لا بل اماتنى بفرط الحياء، فانا له بعد اليوم عتيق، واسير بل طليق، ومن انقذ انسانا من الفقر، وانتاشه من مخالب الدهر، وفكه من اسار العصر، فقد اعتقه من الرق الاكبر، ونجاه من الموت الاحمر، والرق رقان، رق الملك ورق الهوان، والاسرا اسران، اسر العدو واسر الزمان، ولست ارضى لشكر السيد لسانى ولا بنانى، ولا استصلح لذكر مآثره وآثاره كلامى فانى ولا كفران لله كليل شفرة الكلام، سليم وقع الاقلام، قصير رشاء اللسان، قريب غور البيان، ولكنى استعين فى ذلك بالسنة اصدقائى واقلام معارفى واودائى فنجتمع عليه، ونهدى ما نلفقه بيننا اليه، لا زال الشيخ للاحرار عضدا، ولسانا ويدا، وعمادا معتمدا ولا زالت الالسن عليه بالثناء ناطقة، والقلوب على مودته متطابقة، والشهادات بالفضل له متناسقة، ولا زالت اولياؤه مستدرين بافيائه منيخين بافنائه وعفائه، مستعلين به على اعدائه، وجعلنى الله فداه انكنت اصلح لفدائه، واحسن عنى جزاه اذا كان اوسع لجزائه، واطال بقاءه اذ كان بقاء المكارم فى بقائه

وكتب الى ابى سعيد المتوفى بناحية محمد بن ابراهيم من هراة

ورودت الناحية بعد ما قاسيت السير والسرى، وخضت غمار المهالك والردى، ونظرت الى الآخرة وانا في الدنيا واول ما مربي سوء الدخول على ظهر الحمار، ومعاشرة الحمار، على ان الحمار ايضا حمار، الا انه قصير الاذنين، يمشي على رجلين وكأني كنت بين حمارين، الا اني كنت بين جنسين غير اني دركت المراد، وحمدت المراد، وساعدني الزمان وما كاد، ومن تعلق بذيل المقبل اقبل، ومن جعل مثل الشيخ سلما فقد وصل، فها انا ذا الشيخ صنيعه ولامره تابع وجنيبه، وظيفتي في الملاء شكره، وفي الخلاء ذكره، والسلام

وله اليه

قضيت بهذه الناحية حاجتي، وعمرت بعد الخراب حالتي، اذ سرت اليها ممتطيا عناية الشيخ بي وموافقا نظره لي ولولا سكون قلبي الى حفظه على ما ورائي، وقيامه دوني في وجوه اعدائي لما تقدمت الا وقلبي متأخر ولا اقبلت الى المقصد الا وعزمي متذبذب، فان القلب اذا اشتغل بما وراءه لم ينفذ رأيه فيما امامه، والرجل اذا قيدها عقال الوجل لم تنطلق نحو مظنة الامل، فسبحان من نحلني كنزا ووهبلي من جانبه شرفا وعزا، وجعلني اطير في بجناحيه، واتناول ما اريد من يديه، واذا مات ملكي احياه، واذا تبلد بختي امضاه، واذا سخط على دهري ارضاه، فلاجرم لقد ملكني ملكا لا تحل عقد تره، ولا تخاف عهد ته لا سلبني الله تعالى النعمة ببقائه، ولا نزع عني ثوب الجمال ببهائه

وكتب الى فقيه هراة بعد ان خرج منها عليلا

تأخرت كتبي عن حضرة الفقيه لشواغل كثيرة القلة صغراها، والعقلة وسطاها، والغيبة كبراها، ومالي عذر في واحدة منهن ولا منهن كلهن ولكن المحجوج بكل شيء ينطق، والغريق بكل حبل يتعلق، ولقد عققت الود، وظلمت العهد، ونصبت جنبي الملام، واستهدفت لسهام الكلام وكأني بعسا كر العتاب وقد زحفت الي، وحملت علي، والتقريع على

مقدمته

مقدمته، والتوبة على ساقته، والهجر الصوف على مجنبته، فارقت تلك الناحية والحمى رفيقي وزميلي والناقض عديلي ونزيلي وقد ودعت الدنيا، وحصلت في مخالب ابي يحيى، حي اليأس في الوسواس، ميت النفس والانفاس لا نطاوعني يدي ورجلي ولا يساعدني لساني وعقلي ابعد شيئ عني الحياة، واقرب شيئ الى الوفاة، ولا اظن عمري الاحسوة طائر اولفتة ناظر، ثم ساق الله تعالى الى عافية اخرجت من الكمين ولم تجعس الى في الظنون، فجاء اسمي من جريدة الموتى، ورجعت الى الاولى من الاخرى وعاش الامل، ومات الوجل، ولولا اني معتزلي لقلت تأخر الاجل، فالحمد لله تعالى الذي قرب الاجل ثم اخره، واورده حوض المنية ثم اصدره لا بل اماته ثم انشره، وحقيق ان يشكر ربا اذا ابتلى عوض الاجر واذا غفر عرض للزيادة بالشكر، حمدا يتصل مداده، ولا يفنى اعداده

وكتب الى تلميذه ورد عليه كتابه بانه عليل

وصل كتابك يا سيدي فسرني نظري اليه، ثم غمني اطلاعي عليه، لما تضمنه من ذكر علتك، جعل الله تعالى اولها كفارة واخرها عافية ولا اعدمك على الاولى اجراء وعلى الاخرى شكراء وبودي لو قرب علي متناول عيادتك، فاحتملت عنك بالتعهد والمساعدة بعض اعباء علتك فلقد خصني من هذه العلة قسم كقسمك، ومرض قلبي لمرض جسمك واظن اني لو لقيتك عليلا لانصرفت عنك وانا اعل منك فاني بحمد الله تعالى جلد على اوجاع اعضائي غير جلد على اوجاع اصدقائي ينبو عني سهم الدهر اذا رماني وينفذ في اذا رمى اخواني فاقرب سهامه مني ابعد سهامه عني كان ابعدها عني اقربها مني شفاك الله وعافاك، وكفاني فيك المحذور وكفاك، ورفع جنبك، وغفر ذنبك، وشرح قلبك، واعلى كعبك

وكتب اليه وقد ورد كتابه بافاقته وحمل اليه تفاحا

وسمل التفاح فى طيب نشوك، وحلاوة نطاق وبثرات، وحسن كولك، وكان اعبق من كل طيب غير خدقلك، واحسن من كل حسن غير خلقك، وعدتني سرعة انفكاك وذكرت افراقات من ذاتك، فما ادرى على اى الخبرين كان شكرى الله تعالى اكثر عدة، اكشف مدد، وباية البشارتين كانت نفسي اسر، وعيني اقر، صدق الله هذه البشرى، واتم عليك هذه النعمى، وها انا قد مددت الى الطريق عينى واتخذت اجد الخطى بينك وبينى، احسب كل انسان رسولا، وكل شخص كتابا الى محمولا، فجعل الله تعالى التحاقا بنفسك، ولا احرمنا حظنا من انسك

وكتب الى كاتب من كتاب الحضرة

تأخر عنى كتاب شيخى حتى نسيت ايام المراسلة، وصرت ارى فى المنام اوقات المكاتبة والمواصلة، وحتى ظننت ان الاقلام قد جفيت، وان القراطيس قد فنيت، وان الكتابة قد نسيت، وان المطالعة والمفاوضة قد طويت، وان المداد قد صار فى جبهة الاسد، او يجلب من السويس الابعد، وان الدواة قد اصبحت تامية، وان الدولة قد عادت اعجمية، ثم راجعت فناظرت نفسى، فوجدت الذنب مقسوما بينه وبينى، فتحملت حصته منه، وانفردت بجميعه عنه، وذلك انى خرجت وسافرت هذه السفرة فوقعت فى المحال فترة، والغائب ملقى وملقى، ومنسى ومتناسى، فلان كان افقر من الانبياء، فان فقرائهم اكثر من الاغنياء، واعرى من الحية، وانقى كيسا من الراحة، يده سفر، ومنزله قفر، وعذاؤه الخوى، وعشاؤه الطوى، ووطاؤه الارض، وغطاؤه السماء، وادامه التشهى، وطعامه التمنى، وراحته زوجته، ورجله مطيته، لا يرى الدرهم الا فى المنام، ولا يحس الدينار الا بالاوهام، ولا يشبع الا فى اضغاث احلام، بابه مجلس الغرباء وذيله متعلق الخصماء، قد ضرب عليه الخذلان رواقا، وبنى فوقه الادبار طاقا، ونثر عليه الرزق وحرمه الخالق والخلق، واسع المنى ضيق الغنى افرغ دارا من فؤاد ام موسى عليه السلام لو مرت به الريح لاخذ منها ولو

زار الذباب لطعامه، خصيب العين، جديب البطن، لأن العين تشبع بنظاره
ولا يشبع البطن إلا بحقيقة، كأن الأرزاق قسمت ورزقه غائب، وكأن البخوت
وضعت وبخته ذاهب، وكأن العلم يعاديه، والدهر يناويه، وكأنه أشكل
الرزق ولدا، أو كسر له رجلا ويدا، فعمدت إليه فجبرت كسره، وطردت
عنه فقره، وحاربت دهره، وزففته زف الهدي إلى منى، وعللته تعليل
الصبي بالمنى، ورأيت حاله قد انخرقت انخراقا لا يتدارك، وانحلت
انحلالا لا يتماسك، فلم أزل أرفو خرقها، وأرتق فتقها، وأجلو عنها صدأ
الإدبار، وأغسل عن أطرافها وضر العسر والإقتار، فما هو إلا أن رأى
بيده الدرهم والدينار، وطوى مراحل العسر إلى اليسار، حتى نسي
نفسه، وجهل أمسه، وتطاول بيد قصيرة، وتعظم بنفس حقيرة، وقلب
علي مجن غادر، وصافح نعمتي عليه بيد كافر، وقبح لقائه لي وكان حسنا، وخشن
لمسه علي وكان لينا، فلما رأيت سوء جواره لنعمة الله تعالى وتركه التأدب بأدب
الله تبارك وجهله حق رزق الله تقدس، رددته إلى قيمته، وجعلت نقمته في
وزن نعمته، ونزعت عنه قميص عافية أساء لبسه واستعماله، ولم يعرف له بهاؤه
وجماله، وتعلقت بذيل ذلك المال وقد كاد يفوت، ووردت إليه روحه وقد ابتدأ
يموت، فمن رآني فليتهم على الدرهم يديه، وليوكل به عينيه، وليجعل وكيله
نفسه، وقهرمانه كيسه، وشريكه فعاله، وحارسه عقله، وخادمه خاتمه
وصديقه صناديقه، وليعلم أن درهمه إذا فارقه لم يرجع إليه، وإذا أصلح
يد غيره لم يصالح يديه، وإذا أعطى أباه أو أخاه فقد زاد في عدد أعدائه
كما نقص من عدد أصدقائه، ومن أراد أن يشتري الأعداء بماله، و
أن يحارب يمينه بشماله، فليخالف طريقي ولا يقبل نصيحتي

وكتب إلى صاحب ديوان الحضرة

كتابي إلى الشيخ من الديوان، وأنا فيه ملتحف بالحرمان، مشتمل بالذل
والهوان، قاعد بين النقصان والخسران، عن يميني مستخرجان وعن

يا رب وكيلاني، والحمد لله على تصاريف الدهر واحواله، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله. قد جفيت قلمي بيدي في كتبي الى الشيخ اخطب تذكره لي واستديم افضاله من عنايته بي، فلم يعطف على عطفه، ولم يشغل بجانبي طرفه، واذا دبارى مصمت لا يسمع الدعوى، ولا يقبل الرقى، وما اشكو الا نحسي ولا اهجو الا نفسي، وما خصمي غير حرماني، ولا قرني الا زماني، ورد علينا فلان ونحن نيام نوم الامنه، وسكارى سكر الثروة، ومتكئون على فراش العدل والنصفة، فما زال يفتح علينا ابواب المظالم، ويحلب فيناضرعى الدنانير والدراهم، ويسير في بلادنا سيرة لا يسيرها السنور في الفار، ولا يستجيزها المسلمون في الكفار، حتى افتقر الاغنياء، وانكشف الفقراء، وحتى ترك الدهقان ضيعته، وجحد صاحب الغلة غلته، وحتى اخرب البلاد، بل اخرب العباد، وحتى شوق الى الآخرة اهل الدنيا، وحبب الفقر الى اهل الغنى، وحتى نشف الزرع والضرع، واهلك الحرث والنسل، وحتى لقب بالجراد، وكني بالفساد، وصار الدرهم في يامه اقل من الصدق في كلامه، وصار الامن في اعماله اعز من السداد في فعاله، فليته اذ اوحش الرجال حصل المال، وليته اذ ضيع المال ارضى الرجال، ولكنه حرم الاثنين، فافلس من الجهتين، والله ما الذئب في الغنم بالقياس اليه الا من المصلحين، ولا السوس في الخز في الصيف عنده الا من المحسنين، ولا الحجاج بن يوسف الثقفي في اهل العراق الا اول العادلين، ولا بعض الاثيم في اهل فارس بالاضافة اليه الا من النبيين والصديقين، ولا فرعون في بني اسرائيل اذا قابلته به الا من الملائكة المقربين، فان كنا به معاقبين فقد تنقضي مدة العقاب، وتختم صفحة العذاب، وان كان الفلك غلط به، والزمان اخطأ فيه، فقد يراجع الغالط حسه، ويحاسب المخطئ نفسه فيجبر ما كسره، ويتلافى ما بدره، والسلام

وكتب الى ابي الوفا صاحب جيش عضد الدولة

كتابي وانا بما يبلغني من صالح اعمال الشيخ مغتبط ومسرور، وبما يعرفه

الزمان واهله من اعتضاد ذي مصون موفور، والله تعالى على الاولى محمود وعلى
الاخرى مشكور، التطفل وان كان محظورا في غير مواطنه فانه مباح في اماكن وان
كان في بعض الاحوال يجمع عارا ووزرا، فانه في بعضها يجمع فخرا وذخرا، ورب
فعل يصاب به وقته فيكون سنة، وهو في غير وقته بدعة، وقد تطفلت
على الشيخ بهذه الاحرف اخطب بها مودتي عليه واسأله ان يرسم لي في لساني
وقلبي رسما، ويختم عليها ختما، وصرت وكيله فيها فهما على غيره حمى لا
يقرب وبحيرة لا تحلب ولا تركب ولما نظرت الى آثار الشيخ على الاحرار ونشرت
طراز محاسنه في ايدي القاصدين والزوار، واقيمت له عندي بالفضل شهادة
الاخبار والاشعار، وهما شاهدا عدل، بكل نقص وفضل، ثم لما رأيت
نفسي غفلا من سمة مودته، وعطلا من جمال عشرته، حميت لها من
ان يحيى عليها وردا مورود، ويحسر عنها ظل على الجميع ممدود، وعجبت
من سحاب اخطأني جوده وهو صيب وبحر عدا في سيله وهو مفعم

وبدر اضاء الافق شرقا ومغربا	وموضع رجلي منه اسود مظلم

وله الى ابي الحارث من ولد هاشم بن ماسجور وهو ملك الجبل وقد ارسله يستدعي كتابه

مكاتبة مثلي للامير سوء ادب ودعة، وقلة حياء وصكة، وترك مكاتبته
بعد ما امكنتني وقرب متناولها مني تضييع لفرصة من فرص العز، ونهزة
من نهز الفوز، والعاقل يختار خير الشرين، ويميل مع اعدل الشقين، لم ازل
ايدك الله تعالى لا ميرا اقترح على هواي ان يسعدني وعلى عمري ان يسعفني
فاتعلق من تلك الخدمة بطرف، واتوصل الى تلك الحضرة بسبب و
يأبى الدهر الا ان يحلئني عن ورد احوم عليه بجانبه، ويغلق علي بابا
استفتحه بدعائي، فلما غلبني الدهر على مرادي، وخالف بين طريق اصدقائي
واعادي رضيت من المائدة باللقمة، ومن الفضل بالبلغة، وسلكت مع
بختي طريق المصانعة، اذ كان قد سد علي طريق المسابقة، وقلت لا اقل

من ان ادرس اسمي في اسماء خدم تلك الحضرة الجليلة، واترب يدي بغبار تلك الصنائع الجميلة، واخدم ذلك السيد قولا، وان كنت لم ارزق خدمته فعلا، واكاتبه غائبا، اذ كنت لا اصل اليه حاضرا، فكتبت هذه الاحرف اصل حبلي بحبله، واعرض بها نفسي لفضله، وانا اخرج الى الامير من عهدة هذه السلعة، واشهد لي وسطي في هذه الصنعة، فان الهيبة تحصر بنان الكاتب وتعقل لسان الخاطب، فكيف حالها مع المتكاتب وانا شاكر للامير وان كنت لم ارد بحره، ولم احتلب دره لما سمعته من شكر الشاكرين لفضله، ومن اطباق الجميع على ذكر محاسن قوله وفعله، لا بل شكري له عن غيري اعظم، والحق لي فيه الزم، لاني لو شكرته عن نفسي شكرته عن لسان، واحتجت في ذلك الى لسان، واذا شكرته عن الناس شكر عن امة، واحتجت الى ألسنة جمة، على انني طري الحسام اذا مضى، وان كان يوم الروع غيري حامله، جزى الله تعالى الامير عن الجود خيرا فقد اقام له سوقا كانت كاسدة، واهب ريحا كانت راكدة، واحيى منه ارضا كانت هامدة، ولقد سلك الامير من الكرم طريقا يستوحش فيها القلة سالكها، وعمر للمعروف دارا لا يستأنس فيها العد ساكنها وبيته في قفارها، لدروس آثارها، وانهدام منارها، اعانه الله تعالى على صعوبة الطريق، وقلة الرفيق، والهمه صبرا يهون عليه احتمال المغارم، ويقرب عليه مصافاة المكارم، فبالصبر تنال العلى، وعند الصباح يحمد القوم السرى

وكتب الى حسين صاحب ديوان الحضرة

تأخر كتابي عنك يا ولدي لاني كرهت ان اكاتبك عن فكر متشعب، وقلب متقلب واردت ان اخلي خاطري لجوابك، وان اقضي بذلك حق كتابك، فمن صيانة صاحب الكتاب ان لا يتجوز له في الجواب على ان مصون كلامي عند مثالك غير مبتذل، ومذخوري عندك ليس مستعمل، ولا لوم على الفقير اذا حمل ما عنده من اليسير الى المياسير، وقد بذل جهده، واني اقضي ما عنده

وله الى كاتب بعض الامراء وقد ورد عليه كتابه يشكو فيه الجرب

وقف

وقفت على ما شكاه سيدي من العلة شفاه الله تعالى منها، وعوضه الصحة عنها، ووددت لو قبلتني العلة فداءه، وامكنني ان اقرض سيدي شفاءه فكنت انقل اليه الصحة نقلا، وابذل له ما عندي من العافية بذلا، الجرب حكة عافى الله تعالى سيدي منها مادتها يبوسة وحرارة ووقود والتهاب زندها الذي يقتبسان منه طعام وشراب وفضلة قدفتها الطبيعة الى الظاهر، و دفع الله تعالى شرها عن الباطن، وعسكر من عساكر البلاء، تمده القذارة و تمده الطهارة، وتنقص منه البرودة والرطوبة، كما تزيد فيه اليبوسة و الحرارة، ومن داوى ظاهره، وترك باطنه، فانما يبل حائطا واثه النار الموقدة ويرش على سطح بيت فيه الشرار المبثوثة، ويقعد تحت قول الاول

خليلي داويتما ظاهرا		فمن ذا يداوي جوى باطنا	

وكيف تقطع مادة نار تطفى عن ظاهر الجسد، وهي تتوقد في باطن الكبد وكيف يزول داء سمه مكايله، وترياقه موازنه، وكيف يصح جسم حميته دواؤه، وغذاؤه داؤه، وكيف يقوم قليل الترياق بكثير السم او يفي صغير البناء بكبير الهدم، وكيف يرجو الشفاء من لا يضبط شهوته، ولا يملك يده ولا يمنا جرحيته وطعامه وشرابه، حتى لا يراهما الا خلسة، ولا يذوق منهما الا بلغة، ارى لسيدي ان يصبر على الجوع مع مرارته، وعلى العطش مع حرارته، وان يقتصر من الطعام على ما يكون في اوسط طبقات الرطوبة وفي اعدل موازين البرودة، ولا بد من هجر اللحم والفاكهة ولا سبيل الى اطرافه فاما البقول فيجب ان لا ترى ولو في المنام، ولا تمس ولو بالاوهام والسمك وما ناسبه بلية، واللبن وما خرج منه منية حتى اذا حس في معدته بالخلاء، ووقف من طبيعته على الصفاء، ومن اخلاط جسمه بالاعتدال والاستواء، استخار الله تعالى وشرب شربة قوية تكنس فضول السوداء، وتخرج خبايا الصفراء، وتقمع سلطان البلغم، وتصفي كدورة الدم، فاذا انجلى عنه خمار ضعفها، وتقشعت غيابة سكرها امدها بفصاد يخصر به الاكحل فانه نهر العروق، والطريق الذي يفضي منه الى

كل طريق، تصعد اليه السفلى، وتنزل عليه العلياء، وتلقى عليه الأولى الاخرى، فاذا فرغ منه، وخرج باذن الله تعالى سليما عنه، وعلم انه لم يبق من العارض الا هباؤه، ومن الخوف الا زبده وجفاؤه، يعالج حينئذ باللطوخ التي تغسل ظاهر الجسم، ويجلو صدأ السقم، ولا ينسين الاستكثار من الغسل والاغتسال ومباشرة الماء الحار على كل حال، فان الجرب في حيز الحرارة، كما ان الماء في حيز البرودة، والبارد اذا القى الحار اطفى بعضه، وان لم يقطع اصله، والضد اذا زاحم الضد وهن سلطانه، وان لم يهدم اركانه، وملاك الامر الحمية فانه لا يكون قوى الجمية الا من كان قوى الحمية، ومن غلبت شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيمية، وانخلع عن ربقة الانسانية، وحق على العاقل ان ياكل ليعيش، لا يعيش لياكل، وكفى بالمرء عارا ان يكون صريع ماكله وقتيل نا مله، وان يجنى ببعضه على كله، ويعين فرعه على صله، فكم من لقمة اتلفت نفس حر، وكم من اكلة منعت اكلات دهر، وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت، وكم من عذوبة خلفها بشاعة الفوت وكم من شهوة ذهبت بنفس لا تقوى لها العساكر، وقطعت جسدا كانت تنبو عنه السيوف البواتر، وهدمت عمرا هدمت بناعماره، وخربت بخرابه بيوت بل امصار، والعلل كلها وان لم يشملها اسم، ويجمعها حكم، فهي متباينة الاقدار، متمايزة المقدار، متخالفة الطبقات في باب النقيصة والعيار، فعلة العشق دليل على لطف الغريزة والترحم عن الرقة الروحانية، وعن النفس الخاصة الانسانية، وعلة النقرس على التنعم والقعود، وعلى قلة تجشم الهبوط والصعود، وعلى ان صاحبها مخدوم مكفى، او ملك حظى، وعلة الجرب دليل على تضييع واجب النفس من التعهد وعلى التفريط في العلاج والتفقد، تنطق بان صاحبها ضعيف المنة في التوقى اسير في يد الحرص والتشهى، غاش لنفسه، قليل البقيا على روحه، وكيف يحفظ اصدقائه، من لا يحفظ اعضائه، وكيف يبقى على غيره، من لا يبقى على نفسه، وكيف يؤتمن على من لا يتماين عنه من لا يؤتمن على بعض منه، وهذه علة تكسب صاحبها خزيا وحياء، وتورثه خجلا واسترخاء، ينظر الى

الناس

الناس بعين المريب، ويبسة عنهم كثرة العيب تنفر عنه الطباع وتستقذره النفوس وتنبو عن مواكلته العيون وأقل ما يصيبه انه يحرم آلة المطاعم وهي اداة والة اللقاء والزيارة وهي جلاء ولولم يكن من آفاتها، ومن عجيب هباتها الا انها تشيب الفتيات وتمسخ الانسان وتجعله اميا بعد ان كان غيراما، و اعجميا وليس باعجمي تنفر عن نفسه نفسه، وتهرب من فراش عرسه وبتباعد عنه اقرب الناس منه لقد كانت جديرة ان يحتشد له واتمها وتبذل الرغائب في اقاتها ثم هي ربع من رباع الخذلان، وقسم من اقسام الحرمان، قال الشاعر

اعاذك الله من اشياء اربعة		الموت والعشق والاملاق والجرب	

وما ظن سيدي بداء قد سارت به الامثال وقيلت فيه دون تسابى الادواء الاقوال، قال ذؤبة وقد ذكر علة، هي اعدى من الجرب، عند العرب

وقال ابو تمام

لما رايت اختها بالامس قد خربت		كان الخراب لها اعدى من الجرب	

وقال لبيد

ذهب الذين يعاش في اكنافهم		وبقيت في خلف كجلد الاجرب	

فجعله راس الادواء، ووصفه بانه غاية البلاء، وانما ذكرت فيه ما ذكرت لازيد سيدي فيه في الهرب منه رغبة، وفي الصبر عليه زهادة، من الله تعالى على سيدنا بالشفاء، وجعل عهده بهذا الداء، آخر عهده بالادواء انه طبيب الاطباء، وخالق الداء والدواء، وكاشف البلاء

وله الى قاضي الرى ابى الحسن الهمداني

قد ملأت مسمع قاضي القضاة ايده الله تعالى بكتبي اليه في الحاجات وانى لاعلم انى قد دللت عليه حتى ملك، واوجفت حتى اعجفت ولكنى اتطير بنعمة الله تعالى عليه من ان اعوضها اليأس منها، وانسى جوابها بد الناس عنها، والسلام

وله الى ابى المعالى وزير صاحب الجبل

وصل كتاب الشيخ بعد ان احتلمت به وسنان، وهنيت بذكره يقظان، فلما رايته خررت له ساجداً، وشكرت الله تعالى باديا وعائداً، والحمد لله تعالى الذى ارانى محنة الشيخ قد ادبرت بقفا مبتورة، ودولته قد اقبلت بوجه مسرورة، وادال ايام سعده على ايام نحسه، وابعد ما بين الحوادث وبين نفسه، وجعل يومه خيراً من امسه، وثنى من المحنة كثرة الشامتين، وخير من نكثا فيها كثرة الشاكرين، فان الذى يشمت بالناس فى وقت الرحمة لئيم، وان الذى يثبت الناس على وده بعد العزل لكريم، والشيخ بحمد الله تعالى ومنه لما امتحن انطق الله تعالى بالدعاء له السنا، وابكى بالشفقة عليه اعيناً، لا ازال البكاء بعد هذا مقصوراً على عيون اعدائه، فان اعداء الفاضل اعداء فضله واضداده اضداد فعله، وكل امرئ صديق لامثاله وشكله

وله الى سعيد بن سهكة

نظرت الى ذنبى الذى استحققت به الهجران، وتقصيت طرق فعالى لاقف منها على الفعل الذى اوجب الحرمان، فوجدت نفسى قد كلفت الشيخ حوائج وحملت اليه بالغرائم الرسائل والسفاتج، ولو تركت مكاتبتى الى الشيخ نقية الاطراف من ضرر السؤال خفيفة الاكتاف من ثقل الادلال لما تحلى على بالمقال، من لا يبخل على بالمال، وضايقنى فى العرض اليسير، من لا يضايق فى الجوهر الكثير، ليتركنى الشيخ ايده الله تعالى من قلبه حيث انزلتنى الثقة به، وليضعنى من نفسه بحيث وضعنى لوده منه، وليعلم انى سيفه الذى لا يفله طول الضرب، ولا يمله مراس الحرب، ولسانه الذى يذب عنه فى الملا، ويدعو له فى الخلا، واخوه الذى ان لم تصفه اخوة الولاد، صرفته اخوة الوداد، ويجاوز ذلك الى الممازجة والاتحاد، فلان تد ستشارنى فى مشايخ تلك الحضرة فعرفته انهم بساط الشيخ صدره، وافق هو بدره، وان ما تفرق فيهم من الفضل ففيه متجمع، وعنه متفرع

وله الى ابى نصر الميكالى يشكره على اصطناعه فقيهاً من تلامذته

ابلغ

ابلغ قتادة غير سائله	جزل العطاء وعاجل الشكم
انى شكرتك للعشيرة اذ	جائت اليك برقه العظم

الحمدة اطال الله تعالى بقاء الشيخ لذاتها حسنة، كما ان المذمة لنفسها قبيحة منقصة، والمحسن الى الناس كلهم حبيب ومن القلوب كلها قريب يمدحونه وان لم يحسن اليهم، ويشكرونه وان لم يفضل عليهم، كما ان المسيء فى النفوس صغير وان كثر مالا وحالا، وقبيح وان حسن زيا وجمالا، على هذا اسست البنية، وعليه وضعت الفطرة، وفيه اتفقت الخاصة والعامة، ثم ان الاحسان وان كان كله حسنا على طبقات، كما ان الاساءة سيئة وان كانت كلها على درجات، فمن صاب بالاحسان بقعة لا يخلف شجرها، ولا يمر ثمرها واسداه الى كريم يرب الصنيعة بلسانه، ويخرج الاحسان فى موضع استحسانه فقد سددت رميته، واصيبت رميته، وزكا صنعه، ونما ربعه، وما اعرف اهل بيت احسن لموضع الصنائع ارتيادا، واجود لاهلها انتقادا، واصوب لها اصلا وابرادا، من اهل بيت الشيخ ابقى الله تعالى مشايخهم وشبانهم وجمل بهم مكانهم وزمانهم، والشيخ يحمل الله تعالى على سبيلهم نهج وعلى منوالهم نسج، فصنائعه فى قوالب الحمد والشكر، وعلى طريق الاجر والذخر، لا يقع الا بين الشرف والثواب، ولا يوجد الا بين العلوم والآداب، فهو كالعقائل الكريمة لا يزوجها حتى يستكرم صهرا، ويحكم مهرا، وكالجوهرة النفيسة لا يبرزها حتى يرى ثمنا، ويأمن غبنا، والجواد محتكر بر لا محتكر بر، والكريم تاجر جمال، وان لم يكن تاجر مال، والحر وقاية الحر من فقره، وسلاحه على دهره ولله تعالى بقايا من عباده، فى بلاده، خلقهم ليعيش بهم العاسر، ويشد بازرهم الفاقر، ويحيى بحياتهم المعالى والمآثر، فهم ملح الارض اذا فسدت وعمارة الدنيا اذا خربت، ومعرض الايام والليالى اذا احشدت، بلغنى ما صنعه الشيخ مع فلان فما استكثرته قياسا على قدره العظيم، وبره الجسيم ولم اتعجب من مولد تقبل قبلة الوالد، ومن طريف نازع التالد ومن غصن من اغصان الشرف، نما على عرقه فى السلف، ومن نهر رضعت ثدى المكارم

وربيت فی حجر الاکارم فجرت علی سنن اوائلها، واحيت فضائلهم بفضائلها، وانما تعجبت من حسن ما تحری الشيخ لمعروفه وارتاده، ومن صواب ما عزاه واراده فما اكثر من اخطأ بصنعه طريق المصنع، وخالف بزرعه موضع المزرع، وما اكثر من يلد معروفه فلا ينجب ما ولده، ولا يبلغ به صاحب المقصد، وهذا الفقيه بين نفس مقبلة، ودولة مقتبلة، يرمی به كماله وراه ميلاده، ويسبق فضله غايات آبائه وجداده، وللدهر فيه مقاصد، وللايام فيه مواعد، ولله تعالی لطائف سيبلغ الكتاب منها اجله، ويكمل الاقبال فی تمامها عمله، والحمد لله تعالی الذی جعل الشيخ ممن اجاد اصطناعه، واولى من بسطت يده ومد باعه، والحمد لله تعالی الذی جعل هم الشبان مصروفة الی افتراع ابكار الجواری، وهمة الشيخ مقصورة علی افتراع ابكار المعالی، فالمصطنع فی الرؤساء والامراء، كالمصطنع فی العلماء والفقهاء، فسبحان من وفق بين الشكلين، وزاوج بين المثلين، وجعل الصنيعة غضة طرية من جانبين، وصيرها شابة من النشأتين هذا وقد نبه الشيخ الفقيه من شكر الشيخ طراز الايبلی، واوقد من ذكره شهابا لا يخفی، فلا بقوله الاسماع والنواظر بل القلوب والخواطر، بل الكتب والدفاتر، حتی لم يبق رئيس الا تمنی لو انه كان المصطنع، كما لم يبق فقيه الا تمنی انه كان المصطنع، وحتی قلنا

شعر

ما لقينا من احمد بن علی	ترك الناس كلهم فقهاء
ما لقينا من جود فضل بن يحيی	ترك الناس كلهم شعراء

لا زال الشيخ يستولی علی امد كل غاية بفعله وقوله، وينفرد بحمی كل مكرمة بفضله وطوله، ولا زال يستبضع اليه الشكر من البلدان فيشتريه باغلی الاثمان،

وكتب الی حاكم سرخس وقد اهدی اليه كتابا طلبه منه

تأخرت حاجة الحاكم وختم الله تعالی دولة الحمد بقضائها، ونبت عن طالبها فی اقتضائها، فكنت الخصم والحاكم، والمحاكم والحاكم، وما ابطأ من اجدی، ولا اسرع من اكدی، ولقد بدت نسخة مقروءة قد عمل فيها القلم

والبنان ١١٤

والبنان، واثر فيها التبيين والبيان، وسودت حواشيها، ولاحت ميا سم التصفح فيها، ولم تكن فی حسن خط کاتبها، ولاجودة تجليد صاحبها، ولا استقامة حروفها، ولا تساوی جوانبها وحروفها، بعد ان سلمت من التحريف والتصحيف ومن سقم الاشكال والحروف فانما الكتاب لحسن ظاهر السقيم باطنا مثل المرأة الحسناء العاهرة يسرك خلقها، ويسوءك خلقها، ومثل الروضة الغناء الوبيئة تحمدها العين ويذمها البطن وكانت تقع بيدی النسخة الاولى التی هی مائدة منقوشة ليس عليها دسم، وكيس مضرور ليس فيه درهم، وتقع الثانية خلافها كالعجوز المنتقبة، وكالقفل على الخربة فانما هی كسوة عامی غبی او مقبرة يهودی غنی وتقع فی يدی الثالثة وهی اسم ولا جسم، ودعوى ولا علم، قد قرئت على متعالم غير عالم لا يدری، ولا يدری انه لا يدری فراؤها زاء، وميمها حاء، وطاؤها ظاء، والنظر فيها يعمی والاستدلال بها يعمی ومن آفة العلم خيانة الوارقين، وتخلف المعلمين كما ان من آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المتعبدين وكما ان من آفات الدنيا كثرة العامة وقلة الخاصة وكما ان من آفات الكرم ان الجود ضد المنع، والبخل سبب الجمع، وان المال فی ايدی البخلاء، دون ايدی الاسخياء، وكما ان من آفات الحلم ان الحليم مامون الجنبة، وان السفيه منيع الحوزة، قاعد فی خفارة البذاء والسفاهة وكما ان من آفات المال اذا صنته فقد عرضته للفساد، واذا ابرزته عرضته النفاد، وكما ان من آفات الشكر انك اذا قصرت عن غايته ذممت من اصطنعك، واذا بلغتها وابلغت فيه اوهمت من يسمعك وكما ان من آفات الشراب انك اذا اقللت منه حاربت شهوتك ولم تقض همتك واذا استكثرت اعترضت للاثم والعار، وابرزت صفحتك للالم والخمار، وكما ان من آفات المماليك انك اذا باسطتهم افسدت آدابهم واذهانهم واذا قبضتهم افسدت وجوههم والوانهم، وكما ان من آفات الاصدقاء انك اذا استكثرت منهم لزمتك مواجبهم وثقلت عليك نوائبهم وكسبت الاعداء من الاصدقاء كما يكتسب الداء من الغذاء، وكما ان من آفات المغنين ان الوسط منهم يميت الطرب والحاذق ينسی الادب

وداء من آفات النساء ثمن اذاكرمن قبح خلقهن واذا هن فسد خلقهن فلما تمادت مدة الاكداء، ولم اصل الى ما ينظم طرفي مرادي بهبة ولا شراء، نزلت على حكم الامكان، وجريت في التجوز على رسم الزمان، وحملت نسخة ان لم تكن بتلك السنية، فليست بتلك السقيمة، وانا اعتذر اليوم منها قولاً، و غداً فعلاً، واحصل اخرى ولو بروحي ومهجتي، و بدنياي وآخرتي

وكتب الى ابي بكر بن سمرد

انا ما تحير بين ان اقر للشيخ بذنبي واخبره بعيبتي وبين ان اسكت سكتة متجاهل، واصفح صفحة متغافل وان كنت اعلم ان العفو الى المقر اسرع منه الى المصر، وان وضر الذنوب لا يغسله الا الاقرار، ولا يزيله الا الاعتذار، و قد كان في حكم ما اولانيه من نعمه التي يفنى الابد ولا تفنى ويخفي الصباح ولا تخفى ويبلى الجديدان ولا تبلى وينسى القوم ولا تنسى ان يكون لي عنده كل يوم فتح قاصد بل رسول وارد لا بل كان ينبغي ان اجعل رسولي اليه الريح فانها اسرع، واكتب اليه في الفلك فانه اوسع، ولا تطلع شمس الاوجنبها مني اليه كتاب اما ابتداء واما جواب ولكن ابن آدم للنعمة كفور، وبالعهد غدور غافل عن غده ناس لامسه مرتهن بيومه واني لاحسد كتابي اذا ورد ذلك الباب ونزل ذلك الجناب واود لوكنت سطراً فيه، او حاشية من حواشيه والايام عندي اذا وصلتني بالشيخ نعمة لا اسع عنها الثواب ولها علي اذا ابعدتني جناية لا اقدر على كفاتها من العقاب وقد كنت اعيب من الشعراء من مدح انساناً ثم هجاه، وانسبه الى ضعف المسكة والى وهن العزيمة وانحلال العقدة حتى بليت الآن بهجاء الدهر وطالما مدحته، ودفعت الى حربه وطالما صالحته، قد تعرفت الشيخ عوارف حيرتني بين طيها ونشرها ورجحت بين تركها و ذكرها، فان ذكرتها قصر عنان الطاقة عن مقتضى حكم النية وان تركت ذكرها لاحت علي فعلي سمة الكفران وعرفت بسوء مجازاة الاحسان وحرمت نفسي ثمرة اللسان، فقد اسكت الشيخ لساني من حيث انطقه، وحصر

بنانی من حیث اطلقہ، وعلی ذلك فقد سمعت شکری کل من لہ اذن، و
ریت اثر صنیعتہ کل من لہ عین، حتی لقد حسدنی علیہ الاقارب وتعرف
لی فیہ الاجانب، ذھا بنی ورجانی سند عرفتہ الحاضر والغائب، ثم لم
یرض ان احسن بی حتی احسن الی من یرسل الیہ بکتبی فاضاف النعمۃ
الاخری الی الاولی وعقب الصنیعۃ الکبری بالصغری علی ان اصغر صنائعہ کبیرۃ
کما ان اکبر شکری لہ صغیرۃ ولکن الکبیر من الکبیر یصغر کما ان الصغیر من
الصغیر یکبر، فکیف اھلنی الشیخ لاحسانہ ثانیا، ولم اقض حق احسانہ بادیا،
وکیف حملنی النفل وقد تقاعدت عن اداء الفرض وجمع علی الکل وقد ضعفت
عن البعض، وکیف نبع علی برہ من کل منبع وطلع الی السعد بہ من کل مطلع
ودب الی احسانہ من کل مکمن وکان سبیلی ان یستوفی علی قبل ان وفی وان
احاسب علی الحاصل الاول قبل ان یثنی وان اعامل علی قول الاول

اذا ما قضیت الدین بالدین لم یکن	قضاء ولکن کان غرما علی غرم

وکتب الی تلمیذ لہ عن کتاب وقصیدۃ

وردت القصیدۃ الغراء، بل الدرۃ العذراء، بل الھدیۃ العظیمۃ، بل الشیمۃ
الکریمۃ بل الیاقوتۃ الیتیمۃ، بل فریدۃ الدر، بل غرۃ الغر، بل شمس الکرام
وغریبۃ الایام، بل الخطاب الجزل والمنطق الفصل بل الحسن والاحسان، بل
التبیین والبیان، بل واحدۃ القصائد وخاتمۃ القلائد وآبدۃ الاوابد بل امیرۃ
النظم والنثر، بل ملکۃ الرجز والشعر، بل حسنۃ الالسن ونزھۃ القلوب والاعین
بل بستان الافکار، وجلاء الابصار، بل روح المعانی والمبانی وھیکل الاوزان
والقوافی بل عقیلۃ الدھر ونادرۃ العصر وثمرۃ العمر وبیضۃ العقر و
تریاق القلب بل ملبسی تاج الفخر ومورثی کنز الذخر، لا بل لیلۃ القدر
فانھا خیر من الف شھر، وھذہ خیر من الف بیت شعر، ولم اعن بیت الموزون
انما اردت البیت المسکون، ففتحت کتابھا عن النور المنثور وعن الدیباج المنشور
وفلیت معانیھا عن روح البدیع وقلبہ ومبانیھا والفاظھا عن عجب الفصیح

ولبه، ووددت طرفي منها في روضة سقاها اللسان وعلاها البنان ونافس عليها زمانها الأزمان، ولم يبق فيها بيت الأرويته، ولا فصل الاحكيته، ولا لفظ الاكررته وثنيته، ووددت لو كانت اعضائي كلها للنظر اجفانا، وللاستماع آذانا، وللنشا ولها وجسها ايديا وبنانا، بل لو كان الحرف منها سطراء والكلمة من كلها تماعشراء فيمتد نفس استيفائها رويته وروايته، ويعظم حجم استقصائها فهما ودرايته، وغرت عليها من هذا الزمان الذي لا يستحق ان يكون له ولد نجيب ولا يقتضي ان ينبغ فيه عالم ولا اديب ثم رجعت الى الحقائق فعلمت ان الانسان ابن امه وابيه لا ابن ايامه ولياليه وان قول الناس ابناء الدهر لفظ مجازي ومعنى اصطلاحي وقد تخلني فيها من هذا الفضل ما ان طولبت بحذواه لم اخرج من عهدة دعواه، فان تكن تلك شهادة منك اسلفتنيها، وسلعة جازفت لي فيها، فقد يسامح الكريم اخاه ويحابي الحر من بايعه وشاراه، وان كنت تظن في هذا الفضل فاسال الله تعالى ان لا يجمع بيننا فانك ان شاهدتني رجعت عن ظنك، ووددت بعينك حكم اذنك وانا المعيدي وان لم يكن لي في العرب نسب ولا بيني وبين معد قرابة ولا سبب

وكتب الى ابي الفرج خليفة الوزير بنيسابور

فهمت ما ذكره الشيخ في كتابه وجعلت قبولي عظته بدلا من جوابه، ذكر الشيخ اني لو اقتصرت على خدمة الامير، وعلى منادمة الوزير، لمالت الصروف عن جانبي ناكبة، وولت الخطوب عني هاربة، ولو لم انتجع غير نيسابور بلدا ولا غيرهم احدا لعشت معهم عيشة رغدا، وجواب الشيخ تحت قول الاول شعر

فما الخير لا بالشر فاطلب مودتي	واي فتى يقتاد منه الترهب

مثلي ايد الله تعالى الشيخ لا يحمل على الخدمة بالتقريع والتثريب ولا بالتهديد والترهيب ولا تجتلب خلاف مودته بالاذلال، ولا يدرك مصون ما عنده بالامتهان والابتذال وانما يجبس مثلي بالرغبة، ويقيد بقيد من الذهب والفضة ويرضى منه بالحياء والوفاء كفيلين وبالشكر والتذمم ضمينين وانما الحر زجاج رقيق

ثمين

ثمين اذا رفق به واستعمل في موضع مثله زين المجالس، ومنع المجالس، وكان
مالا الا انه جمال، وجمالا الا انه مال، واذا خرق به انكسر نعقر الكاسر، واتعب
المجابر، وغم السامع والناظر، وكان ينبغي لاصحابنا ان يقنعه صنوف
بجهالة الاحسان والبر، ويرتبطوني بحبال الحفاظ والشكر، ويعلموا ان البازي
العتيق لا يصبر على الاضاعة، ولا يقيم في بيت المجاعة، ومن اصطنع اليوم شكر
غدا، ومن وجد الاحسان قيدا تقيد، ولكن كيف يصون الادب مغرم، ولم يؤد عنه الى
المؤدب رهم، وكيف يخالف الانسان مقتضى نسبته، ويطيب التمر مع خبث تربته
هيهات ان الفرس الجواد يجري على عتقه، وان الفرع ينزع الى عرق

وان مقامي حيث خيمت محنة	تدل على فهم الكرام الاجاود

ولكن جزى الله اصحابنا عن تعليمهم خيرا، فقد تحولت شكايتي لهم شكرا
وذلك انهم عرفوني مقادير الكرام، وقاموا في تاديبي مقام تصاريف الايام، ودبغتني
بهم التجارب، وراضتني بايديهم النوائب، ولاحت لي ببركاتهم الغيوب والعواقب
فانا تلميذهم في ايتام الايام، وخريجهم في معرفة احوال الانام، والمستفيد
فيهم وبهم معرفة سياقة ما بين الفعل والكلام فكيف لا اشكر قوما افادوني
عقلا، وان لم يفيدوني نيلا، وزادوني ادبا، وان لم يزيدوني نشبا، وعهدي
وانا بالعراق مفيد، فاصبحت وانا بخراسان مستفيد، وهذه الزيادة من عطايا
هذه الحضرة وهذه النادرة التي توجهت الي من بركات هذه الدولة والسلام

وكتب الى كثير بن احمد لما هرب الى الري

ورد علي كتاب الشيخ وفهمته، والمواعيد التي اراد الشيخ ان
يسحرني برقاها، ويخدعني عن بواطن عيوبها بظواهر حلاها
فقد طلبت عنها ثوابا، ولها جوابا، فلما اجد غير قول عبيد

لا اعرفنك بعد الموت تندبني	وفي حياتي ما زودتني زادا

انا ايد الله الشيخ رجل قد اخترت نيسابور دارا، واخترت سلطانها من
الملوك جارا حتى جعلتها بيتا اعمره، والدنيا جسرا اعبره، لا امن بما علي مالي

وولدی بعد مماتی، ولا اخاف بما علی روحی وعرضی فی حیاتی، ولو
علمت انی سام خدمة من لیس له اثر علی واصابه علی نعمة لم تصل الی
لفارقت دار الهوان، ولکان جناحی وافر الطیران، ذکر انه تلطف بالامیر حتی
سل منه السخیمة، وحمله علی ان اغتفر الجریمة، وما عرفت لی جرما یحتمل معذرة، او
ذنبا یستوجب مغفرة، فان کان الامیر غفر لی ما ساجنیه من السیئات فلا اشکرنی
علی ما ساتیه من الحسنات، وکیف استحار السلف فیما یتعلق بالعقوبة ولم یستحره
فیما یتعلق بالمثوبة، فان کان مراده ان اقر علی نفسی بذنب ما اتیته والتزم بشکر
جمیل ما اولیته، فهذه صدقة قد ساءنیها والصدقة لا تحل من الفقراء الی
الاغنیاء، ولا یحسن بالامراء قبولها من الشعراء، وان کان یرید ان یتوصل بهذا الی
اجتناء ثمرات اللسان، ویجب ان یسیر ذکره فی اثناء هذه المعانی الحسان

فالناس اکیس من ان یحمدوا رجلا	ما لم یروا عنده آثار احسان

وانما لسانی خادم من خدم فؤادی، ومتصرف من متصرفی مرادی، فکیف
یفتات علی بشکر غیره، وکیف یجود بما هو متصرف فیه لغیره، وانما لسان
الشاعر روضة لا تسلف الزهر، حتی تستسلف المطر، ولا تضحک فی وجه السماء
الا بعد ان تستوفی حقها من الانداء وان کان الشیخ یرضی بعد هذا کله
بظاهر اعتذاری فقد خرجت الیه من عهدة اضماری وانا اقر بذنوب العالمین
حتی بذنب ابلیس فی الاولین، وحتی بذنب هاروت وماروت فی المتقدمین، و
التزم کل المعایب حتی معایب بنی امیة، ومعایب بغلة ابی دلامة واقول قد دبغنی
اللیل والنهار، وثقفتنی الاحوال والاطوار، فابصرت قصدی وتبینت رشدی
فلیلبسنی الامیر رضاه عنی ثوب العزة، کما البسنی بغضبه علی ثوب الذلة، و
لیجعلنی عبدا اعوج فقوم، وجهل فعلم، فلما عرف نفسه، وتلافی بیومه امسه،
رد علیه مکانه، ورجع الیه زمانه، فادعی ان النابغة الذبیانی ما اعتذر
الا عنی ولم یک لسانه الا بضعة منی، وانتحل قول علی بن الجهم

لیس عندی وان تغضبت الا	طاعة حرة وقلب سلیم
وانتظار الرضا فان رضا السا	دات عفو وعتبهم تقویم

وكتب الى رئيس قم

بسطني الشيخ ثم انقبض عني، ودعاني ثم هرب مني، وكان ليس له مثل الا كمن خطب الى حر كريمته فلما زفها اليه اغلق عنها بابه وارخى دونها حجابه، فعرض الصهر للهجنة والعروس للتهمة، ولعل اتيت مني واصبت الشيخ بعيني لما رأيته قد احيا مواتا من الود، وسبق الى باكورة من كرم العهد، وقد ثبت من ان انظر الى اصدقائي بعين العجب بهم وان مقهم بما يدعوني الى الحب لهم، لا بل ساتعامى عن محاسنهم ان رأيتها، واتغابى عنها وان دريتها، ان شاء الله تعالى

وكتب الى مؤدب امير خورستان

ذكر الشيخ من غمه بغيبتي فيما كان، وفرحه بأوبتي الآن، ما قلبي عليه شاهد، وعلى الشهادة زائد، لانه لا يمين على شاهد، وانا احلف على هذه الشهادة فاكون قد وفيت بما وعدته من الزيادة، ولقد رأيت الاخوان غير شيخي ومودتهم خلق يبيعونه ممن اشتراه، ويعرضونه على كل من رآه، ومهر هذه الحال قلبي فقد احتوى عليه، وكف فقد تمسك بطرفيه، والاحرار تستعبد بالاحسان، من حيث تستعبد المماليك باغلى الاثمان، على ان المملوك يعتق بلفظة، ويباع في صفقة ويزول عنه الرق في لحظة، والحر لا تزيده الايام الا رقا لمن اصطنعه، وتواضعا لمن رفعه، ولقد عجبت من محاسبة الشيخ نفسه عن اصدقائه، ومؤاخذته قلبه بشرائط وفائه، مع انه في زمان قد مرجت فيه عهود الاخوان، واعطوا واخذوا اموالهم بالميزان، ومالوا مع الرجحان على النقصان، ورضوا من القلب باللسان، ومن الغيب بالعيان، واذا تبين التاجر كساد السلعة، تجوز في الصنعة، واذا قل المتاع، فتر الباع، والحمد لله الذي رزقني من شيخي صديقا يتجمل بقربه، ويوثق بغيبه، ولا يخاف الغير من لسانه ويده، فلا سلبت هذه النعمى ولا سبت على هذه الموهبة العظمى، فان الايام قلما رأت بيدي علقا نفيسا الا سلبتني وقلما اعطتني ما احببتنيا الا حاسبتني

حتى لو صادفت الهواء لجعلته حتى لا يطال جانبه ولو اختصصت بالماء
لصيرته منبعا لا يجري وشاربه ما الناس فما احصي فيهم عددا ممن ابتعته فباعني وحفظته
فاضاعني واستعنت به على الزمان فاعانه علي واستظهرت بمكانه على الاعداء فكان
مقدمهم الي اللهم نفق سوق الوفا فقد كسدت واصلح قلوب الناس فقد فسدت
ولا تمتني حتى يبور الجهل كما بار العقل ويموت النقص كما مات الفضل

وكتب الى ابي سعيد رجاء بن الوليد الاصفهاني

بشرني كتاب الشيخ من سلامته ببشارة صغرت عندي البشائر وفاتت
النظائر وملأت المسامع والنواظر فلا زالت امداد صنع الله تعالى له
متناسقة والايام له بما يهوى موافقة وجعل الله تعالى تلك العثرة غلطة
تاب الدهر منها وخطيئة انكرها ورجع عنها فان الشيخ يحسن في لباس
النعمة ويقبح في زي المحنة بهوان غيره اذا لبس النعمة كانت عليه اجنبية
ويعلم انه اخذها عارية اليسير الذي رسم لي الشيخ به حملت اليه جملته
ولو اخذ لي فيما اخذ مني لاستقللته له واستصغرته دونه والذي رجع
اليه فهو مقسوم بينه وبيني فان اذن فهوله دوني حملت الى الخزانة نسخة رسائلي
فنصفها مصحف ونصفها محرف والكلام الوسط بالخط الوسط كالعجوز السوداء
تجلى على العيون فينضاف قبح الجلوة الى قبح الكسوة وتغطي على ظلمة الدواء
ظلمة الوعاء وتتضاعف السماجة ضعفين وتقذى العين من لونين
فيصير القلب سير العين بلغني ان الشيخ قد اغتم لما ندب لعمل يصغر فيه
ويكبر عنه فانكرت ذلك من فعله وكتبته في هفوات عقله العمل ايد الله تعالى
الشيخ ثوب يحسن بصاحبه ومركب يجمل براكبه فالصغير منه بالكبير كبير
والكبير منه بالصغير صغير وكاني بالتمييز وقد نبع منه نابع وبدولة
الانتقاد وقد طلع من سعودها طالع وبرجالات الحضرة وقد تذاكروا
مظان الآجال ومساقط الرجال فعثروا باسم الشيخ فردوا عليه رتبته
وقوموه قيمته وجاء الدهر يعترف بما اقترف ويأتنف خلاف ما سلف وانما

خدمة السلطان نار، بينما هي ثوارة اذ ملأت دارا، وحرقت اوقارا، و صيرت الليل نهارا، ولا صغير من الولاية كما لا كبير من العطلة والسلام

وكتب الى جماعة الشيعة بنيسابور لما قصدهم محمد بن ابراهيم واليها

سمعت ارشد الله سعيكم، وجمع على التقوى امركم، ما تكلم به السلطان الذى لا يتحامل الا على العدل، ولا يميل الا على جانب الفضل، ولا يبالى بان يمزق دينه اذا رفاد دنياه، ولا يفكر فى ان لا يقدم رضا الله اذا وجد رضاه، و انتم ونحن اصلحنا الله واياكم عصابة لم يرض الله لنا الدنيا فذخر لنا الدار الاخرى ورغب بنا عن ثواب العاجل فاعد لنا ثواب الآجل، وقسمنا قسمين قسما مات شهيدا، وقسما عاش شريدا، فالحى يحسد الميت على ما صار اليه، ولا يرغب بنفسه عما جرى اليه، قال امير المؤمنين و يعسوب الدين عليه السلام المحن الى شيعتنا اسرع من الماء الى الحدور وهذه مقالة اسست على المحن وولد اهلها فى طالع الهزاهز والفتن، فحياة اهلها نغص و قلوبهم حشوها غصص، والايام عليهم متحاملة، والدنيا عنهم مائلة فاذا كنا شيعة ائمتنا فى الفرائض والسنن، ومتبعى آثارهم فى كل قبيح وحسن فينبغى ان نتبع آثارهم فى المحن غصبت سيدتنا فاطمة صلوات الله عليها وعلى آلها ميراث ابيها صلوات الله عليه وعلى آله يوم السقيفة وآخروا امير المؤمنين عن الخلافة وسم الحسن رضى الله عنه سرا وقتل اخوه كرم الله وجهه جهرا، وصلب زيد بن على بالكناسة وقطع رأس زيد بن على فى المعركة وقتل ابناه محمد وابراهيم على يد عيسى بن موسى العباسى ومات موسى بن جعفر فى حبس هرون وسم على بن موسى بيد المامون وهزم ادريس بفخ حتى وقع الى الاندلس فريدا، ومات عيسى بن زيد طريدا شريدا، وقتل يحيى بن عبد الله بعد الامان والايمان وبعد تاكيد العهود و الضمان هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان وغير قتل محمد بن زيد والحسن بن القاسم الداعى على ايدى آل ساسان وغير ما صنعه ابو الساج

كل أهل علوية المدينة حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز الى سامرا وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلي لابن عمر بن علي حين أخذه بأبويه وقد ستر نفسه بوارى شخصه يصانع عن حياته ويدافع عن وفاته ولا كما فعله الحسين بن اسمعيل المصعبي بيحيى بن عمر الزيدي خاصة وما فعله مزاحم بن خاقان بعلوية الكوفة كافة وبحسبكم انه ليست في بيضة الاسلام بلدة الا وفيها لقتيل طالبي تربة تشارك في قتلهم الاموي والعباسي واطبق عليهم العدناني والقحطاني

فليس حي من الاحياء نعرفه — من ذي يمان ولا بكر ولا مضر
الا وهم شركاء في دمائهم — كما تشارك أيسار على جزر

قوم نهم نفجت الى منية وكرهوا عيش الذلة فماتوا موت العزة ووثقوا بما لهم في الدار الباقية فسخت نفوسهم عن هذه الفانية ثم لم يشربوا كاسا من الموت الا شربها شيعتهم واولياؤهم ولا قاسوا لونا من الشدائد الا قاسى انصارهم واتباعهم داس عثمان بطن عمار بن ياسر بالمدينة ونفى اباذر الغفاري الى الربذة واشخص عامر بن عبد قيس التميمي وغرب الاشتر النخعي وعدي ابن حاتم الطائي وسير عمر بن زرارة الى الشام ونفى كميل بن زياد الى العراق وجفا ابي بن كعب واقصاه وعادى محمد بن حذيفة وناواه وعمل في دم محمد بن سالم ما عمل وفعل مع كعب ذي الحبطة ما فعل واتبعه في سيرته بنو امية يقتلون من حاربهم ويغدرون بمن سالمهم لا يحفلون المهاجري ولا يصونون الانصاري ولا يخافون الله ولا يحتشمون الناس قد اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يهدمون الكعبة ويستعبدون الصحابة ويعطلون الصلاة الموقوتة ويختمون اعناق الاحرار ويسيرون في حرم المسلمين سيرتهم في حرم الكفار واذا فسق الاموي فلم يأت بالضلالة عن كلالة قتل معاوية حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي بعد الايمان المؤكدة والمواثيق المغلظة وقتل زياد بن سمية الالوف من شيعة الكوفة وشيعة البصرة صبرا واوسعهم حبسا واسرا حتى قبض الله معاوية

على اسوأ اعماله، وختم عمره بشر احواله، فاتبعه ابنه يحمو على جرحاه و
يقتل ابناء قتلاه، الى ان قتل هانى بن عروة المرادى ومسلم بن عقيل الهاشمى
اولا وعقب بالحرث بن زياد الرياحى وبابى موسى عمرو بن قرظة الانصارى
وحبيب بن مظاهر الاسدى وسعيد بن عبد الله الحنفى ونافع بن هلال الجملى
وحنظلة بن اسعد الشامى وعابس بن ابى شبيب الشاكرى فى نيف وسبعين
من جماعة شيعة وامر بالحسين عليه السلام يوم كربلا ثانيا ثم سلط عليهم الدعى
ابن الدعى عبيد الله بن زياد يصلبهم على جذوع النخل ويقتلهم الوان القتل
حتى اجتث الله دابره ثقيل الظهر بدمائهم التى سفك عظيم التبعة بحريمهم الذى
انتهك فانتبهت لنصرة اهل البيت طائفة اراد الله ان يخرجهم من عهدة ما صنعوا
ويغسل عنهم وضر ما اجترحوا فصمدوا واصمدوا الفئة الباغية، وطلبوا بدم الشهيد
الدعى ابن الزانية، لا يهمهم قلة عددهم، وانقطاع مددهم، وكثرة سواد اهل
الكوفة بازائهم الا اقداما على القتل والقتال وسخاء بالنفوس والاموال حتى قتل
سليمان بن صرد الخزاعى والمسيب بن نجبة الفزارى وعبد الله بن وال التميمى
فى رجال من خيار المؤمنين وعلية التابعين ومصابيح الانام وفرسان الاسلام
ثم تسلط ابن زبير على الحجاز والعراق فقتل المختار بعد ان شفى الاوتار وادرك
الثار وافنى الاشرار، وطلب بدم المظلوم الغريب فقتل قاتله ونفى خاذله
واتبعوه ابا عمرة بن كيسان واحمر بن شميط ورفاعة ابن يزيد والسائب بن مالك
وعبد الله بن كامل وتلقطوا بقايا الشيعة يمثلون بهم كل مثلة ويقتلونهم
شر قتلة حتى طهر الله من عبد الله بن الزبير البلاد واراح من اخيه مصعب
العباد، فقتلهما عبد الملك بن مروان كذلك تولى بعض الظالمين بعضا بما
كانوا يكسبون بعد ما حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية واراد احراقه ونفى
عبد الله بن العباس واكثر ارهاقه فلما خلت البلاد لآل مروان سلطوا الحجاج
على الحجازيين ثم على العراقيين فتلعب بالهاشميين واخاف الفاطميين، و
قتل شيعة على ومحا آثار بيت النبى وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعى
واتصل البلاء مدة ملك المروانية الى الايام العباسية حتى اذا اراد الله

ان يحسم مادتهم باكثر آثامهم، ويجعل اعظم ذنوبهم فى آخر ايامهم، بعث على بقية
المحق المهيا ... لمعطائـ ...د بن على تخذ له منافقوا اهل العراق وقتله احزاب
اهل السا... ...من معه من شيعته نصر بن خزيمة الاسدى ومعاويه بن اسحق
انصارى وجمـ ... من شايعه وتابعه وحتى نوجهوا دناه وحتى من كلمه
وماشاه فلما انتهكو ذلك المحريم واقترفوا ذلك الاثم العظيم، غضب الله عليهم
وانتزع الملك منهم فبعث عليهم ابا مجرم، لا ابا مسلم، فنظر لا نظر الله اليه
الى صلابة العلوية والى لين العباسية فترك تقاه، واتبع هواه وباع آخرته
بدنياه، وافتتح عمله بقتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابى
طالب وسلط طواغيت خراسان وخوارج سجستان واكراد اصفهان على
آل ابى طالب يقتلهم تحت كل حجر ومدر ويطلبهم فى كل سهل وجبل حتى سلط
عليه احب الناس اليه فقتله كما قتل الناس فى طاعته، واخذه بما اخذ الناس فى
بيعته، ولم ينفعه ان اسخط الله برضاه، وان ركب ما لا يهواه، وخلت من الدوانيقى
الدنيا فخبط فيها عسفا، وتقضى فيها جورا وحيفا، الى ان مات وقد امتلأت سجونه
باهل بيت الرسالة ومعدن الطيب والطهارة قد تتبع غائبهم وتلقط حاضرهم
حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسنى بالسند على يد عمر بن هشام بن عمرو
التغلبى فما ظنك بمن قرب متناوله عليه، ولان مسه على يديه، وهذا قليل فى جنب
ما قتله هرون منهم، وفعله موسى قبله بهم، فقد عرفتم ما توجه على الحسن بن على
بفخ من موسى وما اتفق على على بن الافطس الحسينى من هرون وما جرى على احمد بن
على الزيدى وعلى القاسم بن على الحسنى من حبسه وعلى ابن غسان حاضر الخزاعى
حين اخذ من قبله والجملة ان هرون مات وقد حصد شجرة النبوة واقتلع غرس
الامامة وانتم اصلحكم الله اعظم نصيبا فى الدين من الاعمش فقد شتموه، ومن
شريك فقد عزلوه، ومن هشام بن الحكم فقد اخافوه، ومن على ابن يقطين فقد
اتهموه، فاما فى الصدر الاول فقد قتل زيد بن صوحان العبدى وعوقب عثمان
بن حنيف الانصارى ونفى حارثة بن قدامة السعدى وجندب بن زهير الازدى و
شريح بن هانى المرادى ومالك بن كعب الارحبى ومعقل بن قيس الرياحى والحرث

الاعور

الاعور الهمداني وابو الطفيل الكناني وما فيهم الا من خر على وجهه قتيلا او عاش في
بيته ذليلا، يسمع شتمة الوصي فلا ينكر، ويرى قتلة الاوصياء واولادهم فلا يغير
ولا يخفي عليكم حرج عامتهم وحيرتهم كجابر الجعفي وكرشيد الهجري وكزرارة بن
اعين وكفلان وابي فلان ليس الا انهم رحمهم الله كانوا يتولون اولياء الله ويتبرؤن
من اعداء الله، وكفى به جرما عظيما عندهم وعيبا كبيرا بينهم وقل في بني العباس فانك
ستجد بحمد الله تعالى مقالا، وجل في عجائبهم فانك ترى ما شئت مجالا، يجبى فيؤهم
فيفرق على الديلمي والتركي ويحمل الى المغربي والفرغاني ويموت امام من ائمة الهدى و
سيد من سادات بيت المصطفى فلا تتبع جنازته، ولا تجصص مقبرته، ويموت ضراط
لهم اولاعب او مسخرة او ضارب فتحضر جنازته العدول والقضاء ويعمر مسجد
التعزية عنه القواد والولاة، ويسلم فيهم من يعرفونه دهريا اوسوفسطائيا ولا
يتعرضون لمن يدرس كتابا فلسفيا ومانويا ويقتلون من عرفوه شيعيا يسفكون
دم من سمي ابنه عليا، ولو لم يقتل من شيعة أهل البيت غير المعلى بن خنيس قتيل
داود بن علي ولو لم يحبس فيهم غير ابي تراب المروزي لكان ذلك جرحا لا يبرأ، ونائرة لا
تطفأ، وصدعا لا يلتئم وجرحا لا يلتحم وكفاهم ان شعراء قريش قالوا في الجاهلية
اشعارا يهجون بها امير المؤمنين عليه السلام ويعارضون فيها اشعار المسلمين
فحملت اشعارهم ودونت اخبارهم ورواها الرواة مثل الواقدي ووهب بن منبه
التميمي ومثل الكلبي والشرقي بن القطامي والهيثم بن عدي ودواب بن الكناني وان
بعض شعراء الشيعة يتكلم في ذكر مناقب الوصي بل في ذكر معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم فيقطع لسانه ويمزق ديوانه كما فعل بعبد الله بن عمار البرقي وكما اريد
بالكميت بن زيد الاسدي وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمري وكما دمر على
دعبل بن علي الخزاعي مع رفقتهم من مروان بن ابي حفصة اليمامي ومن علي
بن الجهم الشامي ليس الا لغلوهما في النصب واستيجابهما مقت الرب حتى ان
هرون بن الخيزران وجعفر المتوكل على الشيطان لا على الرحمن كانا لا يعطيان
مالا ولا يبذلان نوالا الا لمن شتم آل ابي طالب ونصر مذهب النواصب مثل
عبد الله بن مصعب الزبيري ووهب بن وهب البختري ومن الشعراء مثل

مروان بن ابي حفصة الاموي ومن الادباء مثل عبد الملك بن قريب الاصمعي فاما
في ايام جعفر فمثل بكار بن عبد الله الزبيري وابي السمط بن ابي الجون الاموي
وابن ابي الشوارب العيشمي ونحن ارشدكم الله قد تمسكنا بالعروة الوثقى وآثرنا
الدين على الدنيا وليس يزيدنا بصيرة زيادة من زاد فينا ولن يحل لنا عقيدة
نقصان من نقص منا، فان الاسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ كلمة من الله
ووصية من رسول الله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومع اليوم
غد وبعد السبت احد قال عمار بن ياسر رضي الله عنه يوم صفين لو ضربونا
حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل ولقد هزم رسول الله صلوا
الله عليه ثم هزم ولقد تأخر امر الاسلام ثم تقدم، الم احسب الناس ان يتركوا ان
يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولولا محنة المؤمنين وقلتهم ودولة الكافرين وكثرتهم
لما امتلأت جهنم حتى تقول هل من مزيد ولما قال الله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون
ولما تبين الجزوع من الصبور، ولا عرف الشكور من الكفور ولما استحق المطيع الاجر
ولا احتقب العاصي الوزر فاذا صابتنا نكبة فذلك ما قد تعودناه، وان رجعت
لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه، وعندنا بحمد الله تعالى لكل حالة آلة، ولكل مقامة
مقالة، فعند المحن الصبر وعند النعم الشكر، ولقد شتم امير المؤمنين عليه السلام
على المنابر الف شهر فما شككنا في وصيته وكذب محمد صلى الله عليه وسلم بضع عشرة
سنة فما اتهمناه في نبوته، وعاش ابليس مدة تزيد على المدد فلم نرتب في لعنته، و
ابتلينا بفترة الحق ونحن مستيقنون بدولته ودفعنا الى قتل الامام بعد الامام
والرضا بعد الرضا ولا مرية عندنا في صحة امامته، وكان وعد الله مفعولا وكان
امر الله قدرا مقدورا، كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون، ولتعلمن نبأه بعد حين، اعلموا رحمكم الله ان بني امية
الشجرة الملعونة في القرآن، واتباع الطاغوت والشيطان، جهدوا في دفن محاسن الوصي
واستأجروا من كذب في الاحاديث على النبي صلى الله عليه وسلم وحولوا الجوار
الى بيت المقدس عن المدينة والخلافة زعموا الى دمشق عن الكوفة وبذلوا في طلب
هذا الامر الاموال وقلدوا عليه الاعمال، واصطنعوا فيه الرجال، فما قدروا على

دفن حديث من احاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ولا على تحريف آية من كتاب الله تعالى ولا دس احد من اعداء الله فى اولياء الله ولقد كان ينادى على رؤسهم بفضائل العترة ويبكت بعضهم بعضا بالدليل والحجة لا تنفع فى ذلك هيبة ولا يمنع منه رغبة ولا رهبة والحق عزيز وان استذل اهله وكثير وان قل حزبه والباطل ذليل وان رصع بالشبهة وقبيح وان غطى وجهه بكل مليح

قال عبد الرحمن بن الحكم وهو من انفس بنى امية

سمية امسى نسلها عدد الحصا ‏ ‏ وبنت رسول الله ليس لها نسل

غيره

لعن الله من يسب عليا ‏ ‏ وحسينا من سوقة وامام

وقال ابو دهبل الجمحى فى حمة سلطان بنى امية وولاية آل بنى سفيان

تبيت السكارى من امية نوما ‏ ‏ وبالطف قتلى ما ينام حميمها

وقال سليمان بن قتة

وان قتيل الطف من آل هاشم ‏ ‏ اذل رقاب المسلمين فذلت

وقال الكميت بن زيد وهو جار خالد بن عبد الله القسرى

فقل لبنى امية حيث حلوا ‏ ‏ وان خفت المهند والقطيعا
اجاع الله من اشبعتموه ‏ ‏ واشبع من بجوركم اجيعا

وما هذا باعجب من صياح شعراء بنى العباس على رؤسهم بالحق وان كرهوه وبتفضيل من نقصوه وقتلوه قال المنصور بن الزبرقان على بساط هرون

آل النبى ومن يحبهم ‏ ‏ يتطامنون مخافة القتل
ومن النصارى واليهود وهم ‏ ‏ من امة التوحيد فى ازل

وقال دعبل بن على وهو صنيعة بنى العباس وشاعرهم

الم ترانى مذ ثمانين حجة ‏ ‏ اروح واغدو دائم الحسرات
ارى فيأهم فى غيرهم متقسما ‏ ‏ وايديهم من فيئهم صفرات

وقال على بن العباس الرومى وهو مولى المعتصم

تاليت ان لا يبرح المرء منكم ‏ ‏ يتل على حر الجبين فيعفج

كذاك بنو العباس تصبر منكم	ويصبر للسيف الكمي المدجج
لكل اوان للنبي محمد	قتيل زكي بالدماء مضرج

وقال ابراهيم بن العباس الصولي وهو كاتب القوم وعاملهم في الرضا لما قربه المامون

يمن عليكم باموالكم	وتعطون من مائة واحد

وكيف لا ينتقصون قوما يقتلون بني عمهم جوعا وسغبا، ويملأون ديار الترك والديلم فضة وذهبا يستنصرون المغربي والفرغاني، ويجفون المهاجري والانصاري، ويولون انباط السواد وزارتهم، وقلف العجم والطماطم قيادتهم، ويمنعون آل ابي طالب ميراث امهم، وفيء جدهم يشتهي العلوي الاكلة فيحرمها، ويقترح على الايام الشهوة فلا يطعمها وخراج مصر والاهواز، وصدقات الحرمين والحجاز، تصرف الى ابن ابي مريم المديني والى ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي والى زلزل الضارب وبرصوما الزامر واقطاع بختيشوع النصراني قوت اهل بلد وجاري بغا التركي والافشين الاشروسني كفاية امة ذات عدد والمتوكل زعموا يتسرى باثني عشر الف سرية والسيد من سادات اهل البيت يتعفف بزنجية او سندية وصفوة مال الخراج مقصور على ارزاق الصفاعنة، وعلى موائد المخانثة، وعلى طعمة الكلابين ورسوم القرادين وعلى مخارق وعلوية المغني وعلى زرزر وعمرو بن بانة الملهي ويبخلون على الفاطمي باكلة او شربة، ويصارفونه على دانق وحبة ويشترون العوادة بالبدر، ويجرون لها ما يفي برزق عسكر، والقوم الذين احل لهم الخمس وحرمت عليهم الصدقة وفرضت لهم الكرامة والمحبة يتكففون ضرا، ويهلكون فقرا، ويرهن احدهم سيفه ويبيع ثوبه، وينظر الى فيئه بعين مريضة، ويتشدد على دهره بنفس ضعيفة، ليس له ذنب الا ان جده النبي وابوه الوصي وامه فاطمة وجدته خديجة، ومذهبه الايمان وامامه القرآن، وحقوقه مصروفة الى القهرمانة والمضرطة والى المغنوة والى المزورة، وخمسه مقسوم على نقار الديكة والدمية

والقردة

والقردة وعلى عريس اللعبة واللعبة؛ وعلى مربية الرحلة؛ وماذا اقول فى قوم حملوا الوحش على النساء المسلمات واجروا العبادة وذوية الجايات؛ وحرثوا تربة الحسين عليه السلام بالفدان؛ ونفوا زواره الى البلدان؛ وما اصف من قوم هم نطف السكارى فى ارحام القيان؛ وماذا يقال فى اهل بيت منهم نبغ البغا وفيهم راح التخنيث وغدا وبهم عرف اللواط كان ابراهيم بن المهدى مغنيا وكان المتوكل مؤنثا موضعا وكان المعتز مخنثا وكان ابن زبيدة معتوها مفركا وقتل المأمون اخاه؛ وقتل المنتصر اباه؛ وسم موسى بن المهدى امه؛ وسم المعتضد عمه؛ ولقد كانت فى بنى امية مخازى تذكر؛ ومعايب تؤثر؛ كان معاوية قاتل الصحابة والتابعين؛ وامه آكلة اكباد الشهداء الطاهرين؛ وابنه يزيد القرود؛ مربى الفهود؛ وهادم الكعبة؛ ومنهب المدينة؛ وقاتل العترة وصاحب يوم الحرة؛ وكان؛ مروان الوزغ ابن الوزغ لعن النبى صلى الله عليه وعلى آله اباه وهو فى صلبه فلحقته لعنة الله ربه؛ وكان عبد الملك صاحب الخطيئة التى طبقت الارض وشملت؛ وهى توليته الحجاج بن يوسف الثقفى فاتك العباد؛ وقاتل العباد؛ ومبيد الاوتاد؛ ومخرب البلاد؛ وخبيث امة محمد الذى جائت به النذر؛ وورد فيه الاثر؛ وكان الوليد جبار بنى امية وولى الحجاج على المشرق وقرة بن شريك على المغرب وكان سليمان صاحب البطن الذى قتله بطنه كظه ومات بشما وتخمه وكان يزيد صاحب سلامة وحبابة الذى نحى الجهاد بالخمر؛ وقصير ايام خلافته على العود والزمر؛ واول من غلى سعر المغنيات؛ واعلن بالفاحشات؛ وماذا اقول فيمن اعرق فيه مروان من جانب ويزيد بن معاوية من جانب فهو ملعون بين ملعونين؛ وعريق فى الكفر بين كافرين وكان هشام قاتل زيد بن على مولى يوسف بن عمر الثقفى؛ وكان الوليد بن يزيد خليع بنى مروان الكافر بالرحمن؛ الممزق بالسهام القرآن واول من قال الشعر فى نفى الايمان؛ وجاهر بالفسوق والعصيان والذى غشى امهات اولاد ابيه؛ وقذف بغشيان اخيه؛ وهذه المثالب مع عظمها وكثرتها ومع قبحها وشنعتها؛ صغيرة وقليلة فى جنب مثالب بنى العباس الذين

بنوا مدينة الجبارين وفرقوا في الملاهي والمعاصي اموال المسلمين، هؤلاء ارشدكم الله الائمة المهديون الراشدون، الذين قضوا بالحق وبه يعدلون بذلك يقف خصيب جمعتهم، وبذلك تقوم صلاة جماعتهم، فان كسد التشيع بخراسان فقد نفق بالحجاز والحرمين والشام والعراقين وبالجزيرة والثغرين وبالجبل والبحارين، ومن تحامل علينا وزيرا واميرا فانا نتوكل على الامير الذي لا يعزل وعلى القاضي الذي لم يزل يعدل وعلى الحكم الذي لا يقبل رشوة ولا يطلب سجلا ولا شهادة واياه تعالى نحمد على طهارة المولد وطيب المحتد ونسأله ان لا يكلنا الى انفسنا، ولا يحاسبنا على مقتضى عملنا، وان يعيذنا من عونة الحشوية ومن لجاج الحرورية، وشك الواقفية، وارجاء الحنفية وتخالف اقوال الشافعية ومكابرة البكرية، ونصب المالكية، واجبار الجهمية والنجارية وكسل الراوندية وروايات الكيسانية، وجدل العثمانية، وتشبيه الحنبلية وكذب الغلاة الخطابية وان لا يحشرنا على نصب اصفهاني ولا على بغض لاهل البيت طوسي او شاشي ولا على ارجاء كوفي ولا على تشبيه قمي ولا على جهل شامي ولا على تحنبل بغدادي ولا على قول بالباطن مغربي ولا على عشق لابي حنيفة بلخي ولا على تناقض في القول حجازي ولا على مروق سجزي ولا غلو في التشيع كرخي وان يحشرنا في زمرة من احببناه، ويرزقنا شفاعة من توليناه اذا دعا كل اناس بامامهم وساق كل فريق تحت لوائهم، انه سميع قريب، ويسامح ويستجيب

وكتب الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته

فهمت ما ذكره الشيخ من توبة الدهر اليه من ذنبه، وخطبته لسلمه بعد حربه، وما لا يزال يتعرفه منذ انقشعت ضبابة المحنة، وانجلت غمرة الكربة، من صنع جديد في ظل يوم جديد لم تحتسبه، وعز مؤتنف في كل ساعة لم تحسبه حتى لقد اشتم روائح عود الحال الى مائها الناضب ورجوع الدولة الى رسمها الذاهب وهكذا تكون احوال المقبلين، فان الايام اذا غلطت فجنت عليهم رجعت فاعتذرت اليهم، والزمان اذا حاربهم خطأ سالمهم عمدا فيستوفون

فی الحالین اجر المحنۃ، وزیادۃ بشکر النعمۃ، ثم یختم لهم بما هو بحالهم الیق، و بمقادیرهم اوفق، والمحنۃ اذا کانت بعرض زوال فلیست بمحنۃ، کما ان النعمۃ اذا انتظر بها التغییر فلیست بنعمۃ، وانما الانسان من هو فی یومہ فاما امسہ فافل، واما غدہ فامل، وکل غم سبب لسرور فهو سرور، وکل ظلمۃ کانت طریقا الی النور فهی نور، ومن محاسن ایام المحن ان الانسان یعرف بها غش الاصدقاء، ویقف منها علی وزان الثقات والاولیاء، ویمیز بین من هو صدیق البلاء، وصدیق الرخاء، ومن فوائدها انها تعلم المرء مقدار العافیۃ وتعرفہ اخراج زکاۃ الجاہ والدولۃ، وتحلی فی فمہ ما یجدہ بعدها من طعم السلامۃ، ومن منافعها انها تطلع الناس علی مقادیر قوم لولا المحنۃ لم یطلعوا علیها، وتظهر کفایۃ اناس لولا غیبتهم وحضور البدل لهم لم یهتدوا الیها، والا تعرف الشیخ بحقیقتہ، ووزن بزنتہ، ووقف السلطان والرعیۃ علی تفصیلہ وجملتہ، بحضور غیرہ وغیبتہ، وانما یعرف حق الافاضل من یرفع بعدهم الی عشرۃ الاراذل ویشد یدہ بالخاصۃ، من یبتلی بعدہ بالعامۃ وما اغلی الماء علی من فقدہ، وارخصہ عند من وجدہ، هذا وقد صقلت هذہ الفترۃ خلائق الشیخ بالتجارب، ووضعت فی یدہ مرآۃ النظر فی العواقب، وهذبت افعالہ من کل شوب، وغسلت عنہ وضر کل عیب علی انہ لم یزل مبرأ من کل رذیلۃ، ومخصوصا بکل فضیلۃ، ولکن الایام عملها فی التعلیم، وخاصتها فی باب التنبیہ والتقویم، فالحمد للہ الذی رد الی ذلک الامیر جمالہ وبهاءہ، وعمر بابہ وفناءہ، وسر شیعتہ واولیائہ وغم حسدتہ واعدائہ، ولم یفجعہ بالعلق النفیس الذی لا یشتری بالاثمان، ولا یوزن بالمیزان، ولا یکال بالقفزان، ولا یری مثلہ فی هذا الزمان، کما لم یر فی سائر الازمان، ثم الحمد للہ الذی حول کتبی من التعزیۃ الی التهنئۃ، و اخرج القاضی من میدان الصبر، الی میدان الشکر، وجعلنی رطب اللسان بالحمد للہ، بعد ما کنت رطب اللسان بانا للہ، ثم الحمد للہ الذی استجاب دعائی، ورحم بکائی، وعلمنی کیف تطلب الحاجات، ومتی تستجاب الدعوات، وعرفنی ان الدهر غریم یفی بما یعدہ، وحبلی بما تتم فیما تلدہ، ثم الحمد للہ الذی ارانی اهل خوارزم وقد عرفوا ریحان من فقدوہ، بمن وجدوہ، کما عرفوا

نقصان من وجدوه بمن كانوا فقدوه، وانشدوا قول حنظلة ابن عرادة التميمي

عتبت على سلم فلما فقدته ... وعاشرت اقواما رجعت الى سلم

وقول دعبل

ويرجعني اليك وان نات ... دياري عنك تجربة الرجال

وكتب الى رئيس سمرقند

وصل كتاب سيدي بعد ان كنت ظننت لتاخره ظنونا اعيذه بل اعيذني بالله من ان تصدق بها فراستي، وتتحقق مخيلتي، وظن المحب متوزع، والتقيق بسوء الظن متولع، الكتاب الذي ذكر سيدي لم يصل، ولقد كان الكاغذ للجواب عنه موجودا، والكاتب مشهودا، والوقت بحمد الله تعالى ومنه طويلا ممدودا، افهم غير المفهوم وليت شعري كيف سلط على كتبنا حتى قطعها دوننا سليك بن السلكة السعدي واوفى بن مطر المازني وعمرو بن براقة الهمداني والشنفرى الازدي وتابط شرا الفهمي والسمهري العكلي ومالك ابن الريب المزني وشظاظ وريحان وكعب حدرو ومالك بن حريم وعمرو الكلب الهذلي وجحدر البكري والمنتشر بن وهب الباهلي وابو النشناش الحنظلي والقتال الكلابي وابو حردبة والحطيم التميمي واكتل وزرام المحريان، واسكاب والغداف القاطعان وطهمان ومن مثل طهمان وعبد العزيز وعرقل التميميان وويرة العفاري وعامر بن عمير بن زيد هؤلاء لصوص العرب وصعاليكها الذين كانوا يسلبون الناس سلبا، ويأخذون كل سفينة غصبا، واما بعد اليوم اذا كتبت الى سيدي كتابا قرأت عليه المعوذتين، وعلقت في جيده تميمتين، واخذت من حامله كفيلين، احدهما ذو الجناحين، والآخر ذو النورين، حاجتي في كذا قضيت بسيدي لا زال قيامه بالحوائج يحل ما يعقد، ويسهل ما يشدد، ولا زالت عنايته تفك اسيرا، وتيسر عسيرا، لا جرم لقد كتب على سجل رق وقلد رقبتي له حقا يوفي على كل حق، وان رجلا نقل هذا الدهر اللئيم من المذمة الى المحمدة، وعمله انجاز الموعدة، لرجل يحسن ان يغير

الشيم، وان يعلم اللئيم الكريم، فلا زلت اتحمل لسيدي عارفة تنضاف الى سائر عوارفه، وآنف صنيعه ينضم الى سالفه، حتى تسود حواشي جريدة نعمه على وايا ديه الى فاعمل جريدة غيرها، واضيف اليها مثلها

وكتب الى ابي سعيد احمد بن شبيب جوابا عن كتاب له ورد عليه يبشره فيه بخلاص وزير خوارزمشاه من المحنة

كتابـ صاحب الجيش ورد مشحونا ببشارتين، او ردتا فرحتين، واوجبتا شكرين، احدهما وهي كبراهما خبر سلامته وسلامة احواله ونعمة الله تعالى عليه في جملته، والثانية خبر ما اتاح الله تعالى للوزير ابي فلان من الفرج الذي وافى بغتة، وورد على القلوب والاسماع فلتة، فما ادري باي هاتين النعمتين كنت اكبر اعتدادا، واكثر بها المحاسن الايام تعدادا، وباي البشارتين كان سروري اكبر حجما، واعظم جرما، ولاية الفرحتين كان قلبي اطرب، ولساني بشكر الله تعالى ارطب، على ان سلامة صاحب الجيش وان كانت البشارة التي توفي على البشائر والنعمة التي تربي على النعم البواطن والظواهر، فانها جرت مجرى الشيء اذا كانت منطلعة متشوفة، ومتوقعة متوكفة، وردت على شيء ينتظر ورودها، وعلى قلب ينجز موعدها، وخبر نعمة الله تعالى على ذلك الوزير، وقد جرى مجرى بيضة العقر، وقام سماعه مقام افتراع البكر، وردت القلوب فيه غير طامعة، والنفوس اليه غير منازعة، واليأس قد رتج باب الرجاء، والبلاء قد نسخ آيات الرخاء، وطول ايام الفترة، قد هزم بجيش الهم جيش المسرة، وكان نعمة خرجت من بيت نقمة، وفرحة نبتت في ارض غمة، وخبر اسار امر على اذن طالما قرعها خبر البلاء، وعلى عين طالما باتت على السهر واصبحت على البكاء، والسرور اذا خرج من الكمين كان انفس للزينة، والضحك اذا وجد في ساعة البكاء كان اغرب في السماع والرؤية والحمد لله الذي جعل صاحب الجيش يهدي البشائر الى مضاعفة، وينعم على النعم متراكمة مترادفة ويورد على خبر سلامته في نفسه التي هي اعز النفوس علي، ممزوجا بخبر سلامة احب الناس

بعده الى لتكون ريح المسرة قد هبت على جنوبا وشمالا، وجناح الانس والطرب قد رفرف حولى يمينا وشمالا، كأن الخيرات لا تعرف طريقا الى الامن بابه، وكأن البشائر لا تحسن ان تطلع على الامن كتابه وخطابه، وفهمته وعظم اعتدادى بموروده لصاحب الجيش على انى لو انصفته لشكرته بلسانين واجبته بقلبين، وكتبت بيدى بقلمين، ووليت ايامه ودولته بنفسين، كما انه يحسن الى من جهتين، ويبترنى من جانبين ويسدى الى الهدية ذات الطرفين، فاما ان نعمته على مثنى مثنى ومكافاتى له عنها فرادى، فتلك اذن قسمة ضيزى ولكن متى استوفى فعل محسن وحال شاكر، ومتى ربح رئيس على شاعر، ومتى استوى من يطلب سائلا، ومن يطلب نائلا، لا عدمت صاحب الجيش سيدا وسندا، ومددا وعضدا، وركنا مؤيدا، وسنانا محددا، وسهما مسددا، وسيفا مجردا مهندا، وجندا مجندا، وعزا مؤبدا سرمدا، ولا خلوت منه ابدا،

وكتب الى خوارزم شاه

ورد على كتاب الامير مع فلان فلا ادرى ايهما كان اشد اسرورى بالرسول ام سرورى بالمحصول وفهمته ولما عرضته على اصدقائى، صار يحسدنى عليه اعدائى، فلما اجتلوا محاسن الكلام بقلوبهم، ومحاسن الخط بعيونهم، علموا ان بخوارزم قوما من النجار الافضل ومن الطراز الاول، اذا اخذوا الاقلام كتبوا، واذا اخذوا السيوف ضربوا، وان كان الامير رأس الجريدة وفارس الكتيبة ونكتة المسئلة وطراز الكسوة ووجه الرزمة وصدر الديت واول النخت وخال الخد ودق الدق ولب اللب ويحسب الامير ان هذا الكتاب وافانى ليلا فاحببت له الليل حب كثير عزة وعشقته عشق جميل بثينة وابغضت له النهار بغض العاشق الفراق وبغض العروس الطلاق، ولقد تركت الاسماع به مشحونة، والقلوب مفتونة واتانى خلال ذلك فرح لا يسعنى جلدى منه فرحا، ولا تحملنى اعوادسرجى مرحا، فانشدت

واذا نظرت الى اميرى زادنى		ضنا به نظرى الى الامراء	

ولقد

ولقد قال لی من لا یدع فضلا الا تنقصه ولا جمیلا الا غمصه ... کتابة الوزیر لا کتابة الامیر فقلت له ما زدت علی ان جعلت الفضل خادمه والکمال تابعه ومن خدم الفضلاء فقد خدم الفضل ومن تصرف فی عمله العقلاء فقد تصرف له العقل وکیف یخدم الفضلاء غیر فاضل ام کیف یرضی لکمله بالمقام علی غیر کامل واصدرت الجواب الی حضرة الامیر عمرها الله تعالی بوفود الرجاء وملأ رحابها وابوابه یرسل ... الملوك والرؤساء وصرف الیها زمام کل رغبة وثنی نحوها عنان کل رهب وجعلت هذه الاحرف جنیبة الجواب وجنائب القول من جنائب الخبر

وکتب الی العامل علی البرید بالاهواز

کنت ظننت بك یا اخی ظنا کذبه قبیح فعلك وضعف هجرك ووصالك فانك لا تعل فیهما علی قیاس واجب ولا تصبر منهما علی طعام واحد فلا جرم لقد رجعت فی ودك وما کنت ارجع فی هبة وندمت علی ثقتی بك وعهدی بی ان لا اندم علی حسنة وهذا ایدك الله تعالی رزقی من کل من اصفیته حبی ووضعت فی یدیه قلبی فانا ابدا بین صدیق اشکوه وقد کنت اشکره واعذله وقد کنت اعذره وارتجع قلبی منه کرها وقد سلمته الیه طوعا حتی لقد اشتغل قلبی بخوف الاصدقاء عن خوف الاعداء واشتغل شعری بالعتاب عن المدیح والهجاء حتی لقد صرت اعد سوء الظن حزما وارعی المساهلة غبنا واحسب المکافاة علی القبیح عدلا ومعاشرة الناس بالغش عقلا وان کان هذا لیس جمیلا فانا فیه تلمیذ اصدقائی وهم فی الحمد علیه شرکائی

وکتب الی ابی حامد بن روزبه ادیب قومس

وصل کتاب شیخی مکتوبا بخط ینطق بغیر لسان ویفصح من غیر بیان احسن من کل شیء غیر کلام صاحبه والطف من کل شیء غیر اخلاق کاتبه القصیدة قد حفظتها لما لحظتها ورویتها لما رأیتها

ولو اجبت عنها، لسرقت الجواب منها، اذا كانت قد جمعت نشر البديع، وضمت اطراف الوصف والترصيع، ولو فعلت ذلك لكنت قد اهديت الى شيخي من ماله، وخلعت عليه من يده، وضربته بسيفه على اني قد طلقني الشعر ولا اقول طلقته وانما الشعر بالطرب او بالرغب او بالرهب وما بقي شيئ يطرب به فاطرب، ولا بقي كريم فارغب، ولا بقي وجل فارهب

وكتب الى ابي زيد جوابا عن كتابه

وصل يا وليك كتابك القصير بخطه، المختصر جلده، وفهمته وذكرت انك مشتاق الى اللقاء، ومستبطئ في ذلك القدر والقضاء، والمسافة بيننا صغيرة البقعة، ضيقة الرقعة، اذا ذرعت بذراع الهوى، ومسحت بيد الذكرى وهي بعيدة اذا مسحت بيد التسلي ونظر اليها بعين التغافل والتناسي والبعيد قريب اذا التقى العزم والتوفيق كما ان القريب بعيد اذا التقى التفريط والتعويق، فلا تتعلق باذناب العلل، لو صح منك الهوى ارشدت للحيل

وكتب الى ابي حامد ايضا الاديب بقومس

ورد على كتاب الشيخ وهو اعز كتاب علي الا انه كان صغيرا كايام لقائي له قصيرا كمدة انسي به، على انه لا قليل من البر ولا صغير من الذكر، على ان صغير البر لطف واطيب كما ان قليل الذكر اشهى واعذب، عاتبني الشيخ عتابا انساني الرعد القاصف والريح العاصف والبرق الخاطف واردت جوابه فعقل لساني عنه ذكر ايام تفض العزائم، وتسل السخائم، وما كل انسان يعطى السلطان على قلبه فيقلبه، وعلى شيطانه فيغلبه، فلم نزع شيخي فيصا من حسن لعشرة ولم يزل يلبسه واطلق لسانا لم يزل يحبسه، انا بكتاب شيخي اذا ورد علي اشد سرورا من المشتاق الى التلاق بعد طول الفراق، ومن العاشق بالعناق، ومن الاسير بالاطلاق ومن الفارك بالطلاق فليتحفني به، وليؤهلني له، ان شاء الله تعالى

وكتب اليه ايضا

كتبت الى شيخى كتابا سامحت فيه يدى وخاطرى وغالطت فى انقاده قلبى وناظرى لان رسوله كان اعجل من ابى دخل نصفه ومن عامل حضر مشخصه ومن حاج لم يبق بينه وبين الموقف سوى ليلة او بياض غدوة وهو على فراسخ بعيدة وفوق مطية بليدة ومن منهزم رأى خلفه سواد الطلب وخاف عاقبة فوت الروح والسلب ومن المحتشرى يوم الجمعة وقد سمع الاذان وركب السلطان فلازمنى حتى ضغطنى ضغط الغريم وضبطنى ضبط الخصيم وشغلنى عن بسم الله الرحمن الرحيم فكتبت ويدى ترتعش وقلبى ذهل دهش وانا ارى لشيخى ان يستعمل هذا الرسول فى جباية المال واستحثاث العمال واجتلاب الصدقات والجوال فانه يحاسب على اللحظة ويضايق فى اللفظة ويتقاضى تقاضيا يزهق النفس ويقطع النفس فلو عرف ملك الموت سيره لجعله خليفته وفوض اليه امره فانه اكره منه لقاء واشد اقتضاء وحاجتى ان لا يرده شيخى الى فانى ارحم الارض من ثقله واحب بطنها وابغض ظهرها من اجله والسلام

وكتب تعزية الى ابى بكر

بلغنى ما ساء شيخى ايده الله تعالى فى هذه المصيبة من غم يشكى بل يبكى وجزع يضنى بل يفنى والموت خطب ثقل حتى خف وكثر حتى قل وهان على الباقى لما رآه بالماضى وعلى المعزى لما نظره فى المعزى ودخل الجميع تحت قول المتنبى

يدفن بعضنا بعضا ويمشى	اواخرنا على هام الاوالى

وشيخى اعرف بالله واقرأ لكتاب الله واروى لاخبار رسول الله من ان يتأدب بغير ادب الله ولا يسلم لقضاء الله ولكن لمفاجاة المصيبة لذعة يستراح منها الى مباثة الصديق والى تسلية الاخ الشفيق فقد يأنس المريض الى العائد وان علم انه لا يملك شفاءه ولا يدفع بلاءه جعلنا الله تعالى ممن ينتجز بالصبر ما وعده من البشرى والصلواة والرحمة والهدى فانه تعالى ذكره ذكر الصابرين فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون

والهمنا العزاء عما استأثر به، والشكر على ما اخلف منه، والسلام.

وكتب الى ابي سعيد رجاء بن الوليد الاصفهاني

كتابي وقد عفا بيننا رسم المكاتبة والمراسلة، ونسي اسم المطالعة والمواصلة والذنب في ذلك لاحدنا فان كنته فني المعذرة، ومن الشيخ الصفح والمغفرة، وان كان هو فقد عذرته قبل ان يعتذر، وغفرت ذنبه قبل ان يستغفر، وطفلت عليه بنصبي لساني نائبا عنه وخليفة له ورود ولدك فلان فنظرت منه وفيه الى ابيه ورايت الايام قد كسته رداء جمال وكمال، وصقلته بيك اقبال واقبال، وخرجت نجيبا انجل النجباء وابنا احيا الآباء، ورأيته

يطلب شأو امرأين قد ما حسنا	بذا الملوك وفاتا هذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما	على تكاليفه فمثله لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهل	فمثل ما قدما من صالح سبقا

وما اجم هذا الولد النجيب على سبقه الى المدى، وعلى ارتفاعه الى الذروة العلياء، وقد رسخ عرقه في تلك الدرة الكريمة، وفرعت غصونه على تلك الدوحة العميمة، لا بل لو اقام عن مربط الشيخ فرس لما اعتددت له ان يكون جوادا، ولو بات في خزانته سيف لما شكرته على ان يكون حساما، فكيف بولده، ومن هو قطعة من كبده، كانت الايام امتعتني بلقاء الشيخ مدة قصيرة كان نهارها القصير ظهرا وعصرا، وليلها عتمة وفجرا، فلما شكرتها رجعت فيما وهبت، وندمت على ما صنعت، وذلك رسم اللئيم فانه اذا شكر على احسان غلط به تنبه اللؤم فاساء، وندم على ما سببه من المسرة فساء، والكريم اذا شكرته قابل الشكر بالمزيد، وتجاوز الصنع القديم الى الجديد، فان عادت الايام بمثل تلك الغلطة، وظفرت بتلك الفلتة، كتمتها شاني، وشكرتها بضميري دون لساني، بلغني خبر تلك العثرة التي كانت عينا اصابت الاحسان، وعينا لحق الزمان والسلطان، فوا ذلك في جراح الايام بي، وفي وقائعها بقلبي، ثم تذكرت ان الدولة للمحسنين، والعاقبة للمتقين، وان الدهر يخطئ

ثم يعيب ويذنب ثم يتوب لا يبخل على الشيخ بكتبه فلولم استفد منها الاخبر بسلامته لكانت الضالة التى تطلب والعلق الذى لا يعار ولا يوهب فكيف وفيها الفاظه التى تشوق العجوز الى شبابها والشابة الى احبابها فاقوا تماقط الاحسد طرفى لسانى على لفظه وحسد لسانى طرفى على لحظه

فوالله ما ادرى ازيدت ملاحة	على الخلق ام راى المحب فلا ادرى

وانا وانكنت شاعر اللسان فلست شاعر الخلق ولا شاعر الوفاء والصدق ولا شاعر الصداقة والود ولا شاعر الديانة والعهد لا تتلون اخلاقى لوانا ولا اكون على صديقى ومن يشكوالى زمانا ولا اكون اخاه ايام دولته وعدوه ايام عطلته وقد غشت المروات واثلمت المودات ومات الوفاء والثبات

وكتب الى ابن العميد الحاكم

كتابى الى الشيخ عن سلامة تهنأتها منذ ورد على خبر سلامته ونعمة اسبغت على منذ وقفت على ما اسبغ الله تعالى عليه من نعمته وورد على كتاب الشيخ الذى كل سطر من سطوره كتاب وكل لفظة من الفاظه باب بل ابواب المفيد باطنه وظاهره البديع اوله وآخره الذى ما ورد على الاحسدنى عليه من رآه بين يدى وودانه لوكانت عيناه عينى وعلم انى قد حويت فى الحظوظ بقسم وافر ولنه قد حصل منها على غبن ظاهر لازال الشيخ اباعذر كل كلمة سائرة وكل فعلة نادرة ولا زالت اخلاقه مظنة لحفظ العهد ومحط الرحال المجد وشريعة موروده لزوار المجد وبابا مفتوحا لمستخرجى الرفد فلان قد غضب على فى ما اعرف لى ذنبا يستوجب منه عتابه ولا انسبه مع ذلك الى التجنى ولا اضع فعله موضع الظلم والتعدى ولكن من الذنوب ما يظهر لمن رآه ويخفى على من جناه وقد يرى الانسان من عيب غيره ما لا يراه من عيوب نفسه ولذلك قيل

ان المرائى لا تريك عيوب وجهك فى صداها	وكذاك نفسك لا تريك عيوب نفسك فى هواها

اسال الشيخ ان يرد على من صلحه ما فقدته ويوجد لى من عفوه

ما انشدته، ليكون قد صار طبيب الأخلاق اخوانه يداويهما من داء الهجران، ويصلحهما من فساد الزمان، ولتكون نعمه على تفرقة اغصانها ومتلونة الوانها، فان النعمة اذا تكافأت مذاهبها، وتعادت جوانبها، اتسع فيها مجال الشكر والذكر، وطالت فيها خطوة النظم والنثر

وكتب الى ابي القاسم الاجل البندار

خرج الشيخ الى ناحية عمله خروج السارق، لا بل خروج الآبق، قد كتم اخوانه حاله، ولم يستكفهم اشغاله، وخصني من بينهم بالقسم الاوفر من الكتمان، لا بل بالقسط الاوفر من الحرمان، وما كان يضره لو صحبت ركابه، وكثرت بسوادي اصحابه وقد الزمته الذنب وفي، وان كان مقسوما بينه وبيني، كان ينبغي لي ان اقيم على بابه حارسا، وبكل درب من دروب محلته فارسا، واتعرف خبر رحيله واقف على كثيره واتي وقليله، اذا رحل شيعته بجسمي مرحلتين، وبقلبي اثنين، على ان قلبي قد شيعته حيث هو معه فليتفضل برده علي وليفنه بل يفده مرسولا قاصدا الي، فان غاية المشيعان يرجع، وعاقبة الضيفان يودع، ولا يأخذ قلوبا صدقاته في مرافق اعماله ولا يكثر بشيعيه سواد اضيافه ولا يتركني بلا قلب فاني احتاج في مكاتبته الى قلوب والنظر في كتبه الى عيون والصبر على فراقه الى نفوس ولا يقل هو عندي تذكرة منك، ونائب على بابي عنك، فانما يحتاج الى التذكرة من ينسى، والشيخ بحمد الله تعالى لا ينسى ولا ينسى

وكتب الى ابن سمكة بقم

انا الح على شيخي في السؤال، واتجاوز حد الادلال الى حد الاملال، لان الذي اسأله لا يوجد منه عوض، ولا يقوم عنه جوهر ولا عرض، ومن طلب خطيرا، احتمل كبيرا، وعلى قدر نفاسة المتاع رغبة المبتاع، وبحسب عظم النائل ضراعة السائل، وليس يرد كتاب شيخي على من هو اضن مني به، ولا ارغب مني فيه، ولا اروى مني له، ولا اشكر مني عليه، ولا اتوق

مني اليه، واظن شيخي يستخشن مس عتابي له وعتاب عن قلب نقي وصدر
بري خير من ملق فوقه برد ساجري وتحته غش خفي فقد يكتم البغض في زوايا
الهوى، وقد ينبت المرعى على دمن الثرى، ولولا اني قد اصبحت تحت نعمة الشيخ
مستورا، واصبح لساني بعدها مقصورا، لسألته كتاب كذا ولكني الى
الخروج من الحواصل احوج مني الى طلب النوافل، ولقد نقص شيخي الى
الادباء، وصغر في عيني لعظائه، وصارت اخلاقه لي مرآة ارى فيها الحسن والقبيح
واتبين فيها السقيم والصحيح، وثمرة الادب العقل الراجح، وثمرة العلم العمل الصالح
فاما ادباء اهل زماننا فتطرقوا بالادب الى الجهل فحصد والنقص من زرع الفضل
لانعدم في كل زاوية منهم صغيرا يتكبر، وقليلا يتكثر، لا يفيد من دونه
بخلا، ولا يستفيد ممن فوقه جهلا، ولو تعلم لعلم جهله، ولو علم لحفظ
علمه، والبخل وحده قبيح فكيف اذا قارنه الجهل، والجهل بنفسه نقص
كبير فكيف اذا كان معه البخل، ومن عجائب البخل انه داء يعدي فان
الجواد يبخل اذا بخل عليه، ويتحول داء غيره اليه فشر الادواء داء اعدى و
شر العيوب عيب تعدى، امتع الله تعالى شيخي بمحاسنه التي هي بيت المدح
ومقيله، وغرة الدهر وتحجيله، واطال بقاءه، وجعلني فداءه

وكتب الى ابي بكر النحوي اديب الجبل واصبهان

بذلت في حاجة الاديب مجهودي، واليه تنتهي غاية جودي، فان
اكن بلغت منها رضاه، فذلك الذي اريده واتحراه، وان تكن الاخرى
فالرمية قصرت عن الرمية، والسعي وقع دون مقتضى الامنية والنية
فانما الذنب لرسوله الذي زعم انه اكفى، وقال لي حسبك وكفى، فان الطبيب
يخرج من الدواء، مقدار مايشكى اليه من الداء، ذكر الاديب في كتابه ان
سوق الادب كاسدة وانما الكاسد ما اشترى بدون قيمته، وقرب بنجح تجارته
فاما ما لا يشترى ولا يكترى ولا يذكر ولا يسمى فقد تجاوز الكساد، وبار بل باد،
كتاب شيخي اذا ورد بخطه نظرت منه الى روضة البصر، والى نزهة الفكر

اود يب صدحه لا يرة القلب قبل الطرف وتنسمت منه ريحا تشمه الروح قبل الانف
وانى لاشتاق الى وروده على شوق المهجور الى الوصل والغائب الى الاهل
فاذا انقطع عنى وانقطع دونى ثكلت املى وفجعت بسرورى وجذلى
وغزى بعساكر الهم صدرى وخلا لها ظهرى وشيخى يتفضل فينظم
الطرق الى به ويكون شفيعى الى لسانه وقلبه ان شاء الله تعالى

وكتب الى ابى بكر بن شيمرد

لو علمت بخروج الشيخ لاخذت بحظى من حلاوة تشييعه ومرارة توديعه
وقمت بالواجب على من الاخذ بركابه ومن تسوية ثيابه على انى لو شيعته
لاصبحت مشيعا وصديقا وامسيت معه صاحبا ورفيقا ولما تركنى الشوق
ارجع عنه ولا خلانى اخلو منه وكنت اصير زيادة فى اشغاله بل زيادة فى
عياله فاذا انا قد طلبت الاحسان فاسأت وارتدت الصواب فاخطأت
ولقد تركنى الشيخ بجميل عشرته وكريم صحبته ابغض كل من احببته واباعد
كل من قاربته وكانه انما بعث الى ليفسد الاخوان على فقد ضيق خلقى
وان كان وسع رزقى وافسد فعالى وان كان اصلح احوالى ومن
العجب وجود الحر فى هذا الزمان الذى صار فيه اللؤم سنة متبعة و
اصبح الكرم بدعة مبتدعة ورخص الثناء حتى ما يبتاع وغلا السخاء
حتى ما يباع والكلام فى هذا الباب شرط بطين يستهلك الناس مع عزته
ويستفرغ الفراغ مع قلته وانى لاعتب على شكرى للشيخ وانسبه الى
النزارة وهو غزير والى الصغر وهو طويل عريض ولقد شكرته شكرا لو شكرت
الزمان به لاصبح لى شتاؤه ربيعا ووجد به خصيبا مريعا ومدحته مدحا لو
مدحت به الفلك لما دار الا بمرادى ولا تصرفت بوجه الاعلى اسعادى ولا
سعى الا فى مصالح معاشى ومعادى وليس يخلو شكرى لصنيعة سيدى
ان يكون دونها او فوقها او مثلها فان كان دونه فالظن بمثل الشيخ ان تكون
يده العليا على من عامله وصنيعته الراجحة على شكر من شكر له وان كان

فوقه فقد ربح على الشيخ فليرد لي الى رأس المال فان ربح الرؤساء على الشعراء من المحال وان كان مثله فقد خذ مني مثل ما اعطى واستأ داني كفاء ما ادى فليستأنف الآن براء استأنف شكراء وليجد دنعمة اجد دخدمة هذا ايد الله الشيخ مزاح حمل عليه بطر الغنى والشيخ هو الذي اغناني فليحتمل بطري وهذ ياني وكيف احاسب من نفسي بعض صنائعه الي وروحي بعض ودائعه لدي ومن افعاله الجميلة عندي نفني كل حساب وتملأ كل كتاب الشيخ صاحب الديوان رفعت اليه حاجتي فاستقبلني بوجه مانع فوليته قفا صبور قانع ليعلم ان الكريم الوف عرفه وصدوف عزوفه يشكر على اليسير وتلطف نفسه على الكثير نسخة الرسائل قد حملتها وما تساوي عندي ان تمتد الى احد او تحمل من بلد الى بلد ولكن الشيخ اشتهاها شهوة راكب الخيل لركوب الحمار والبغل وشهوة آكل الطبيخ لأكل الخل والبقل وتطرف بطلبتها تطرف الغني بلبس الوداري وهو غريق في الوشي العتابي وقاعد على الديباج الخسرواني ولعله اراد ان يضحك منها ندماءه و يتحف بها جلساءه فتكون بابا من ابواب الهزل او جنسا من اجناس النقل

وكتب الى الوزير بالحضرة

ما اقرب الاشياء حين يسوقها	قدر وابعدها اذا لم تقدر

كانت ايد الله الشيخ حاجتي في وعاء المطال وفي ضمان الايام والليال فاكسني فيها الزمان وارجف لي بها الاخوان قد خلق ثوب الرجاء لها حتى تمزق وتراجع حسن الظن بها حتى تمزق وطابت النفس عنها بيد الياس منها حتى دفعت زمامها الى الشيخ فانشطها من عقال المتعذر واقامها من صرعة التعسر وقضاها قضاء سبق الاقتضاء ونسخ باليقين الرجاء فكان غيثا سبق صيبه دعوة المستسقي وماء سيحا قد كفى مؤنة المستقي وانما كنت ايد الله تعالى الشيخ مجدا على الطريق مطروحا و بابا من ابواب المكارم مفتوحا لا الجد يحصل ولا الباب يدخل حتى كانت

يا الشيخ اول من جنى تلك الباكورة، واحتوى تلك المكرمة المذخورة، فالحمد لله الذي وفقه لحفظ ما ضيعوه، ورفع ما وضعوه، ولقد اشترى من الشكر بباعة قليلة الطلاب فياليت اللئيم يشم رائحة افعاله، او يلاحظ شخص خصاله، او يا ليت البخيل يحط من رزقه قيمة خلقه في سعته وضيقه، ويا ليت المخلف للوعد تصير المواعيد في رقبته، او حقائب على عاتقه، فلعلها اذا اثقلت ظهره ضيقت صدره، فلا يعود بعدها الى وعد يخلفه، وحر يسوفه

وليت رزق الناس مثل جودهم		ليعلموا انهم بئس الذي صنعوا	

تاخر ما رسم الشيخ حمله من الرسائل لاني اردت ان يحصل بخط لا يورث العين قذى ولا القلب اذى ولولا اني رابع الكتاب والشعراء بالباء لا بالياء لما احتجت لتلك النسخة الى هذا الاحتشاد، ولما سقتها الى كل هذا الارتياد، ولكني كابي الدمية لا يألو جهده في جودة كساها، وكثرة حلاها، يشتري لها المطوي والملوي ويكسوها الدبيقي والمروي ويتجاوز في جهازها الفضة الى الذهب والشعر الى القصب ثم هو مع هذا كله خائف عليها ان ترجع اليه مطرودة، وعليه مردودة، ولو كانت بنته حسناء لزفها ولو انها من الثياب عارية، ومن الجمال كاسية، ومن الحلي عاطلة خالية، ومن وجهها حالية لعلمه ان لها من نفسها شافعا لا ترد شفاعته، وبائعا لا تنقض بياعته، وبعد هذا كله فاني مقر على نفسي بالتقصير، ومستحق للوم الكثير، فان المحال اذا نصر زاد برداً، وان الخطاء اذا احتج له صار عمداً، فلان قد صحبته كتابي بالوصاية، وصنعت له ما يسعه رجاؤه وشكره من الرعاية وارجو ان الشيخ لا يلوم من جر اليه حمد الاحرار بزمامه، ووقف الثناء والاجر على مدرجة بره وانعامه، وانما انا دلال احرج لا الى الشكر، ومسمسار من سماسرة الثواب والاجر، ولما رايتها تين السلعتين مشتريا اصح من الشيخ عقداً ولا اجود نقداً جهزت اليه باعة البضاعة، ودللت عليه الباعة، والسلام

وكتب الى تلميذ له

انكنت اعزك الله تعالى لاترانا موضعا للزيارة، فنحن في موضع الاستزارة، وان كنت تعتقد انك قد ستوفيت ما كان لدينا، فسقط حقنا عنك وبقي حقك علينا فقد يزور الصحيح الطبيب بعد خروجه من دائه، واستغنائه عن دوائه، وقد تجتاز الوعية على باب الامير المعزول فتجمل له ولا تعيره عزله، ولولم تزرنا الا لترينا رجحانك كما طالما رأينا نقصانك لكان ذلك فعلا صائبا، وفي القياس واجبا،

وكتب الى حاكم نيسابور من اصفهان

وردت ايد الله تعالى الحاكم من الوزير على رجل يستطيل اليوم اذا بعدت عنه، ويستقصر الدهر اذا قربت منه، ابدع في اكرامي بدا ثم لو كانت كلمات لكانت امثالا، ولو كانت ابياتا لكانت افرادا، وكساني طرازا من الصيانة ضفت على ذيوله، ولاحت على صفحات احوالي غرره وحجوله، وخاطبني بكلام كانما خلق من خلقه حسنا ورقة، وكانما اقتطع من كلامه لطفا ودقة، ووعدني مواعيد في صحبة العدل والتوحيد، ورقاني في غاية تزلق رجل المنى وتقصر دونها همم الورى، وتجل خلقها الدرجات العلى، اردت مطالعة الحاكم بهذه البشرى، واتحافه بشرح حال هذه النعم الكبرى، ليعلم ان تلك الفترة كانت خيرة وغيرة، وان هذه العاقبة كانت دولة وكرة، وان الدهر اوفانا كيل المسرة، كما اوفانا كيل المضرة، وتحمل الينا من الخير، مقدار ما تحامل علينا في المكر، ومهد لنا ايام اليسر، عدد ما مد لنا من ايام العسر، فقد انصف وهو ظلوم، وتكرم وهو لئيم،

وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم

قد انتظرت من الشيخ ان يسبقني الى خطبة الوصل كما لم يزل سابقا الى غاية كل فضل، فابى كسله الا ان اسبقه اليها، واغلبه عليها، فابتدأته بالمكاتبة حين ضاق مسلك الصبر، وحين اتسع مجال النزع في الصدر، وحين رأيت الحظ يضيع بين هيبتي وتغافله، والرجع يذهب بين اشغاله وتشاغله، وقد بلغ الله

تعالى الشيخ رتبة لا يضعه معها ان يتواضع، ولا يزيد في ارتفاع قدره ان يترفع فليستد
نعمة الله تعالى عليه بان يرب مودات الاحرار او في ربابة، ويعمر ما بينهم وبينه او
في عمارة، وليعلم ان عليه زكاة للشرف اخراجها انمى للمال، وابقى للحال ومنعها
تحقيق للوفر، وتعريض لحوادث الدهر، وليزداخوانه على قدر زيادة الله تعالى
عنده فان العادة مطلوبة، والزيادة في النفوس محسوبة، زاده الله تعالى ما عنده
واطلع عليه سعده، واعلى جده، وجعل حاسده عبده. ورد فلان هذه الناحية فملأ
العيون جمالا، والقلوب كمالا، والاسماع مقالا، رغم الاعداء فضلا، والاولياء افضالا ونولا
ورأينا في قيصر رجلا بل رجالا، وعجبت من ملك كيف سمح بمفارقة هذا الشخص
النفيس لبابه، وخروجه من حيز اصحابه، ولقد ضيع منه ما لا يوزن به عوض ولا
يقوم مقامه عوض وقدرانه يصيب في كل زاوية من يبرّ في اقسام النجابة، ويجمع
بين الفروسية والكتابة، فاذا به على النقصان وهو ينتظر الزيادة واذا هو يلتزم
خراجا ويحسب انه يحصل الغلة واسأل الله تعالى ان يصلح حال تلك البقعة فاني
اراها تلفظ الرجال، وتنفى عن نفسها الكمال وان امرأ تعوّمنه الآباء والاجداد ويخالف
به تدبير الاطباء والهلاد، لحقيق بان لا تخشى فاتحته، ولا ترجى عاقبته

وكتب الى ابي سعيد رجاء بن الوليد الاصفهاني

وصل الى كتاب الشيخ وعققته، اذ لم اطر فرحا لما رأيته، ولم انطح الفلك فخرا وعجبا لما
فككته، ولقد استخفني الفرح به واشتغلت بلحظه عن حفظه وتصرفت من فصوله في
رياض سقتها الخواطر لا الغيوث المواطر، وطلعت على شمس البهاء لا شمس الضحى
لا بل روضة الخط احسن من روضة النبات لان روضة النبات مداس للخف
والحافر، وطريق للسابل والعابر، وتلحظها عين اللئام، وتدوسها ارجل
العامة والطغام، وهذه الروضة عن اكثر العيون مكنونة، وعن اكثر الايدي مصونة،
لا عرتع فيها الا ناظر خاص، ولا تمسها الا يد نبيل سوى، قال ديك الجن

لو كنت املك للرياض صيانة		يوما لما وطئ اللئام ترابها	

رايت الشيخ يرفعني في خطابه الى غاية تتقاصر عنها قيمتي، ولا تطمح نحوها همتي، فعلمت

انه يسلفني نعمة لا ادخل في غرامه، واصير وحد من جملة انعامه، وليكون قد تناولني بالبر من كل طرقه قولا وفعلا وجوهرا وعرضا ونسانا وبيانا والله تعالى يكافئه ويكفيه، ويبقيه ويقيه، ويريني فيه كما ارتجيه، ويعطيني ما احب له فيه،

وكتب الى الوزير ابي القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله تعالى

كتابي الى الوزير وانا على بعد الدار سالم في جملته، مستظهر على الايام بدولته، والحمد لله تعالى على سلامتي في سلامته، وصلى الله على سيدنا محمد وعترته اذا رأيت كتاب الوزير وقد ورد على غيري غرت عليه غيرة الفحل على الشول بل غيرة المرأة على البعل ولوددت ان لم يكاتب به غيري او من يشكره مثل شكري فاني مع استقصائي لنفسي في ذلك قد تعبت الورقين، بل اتعبت الكرام الكاتبين وابقيت للخواطر والالسن شغلا طويلا، وطرحت عليها عبئا ثقيلا ولقد كانت ايامي بحضرة الوزير قصارا، وكان ليلي بها نهارا، وساعاتي فيها اسحارا، كما ان ايام فراقه لجلد على وقع سهام الهجر واسع المجال في ميدان الصبر ولقد اصابت عين الزمان وفائي وسلبتني حسنتي وهي جزعي بفراق اصدقائي فاجرني الله تعالى على هذه المصيبة، ولا حرمني عليها جميل الاجر والمثوبة، لا يبعد الوزير وقد اشتريته باهل الدنيا، ولا يبعدني عنه، وقد قربني الحب منه ولا يبخل علي بكتبه، فعهدي به لا يبخل على بفضته ولا بذهبه ولياً نف من ان يكتب اسمه في جريدة البخلاء بعد ما صدرت به جرائد الاجواد والسمحاء ان شاء الله تعالى

وكتب الى ابي الحسن الحكمي

انا لامر سيدي الشيخ ممتثل ولقبلة مراده مستقبل ولكن فلان طرقني والشوق قائده، والحب سائقه، فليوفر الشيخ علينا يومنا فلا يقدر ان يضمن لنا غدا وليعلم انه من سلب اخاه ثوب الفرح، واقامه من بين يدي الطاس والقدح، فقد قطع عليه طريق السرور، وقام بازائه مقام حوادث الدهور، وقطاع الطريق على الناس اقل وزرا من قطاع طريق الطاس والكاس لان

الذی یأخذہ اولئك من المال قد یصاب منہ بدیل، و یوجد الی العوض منہ سبیل
والذی یاخذ ھؤلاء من العمر، ویقطعونہ من ایام الدھر، لا سبیل الی ارتجاعہ
ولا التئام لجراحة انقطاعہ، ھذا والضعف مولای والمضیف عبدہ
فھل یری الشیخ ان امنات علی مولای وان اخالف ھواہ بھوای و قد علم
ماجاء فی الاثر من ذم العبد اذا عصی مولاہ، وخرج الی سخطہ من رضاہ

وکتب الی تلمیذ لہ وقد ظھر علیہ الجدری

وصلنی خبر الجدری فنال منی وھیج حزنی وراع قلبی واسھر عینی وھذہ العلة
وان کانت موجعة، وفی رأی العین فظیعة مشنعة، فانھا الی السلامة اقرب
وطریقھا الی الحیاة اقصد لان عین الطبیب تقع علیھا، وید الممرض والمعالج
تصل الیھا، وانما ھی قرح نبھتہ الطبیعة ودم اثارتہ الحرارة وظاھر الداء اسلم
من باطنہ، وبارز الجرح اھون من کامنہ وھذہ بعد علة تعم الابدان وتشمل
الصبیان، واذا کانت العلة عامة کانت اکثر طبا ودواء، واخف علی القلوب عباء
لان النفس تستریح الی المشارکة وتأنس بالجماعة کما تستوحش من الوحدة ولعمری
انھا تورث سواد اللون، وتذھب من الوجہ بدیباجة الحسن، ولکن
ذلك یسیر فی جنب السلامة للروح اللطیفة، والنفس الشریفة وفی الشر خیار
ومن المحنة الی المنحة صروف ومقادیر واذا اخطأت سھام الایام جانبا،
واصابت جانبا، فقد سرت اکثر مما اساءت لان الحسنة فیھا تستبعد
وتستغرب والسیئة منھا تنتظر وترتقب ولست استطیع لك غیر الدعاء
ولا اکلم فی بابك الاطبیب الاطباء، ولا اصانعہ عنك الا بالثقة والرجاء لا
اسال الصحة الا من خلق علتك وارى لك ان تحسن ظنك بربك وتستغفرہ
من ذنبك وتجعل الصدقة شفیعك والیقین طبیبك وتعلم انہ لا داء ادواء
من اجل ولا دواء اشفى من مھل ولا فراش اوطأ من امل شفاك اللہ تعالی
وکفاك وسلمك وعافاك وبلغك رضاك وحسبك بہ طبیبا وکفاك

وکتب الی فقیہ من تلامذتہ

کتبت

كتبت اليك من حضرة الغرائب والرغائب وهي حضرة الوزير وانا متردد بين فائدتين من فعاله ومقاله، ورابع بين روضتين جاهه وماله والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين انتظرت كتابك فتأخر وطلبت له عذرا فاعوز، واخذت احتال صبرا عنك فاعجز، وعرضت معاملتك لي على الود بيننا فاباها، وقدمت افعالك معي الى القلب فما ارتضاها، فراجع رحمك الله تعالى ما طلقته من ودنا، واذكر او لنذكر ما نسيته او تناسيته من عهدنا، واعلم انك اذا انفقت اصدقاءك واحدا واحدا او شكت نفقتك ان تدعك مفلسا منهم، وخاليا عنهم، حملت اليك نسخة رسائل الوزير وهي كالحلقة لا يدرى اين طرفاها، وكالشمس لا يفضل ولا ها على اخراها كلها خيار، وكل حروفها اختيار، فاعرها من اذا استعارها منك قبل يديك واذا ردها عليك قبل رجليك، واعلم ان قدر هذا الكلام في الكلام كقدر صاحبه في الانام فلان قد نصب لنا الحبائل، واراد بنا الغوائل، ولقد قرع باب البلاء ووطئ ذنب الحية الصماء، وادخل يده جحر الاسود، وقعد ملك الموت بالمرصد، ونطح برأسه الجبل، واستبطأ الاجل، وطرد العافية عن باب داره، وانزل النحس في جواره، واستهدف سهام الحتف، ووطئ على حد السيف، فلا جرم اصبح نقل كل لسان، وضحكة كل انسان، وحملت امهاته سفاتج الى البلدان، واجلت غيرة جهله عن دمه وقد عرك، وعن ماء وجهه وقد سفك، وعن ستره وقد هتك، وهكذا يكون حال من عرض عرضه السقيم واصله اللئيم، لمكر العقلاء، وقول الفصحاء، والسنة الشعراء، واقلام البلغاء وليس وراء لسان تقرع به الآذان، ولا عرض يعارض به الاقران

وكتب الى الملك لما اصيب بابنه عن خوارزمشاه

كتبت وانا مقسم بين فرحة وترحة، ومرد بين محنة ومنحة، اشكو جليل الرزية، واشكر جزيل العطية، واسأل الله تعالى للامير الماضي الغفران والرحمة، وللامير السيد التأييد والنعمة، فان المصيبة بالماضي

وانكا ستستوعب الصبر فان الموهبة في ذلك تستنفد الشكر والحمد لله الذي كسر ثم جبر وسلب ثم وهب واسلى ثم اولى واخذ ثم اعطى كتب على المشرق خاصة بل على الدنيا كافة ان تطمس آثارها وتظلم اقطارها وتهب ريح الخراب عليها وتنظر عين الكمال اليها حتى ذبلت شجرة المملكة وهي ركن الملة وطرف ناظر الدولة وانثلم جانب الدعوة ثم استدرك الله تعالى برحمته خلقه ورد الى الامير حقه وقرت الدولة في قرارها وعادت النعمة الى نصابها وطلعت الشمس من مطلعها ووضعت الرياسة في موضعها فانا الآن بين شكاية الايام وشكرها وبين حرب الدهر وسلمه ابكي وانا ضاحك واضحك والباكي العين الا ان الضحك على الغلب والفرح الي من الغم اقرب لان المصيبة ماضية والنعمة باقية رحم الله تعالى الماضي رحمة تهون علينا مصرعه وتبرد له مضجعه وتضاعف حسناته وتمحو سيئاته واعان الامير على رعاية ما استرعاه والهمه شكر ما اعطاه وتولاه فيما ولاه ووالاه جزيل ما اولاه وايد بالهيبة سلطانه وثبت بالبقاء اركانه وحرس من الغير زمانه

وكتب الى ابي منصور ملك الصغانيان يعزيه في عمه ابي سعيد

كتابي الى الامير وقد ملك الجزع صبري وعزائي وجعل ناظري في سواد دمعي وبكائي والقلب دهش والبنان مرتعش وانا من البقاء في الدنيا مستوحش والجفن غرق والقلب محترق وما اجتمع قبله غرق وحرق للمصيبة التي ثلث عرش السلطان وطمست نور الزمان وجعلت الصبر سيئة والجزع حسنة والاسى سنة والاسا بدعة وحق لمن اصيب بمثل فلان ان يصاب بصبره وان يدفن معه الفرح في قبره وان يجعل يومه تاريخا لجدع انف الكرم وركود ريح الهمم وانكسار تاج العجم وانا تفكرت في عظم هذا النازل وارباته على سائر المصائب والنوازل انشدت

فما كان قيس هلكه هلك واحد		ولكنه بنيان قوم تهدما	

واذا تذكرت بقاء الامير وهو البقاء الذي لا وقع معه لخطب

وان كان مولما، ولاحظة بعده لمصاب وان كان مستعظما، انشدت

	اذا مقرم منا ذرا حد نابه		تخمط منا ناب آخر مقرم	

وان بيت الامير الماضي بسلفه، والامير الباقي يده الله تعالى خلفه، لبيت عظيم المصائب عظيم المواهب محنتهم اجل المحن، ومنة الله تعالى عليهم اكبر المنن، ولن يسقط عرش مثل الامير قائمته، ولا يخرب بيت هو بقيته اللهم ارحم الماضي فانك رحيم بالكرام، منعم على اهل الانعام، واحفظ الباقي من عين الكمال، فانها اكبر آفات الرجال، وانفذ سهام الايام والليال، واطل بقاءه فانه بقاء المجد، وادم عزه فانه عز الشكر والحمد، واجعل فداءه من لا يرضى بان يكون فداءه، ولا يفتخر بان يكون وجهه حذاءه،

وكتب الى ابي القاسم بن علي صاحب جيش الصغانيان

لم يزل يبلغني ما يرتفع على يد الامير من الفتوح التي تفتح لها ابواب السماء ويفوح منها روائح العز والسناء، في اولئك الاعداء الذين متعوا بشدة كلبهم، وقلة سلبهم، ومتاركة المسلمين قديما لهم، ورضاهم راسا براس منهم حتى لقد حقنت الدماء، وسكنت الدهماء، وامنت السبل، واجتمع الشمل ورجع النافر وعمر الغامر، واجتمعت الكلمة واتفقت البيضة واغمد السيف وركز الرمح وقرت الامور قرارها، ووضعت الحرب اوزارها، وهذا صنع لم يخص الله تعالى به اهل افق دون افق، ولا افرد بمزيته سكان غرب دون سكان شرق اذ كانت النعم فيه عمت كل من عرف الاسلام وفضله، وعادى الشرك واهله، لا زال الامير يرى كل يوم بسيفه فتحا يعظم به الخطب وتستبق فيه الكتب ولا زال الشرك من قتلاه، والنفاق من جرحاه، والفساد في الارض من اسراه، حتى تملأ فتوحه كل سامع وناظر، وتشغل كل كاتب وشاعر،

وكتب الى فقيه في تعهد مسجد

احق الاماكن بان يصان ولا يهان، واولاها بان ينحى عن مدرجة الاختلال

ويرنعوان تتنا ولمه يد الابتذال مكان بني ليجمع تحمل التعبد، ويضم لنشر التهجد، وترفع منه الحوائج الى من لا يضجر من السؤال ولا يتبرم بكثرة السؤال وهو الكبير المتعال فان صيانة هذا المكان صيانة الدين ورصيانة الاسلام والمسلمين وكبت الكفر والكافرين، وما ظنك بموضع هو بيت من بيوت الله، ومظنة لقراءة وحي الله، تصف فيه الاقدام بين يدي الله، وتميز فيه اولياء الله من اعداء الله، وهو من بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وهو مسكن من مساكن الابرار، ومجلس من مجالس الاخيار وحصن من حصون المسلمين على الكفار، وجسر بين الجنة والنار، دخوله عبادة والمقام به سعادة، والاعتكاف فيه سنة مستحسنة، لا يخترقه كافر ولا يقربه الا طاهر، من عمره عمر طريق الآخرة، ومن بناه بني له بيت في الجنة وبلغني ما انت فيه من بناء مسجد محلتك، ضاعف الله تعالى لك عليه ثوابك واكرم مآبك، ورضي عنك وتقبل منك، فتوسع رحمك الله نعم في نفقتك، فانما تعامل وتسلف كريما سخيا، ولا تحاسب نفسك على دخلك وخرجك فانك بصدد اضعاف ذلك من الثواب، وانما يوفى المحسن اجره بغير حساب وتذكر قول الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

وكتب الى ابي شجاع بن محمد كاتب ابن قراتكين

كتابي وقد وجدت فلانا لا يضر ولا ينفع، ولا يضع ولا يرفع، وانما هو مشط يقلبه خصي صلع، وان محال الشكاية فيه لرحب وان طريق المذمة عليه لسهل ولكني لا اقطع يدي بيدي ولا اضرب بعضي ببعضي ولا ارمي يسراي عن يمناي ولا اتباعد عمن قربني الاصل منه ولا اضربه بالسيف الذي طالما ضربت به عنه، ورأسي رأسي وان كان اصلع وانفي مني وان كان اجدع، واما فلان فان المشرق عاطل هو حليته، وعريان هو كسوته، وجماد هو روحه، واعزل هو سلاحه، واخرس هو لسانه، لا فجع الله به عيني ولا قلبي فان عيني بعده لا تقر، كما ان قلبي بعده لا يسر

وكتب الى رئيس نيسابور

ارجو ان الشيخ لا يلقي امري بيد الاغفال، ولا يسلك بحاجتي طريق المال، ولا يكلني الى غيره في حاجة كتبتها عليه، ووضعت عنانها بيديه فمن المحال ان استمد النهر، وانا جار البحر، وان احتاج الى النجم وانا اسري في ضوء البدر، وقد كان الشيخ في تلك الحالة الاولى اهمل حتى كأنه اهمل، وتغافل حتى كأنه غفل، ولست اشكو يومه لاني ارجو غده

وكتب الى علي بن كامه

كتابي الى الامير عن سلامة اسأل الله تعالى ان يديمها، لا توصل الى خدمته بها والحمد لله تعالى ونعمة الامير على النعمة المجملة المفصلة، الغراء المحجلة، التي ان سكت عن شكرها اعتنى اثرها علي، وان كتمتها افشاها دوني من رآها الدئ وانما انا غرس نعمته، وبنات راحته، نادمته وانا مقبل الشباب حدث الاتراب وها انا قد الجمني الكبر بلجامه، ولثمني البياض بلثامه، واذا عتقت المنادمة صارت سببا دانيا، وكانت رضاعا ثانيا، لا بل رضاع الخمر اقوى في حكم الفتوة سببا من رضاع الدر، لان رضاع اللبن معروف الامد منقطع المدد، ورضاع الشراب ربما دام الشهر والدهر، واستوعب المدة والعمر، ولان رضاع اللبن يحرم من طريق النكاح، وان كان يعقد قرابة ووصلة من طريق الولادة فهو يعطي من حيث يمنع، ويصل من حيث يقطع، ويبعد سببا، من حيث يقرب نسبا، ورضاع الشراب يصل من كل جوانبه، ويعقد حرمة من جميع مذاهبه، ولان رضاع اللبن يقع بين الاطفال الذين لا يتبينون احوالهم، ولا يعرفون ما عليهم ومالهم، ورضاع الشراب لا يقع الا بين الرجال الذين يعقلون كيف يصلون كيف يقطعون

اقر السلام على الامير وقل له	ان المنادمة الرضاع الثاني
ان المنادمة التي نادمتني	رفعت عناني فوق كل عنان

واقل ما فی هذه الحال ان اشکرها فعلا، من حیث اشکرها قولا، وهو ان ازور تلک الحضرة الجابلة کما تزار عظام المشاهد واعتکف فیها کما یعتکف فی المساجد فانها وان لم تکن مشهد حرم وصلوات، فانها معتکف عطایا وصلات، وان لم یکن صاحبها امام خلافة یرجی ثواب زیارته فی الاجل فانه امام سماحة ینال ثواب زیارته فی العاجل، ولکنی رجل قد طال ذیلی وازدحم شغلی، وقیدت السن رجلی، فلا اقل الآن من ان اوجه رسولی وهما قلبی ولسانی، علی ظهر مرکبی وهما قلمی وبنانی، وان انظم فی شکر نعمة الامیر قلائد لا السارق یسرقها، ولا النار تحرقها، ولا الماء یغرقها کل ناطق عندها ابکم، وکل شاعر بازائها مفحم، وسأبلغ من ذلک ما یقیم لی عذرا، ویصیر لی ولعقبی عدة وذخرا، ان شاء الله تعالی

وکتب الیه لما ولی قومس

کتبت والولایة التی شرفت بالامیر ولم یشرف بها، وتسببت له ولم یتسبب لها، وصغرت قیاسا الی شانه، من حیث کبرت قیاسا الی مقادیر اهل زمانه، قد بلغنی خبرها فجررت ذیلی فرحا، ورحت لا تحملنی اعواد سرجی مرحا، ووددت وشربت طربا علیه البحر المحیط قدحا، واین بالامیر عن افتراع المنابر وقیادة العساکر وهو من اهل بیت یحکم بالملک صغیرهم، ویثب علیه کبیرهم، تقربا سمائهم المنابر النافرة، وتسکن باعلامهم البلاد الشاغرة، لم یرضعوا الا ثدی ولایة، ولم یروا الا تحت رایة، ولم یغتذوا الا بلحم سیاسة ورئاسة، فلا زال یرقی ذروة رتبة بعد رتبة، ولا زال اسمه یفترع خطبة بکرا بعد خطبة ولا زال الملک سلیله ونتیجه، والعز صنیعته وخریجه، حتی یملک الاقالیم ویفترش السریر العظیم فیعطی القوس باریها، ویملک الزمامة من یلیق بها، ویحسن فیها

وکتب الی ابی طاهر وزیر ابی علی بن الیاس بکرمان

کتبت ولما اتصل بی خبر المصیبة لم املک من قلبی الا ما شغلته بها، ولا من عینی الا

ما بكيت بدلها، ونزل بي ما نزل بمن قارعه الزمان عن واحده ونازعه الموت في بعض نفسه ونزع عن يده الذخر الذي ادخره لصروف الزمان ورسلب السيف الذي لم يزل يعده للقاء الاقران ثم تجرعت، وعود الله تعالى بالصبر والعزم، ثم بالتسليم للقضاء، وقلت انا لله وانا اليه راجعون كما امرت، وانتظرت الصلاة والرحمة كما وعدت، ولقد كانت المصيبة بفلان جراحة لا دواء لها الا الصبر وخسرانا لا جبر له الا الاجر ولقد سلبته علقا من اعلاق الفضل لا يخاف من حصله غناء ولا يستعظم له ثمناء سهم المنايا بالذخائر مولع ولقد طلق من الدنيا عروسا غدارة، مكارة غرارة خداعة، طالما قتلت بعلها، وخانت اهلها، فها انا ايد الله تعالى الشيخ جريح يد الدهر ولا طبيب لمن جرحه، وسليب يد الموت ولا ضامن لمن اجترحه، وقد دفنت بيدي بيدي، وبكيت على عيني بعيني، وافردت في نفسي عن نفسي في الرزية بمثل فلان رزايا كما ان العطية كانت ببقائه عطايا ولكن لا كثير من المصائب مع التأدب بادب الله تعالى كما لا قليل من المواهب مع الايمان بالله تعالى رحم الله فلانا الجامع لمحاسن الآداب الشيخ حلما وان كان غض الشباب فلقد احتضر وهو فتي السن واختصر وهو رطب الغصن وكسوف البدر عند تمامه اوقع، وكسر العود عند اعتداله اوجع

	ان الفجيعة بالرياض نواضرا		لاشد منها بالرياض ذوابلا	

وكتب الى الحاجب الوزير ابي القاسم بن عباد حين ورد من خراسان وحمل اليه

حملت الى الخزانة عمرها الله تعالى ببقاء الحاجب كما عمر حالي ببقاء الصاحب شيئا من الطين الخراساني والشراب الخسرواني فليتفضل بقبوله فان الطين تراب لا يعد ومعا لا يؤد، على اني لو حملت اليه حياتي واهديت اليه صومي وصلاتي، وكتبت في صحيفته حياتي وقاسمته عمري وجعلت له حظي من سعود دهري ووضعت ذلك كله بين طبق من قلبي ومكبة من صدري ما كنت الا بالعجز موسوما وعلى التفريط ملوما، وانما جلبت هذا اليسير الحقير النزر الصغير من داره الصغرى الى داره الكبرى وحولته الى يده اليمنى من يده اليسرى فان رأى

الحاجب ان يتواضع بنا، ويخفض جناحه لنا، فعل ان شاء الله تعالى

وكتب الى ابى محمد العلوى

كتابى عن سلامة اسأل الله تعالى للسيد مثلها، بل لا ارضى له ضعفها
ووصل كتاب السيد المشحون لطفا وبرا، المفيد فخرا وذخرا، الموجب الحمد
لله شكرا، الذى كل حرف منه فائدة بل كل نكتة بل كل فقرة بل كل تصنيف
وخطبة تشغل بتخليدها الاقلام، ويحفظها الافهام، ذكر السيد فى كتابه
ان اهل اصفهان تزاحموا عليه، واستعاروا كتابى اليه، وذكروا انى اكتب
من اخذ قلما، ونثر كلما، وهذا باب ما قرعته، وشأن ما اتبعته، و
صناعة ما درت حولها، فان كان الاقبال ساق الى هذه الغريبة، والاتفاق
اعطانى هذه الرغيبة، فما ارد نعمة الله تعالى اذا صارت الى، ولا ادفع
فى نحو السعادة اذا طلعت على، ولا شك ان هذه ثمرة محبتى للعترة الطاهرة
صلوات الله تعالى عليهم اجمعين وقد كنت اذهب فى رد العدوى الى حكم
الخبر فى العدوى والهامة والصفر، والآن اتهمت من رواه وكذبت من حكاه
وتأولت ان السيد اعدانى بكتابته، واعطانى بعض براعته، يجمع اسمى مع اسمه
ويجعل فهمى جنيبة لفهمه، الحاجة التى استطات فيها السيد انما خرج
كلامى مخرج الادلال وليس بعجب تعصب الشيعى على الرافضى ولا تحكم الملحف
على السخى سمعت كلام فلان وبمثل ذلك الكلام يتسلى الاخرس على بكمه، ويفرح
الاصم بصممه، ولمثله رزق الصمت المحبة واعطى الانصاف لفضيلة ولكن
ماذا اقول فى معايب قوم هم جيرانى فى الدار، واخوانى فى النجار، وبيضتى التى
تفلقت عنى، وغيضتى التى التفت حولى، وبلدهم عشى الذى درجت فيه
بيتى الذى خرجت منه، فمحاسنهم الى منسوبة، ومساويهم على محسوبة

وهل انا الا من غزية ان غوت	غويت وان ترشد غزية ارشد

وبودى لو وجدت لهؤلاء القوم فى درج الفضل ادنى مرقاة ورايت لهم
فى مساعى السبق اقل مسعاة، فجعلت الخطوة ميلا، وادعيت القليل جليلا،

ولكن

ولكن دعاء الفضل من غير معونة نقيصة كما ان الاقرار بالنقص من حيث الاعتذار فضيلة والقتال عن العسكر المنهزم ضرب من المحال، وتعرض لسهام الآجال،

ولو ان قومي انطقتني رماحهم		نطقت ولكن الرماح اجرت	

على ان احمد الله تعالى اذ كان قائل ذلك الكلام في الاصول كالاسيا، وفي الفروع ناصبيا، ولو كان لمنطقه حظ من الطراوة والطلاوة، او برز كلامه في معرض من القبول والحلاوة، لصار شبكة من شباك الشبهة، وبابا من ابواب الضلال والفتنة، وحبالة من حبائل الشيطان، ورقية من رقى البهتان، ولفتح علينا باب فساد المذهب ويورث التعب والله تعالى الطف بالاسلام، وارحم للانام، من ان يعطي عدوه سلاحا يغلب به اولياءه، وينصر به اعداءه، ذكر السيد شهادة الوزير لي واعتداده بي وهذه نعمة طالما تدرعت جمالها، وتسربلت سربالها وجررت اذيالها، لازال الفضل ببقاء ذلك السيد ثابت المناكب، مقبل الجوانب، عامر الطرق بالجائي والذاهب، ولا سلب الله تعالى الزمان جماله بذكره، ولا العباد دنياهم بطول عمره، ولا زال جاهه مبذولا، وبابه مأهولا، وفضله مأمولا، وسيفه على اعداء الله تعالى مسلولا، وعدوه بحده مقتولا، ولا زال الشرق يفاخر به الغرب والعجم تفاخر به العرب بل لا زالت اصفهان تفاخر به البلاد، واهلها يباهون به العباد،

وهذا دعاء لو سكت كفيته		فاني سألت الله فيه وقد فعل	

ولم يبق الا ان يرزق عمرا يسع نعمته، ودهرا يساوي قيمته، فان هذا الزمان يضيق عن نفسه، وان كان يتسع لشخصه، وكان الله تعالى لم يخلقه الا ليعلم خلقه كيف يحيى ميت الكرم، وكيف يرد ذاهب الهمم وليلزم حجته من جحد احياء الموتى وقال بقدم الدهر والدنيا فان من قدر على ان يحيي ميت الخلق، قدر على ان يحيي ميت الخلق، وليكذب عبيد بن الابرص في قوله، وغائب الموت لا يؤوب، ولبيد بن ربيعة في قوله

ذهب الذين يعاش في اكنافهم		وبقيت في خلف كجلد الاجرب	

فقد راينا من يعيش في كنفه الاعداء، فكيف الاولياء، ويرد

وكتب الى قاضي القضاة

كتابي الى القاضي عن سلامة من الله تعالى بها بعد ليا س منها، وقربها بعد البعد عنها، واهلني لها اضعف ماكنت املاء، واسوأ ماكنت علاء، واقصى ماكان بيني وبين الله تعالى اثرا حين انحلت عقدة الرجاء، ولحظتني عين البلاء وامرضني طبيب الاطباء، وبعدت على مسافة الشفاء، وتقاصرت عن علاجي خطوة الدواء وافلست من العافية كما ايست من الحمى، وقربت من الآخرة كما بعدت من الدنيا، ووقفت على جسر قدامه الوفاة، وخلفه الحياة، ونظرت الى المنية عن عين كريه نظرها، حديد بصرها، وعرفني الايام ان ابن آدم ضعيف التركيب منقض الترتيب دواؤه داؤه وبقاؤه فناؤه، واعضاؤه اعداؤه كفاه موتا ان يبقى فيهرم، وحسبه داء ان يصح ويسقم، ثم اراد الله تعالى ان يرى عبده رحمته، بعد ما اراه قدرته، فاقامه من صرعته، واستلمه من مخالب علته، وازال عنه يد المنية بعد ما اشتبكت به، فله الحمد ربا عفوا غفورا، رحيما شكورا، يأخذ حكمة وعدلا، ويعفو رحمة وفضلا، ويمرض عبده ليعتبر، ويعافيه ليشكر، ثم لا يغلق عنه باب الدعاء، ولا يحسم مادة الرجاء، ولا يديم مدة البلاء، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد خاتم الانبياء، وعلى آله الطاهرين الازكياء، كان ورد على كتاب القاضي فاستظرته حرفا حرفا، وقبلته الفا الفا، وضممته الى الصدر والنحر، وسجدت له حين رأيته سجدة الشكر، وما اظن سبب تأخره كان عني الا شدة شوقي اليه وفرط حرصي عليه، فان الحرص شوم والحريص محروم، وهذه عادة الدهر معي وقديم صنعه بي فانه اذا علم الى احبابي اناطه بالعيوق، ووضعه موضع بيض الانوق، وابعده وهو غير بعيد وشدده وهو غير شديد، وانا بعد ليوم لا اقول الدهر ما اقترحه عليه، واطلبه لديه، فلعلي اخدعه عن طبعه، واحله عن سوء صنعه، ومن ذا يخادع الايام، او يغالط الحظوظ والاقسام، فلان

قد ولی قضاء كذا عرفنا الله تعالى بركته ولا يته، ولا جعل هذا الامر اقصى غايته وجعل ولايته منفعة، وعزله فراغا ودعة، ولا جعل شغله سخرة ولا فراغه عطلة آجرالله تعالى القاضي على المصيبة بفلان فلقد كنت بحياته قرير العين، شديد الركن، يؤنسني ان جمعت بيني وبين بقعة، ويسرني ان تضم اسمي الى اسمه صنيعة، وكنت اعده لي جناحا وسلاحا، وفي ظلمات الخطوب مصباحا وصباحا، فغصبني دهر لما غصب فلم يطالب وسلبنيه قدر لما سلب فلم يعاتب ولولا كراهتي الاعتراض على القضايا والتحكم على المنايا، لقلت أيموت فلان الفلاني ويعيش فلان الفلاني خطب منكر، وبدل اعور، وسبحان من له في كل قضية الطاف نعرفها، فنثبتها في فضله ونعمه، ونجهلها فنردها الى عدله وحكمته، فانما كان نجما من نجوم الادب هوى، اوغصنا من غصون العلم ذوى، فانا لله وانا اليه راجعون ثم انا لله ورحم الله المتوفى رحمة تغسل اوضاره، وتحط اوزاره، والحقه بالطيبين الطاهرين من آل يس، وفرق بينه وبين النواصب الضالين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولا زال القاضي يعزى عن احبابه، ولا يعزى عنه ولا به، ولا كان عليه طريق للنوائب، ولا على جنبته معبر للمصائب

وكتب الى قاضي سجستان حين نكبه اميرها

اذا ما الدهر جر على اناس	كلاكله اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا	سيلقى الشامتون كما لقينا

اما بعد ايد الله تعالى القاضي فانه لم يحسن الى غيره من اساء الى نفسه، ولم ينصر اصدقاءه، من خذل حوباءه، وانما يحب المرء اخاه بما فضل عن محبته لروحه التي له خيرها، وعليه ضيرها، وكانت محنة القاضي محنة شملت الانام، وخصت الكرام، ووجب على كل من اشتم روائح العقل، وميز بين النقصان والفضل، ان ينفطر لها الماء وان يبكي عندها دماء، وخلص الي من ذلك ما اضحك مني الاعداء، وابكى لي الاصدقاء، حتى رحمني من كان

يحسدني وحتى عجب من جزعي من كان يصبرني وحتى غضضت طرفا طالما
رفعته، وقبضت بنانا طالما بسطته، وحتى عزيت كما يعزى الثكلان، وسليت كما
يسلى اللهفان، وانا بعد ذلك استصغر فعل نفسي وهي جزعة هلعة
واستقل سح عيني وهي سخينة دمعة، وكان يجب على مقتضى هذه الجملة
واساس هذه البنية ان احضر مجلس القاضي فاصابره نهارا واساهره ليلا
وتكون المحنة بيني وبينه احملها عنه وبحملها عني ولكني علمت ان والينا هذا
رجل ينظر الى الذنب الخفي فيتعامى عن العذر الجلي وله اذنان واحدة يسمع
بها البلاغات وهي كاذبة، واخرى يصم بها عن المعاذير وهي صادقة وليس
بينه وبين العفو نسب ولا له الى التثبت طريق ولا مذهب ولو تعرضت
لسخطه، بعد ما عرفته من شططه، لتحملت دونه الوزر في ظلمي ولكنت
مقدمته الى ذمي ومن قعد تحت الريبة ركبته، ومن تعرض الظنة نالته،

ومن دعا الناس الى ذمه … رموه بالحق و بالباطل

واقل ما كان ينبعث من حضوري ان يثب هذا الجواد وثبة يصون القاضي
عنها، ويبتذلني لها، فاكون قد ضررت نفسي ولم انفع غيري فاذا بالمحنة قد
تضاعفت على القاضي ضعفين، وتكررت عليه كرتين، يرى بولي من وليائه، داء لا
يقدر على دوائه، ويرى وقودا لا يصل الى اطفائه، ويتبين في حاله متصلة بحاله
ثلمة لا يمكن سدها، ومحنة لا يستوي له ردها، فلما مثلت بين تخلفي آمنا، و
حضوري خائفا، عدلت بين طرفي الرؤية، ووزنت بين مقداري المحنة، فرأيت ان
اميل مع السلامة، واقنع من العمل بالنية، واغتفر عهدة التفصيل لصحة الجملة
فغبت وكلي غير جسمي شاهد، وتميزت وما انا الا مشاهد، وبعدت و
قلبي قريب وباينت وقلبي يهيم واغضيت على عين كلها قذى وانطويت على صدر
كله شجا، وانصرفت بقلب ساقط واض واغمضت بجفن ضاحك باك وقلت

فان تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه … ولا تسجنوا معروفه في القبائل

ولقد نسجت في ذم الظالم حللا لا يبليها الماء، ولا يجففها الهواء ولا
تغطي عليها الظلماء، والمغبون من احتقب الاثم والغارم من غرم العرض

والراجح من محنته فانية ومثوبته باقية ولو انصف الظالم لكان يجزع ولو انصف المظلوم لكان يهنئ جعل الله تعالى هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مدد ولا يوم لها غد وجعل العمل بها آخر عهد القاضي بالعسر وخاتمة لفاتحة لريب الدهر ولا اخرمن فيهم نزل به مثوبة الصابرين ولا اخلاه فيما بعده من مزيد الشاكرين برحمته

وكتب الى مسكويه وقد تزوجت امه

العاقل اعزك الله تعالى لا يرى المحنة اذا تخطت دينه محنة ولا يرى النعمة اذا تعلقت بذنب خطيئة نعمة ولا يعد الشرف الا بالتقوى ولا يرى الضعة الا ما وضع من رتبته فى الدار الاخرى وبلغنى ما اختارته الوالدة صانها الله تعالى فحمدت الله تعالى الذى رزقك والدا لا يلزمك حق ابوته وعداك اخا لا يحملك حمل اخوته وقد كنت اسأل الله تعالى ان يبارك لك فى حياتها و الآن اسأله ان يعجل لك بوفاتها . فان القبر اكرم صهر وان الموت استر ستره ولا تذهب نفسك حسرات على ما سبقك عليه الدهر وغلبك عليه الرزق فلا حمية فيما احل الله ولا مضايقة من حيث وسع الله وللانسان اباء والحمد لله الذى كان العقوق من جهتها ووقع الجفاء من جنبتها فانك بررتها صغيرا وبلغت مرادها كبيرا فاجتمع لك بران ووقع لك على الله اجران

وكتب الى صديق له على ديوان الخراج

الايام ايدك الله تعالى بينى وبينك ترجمة لى عن صحة وفائك وشهود عندى على صدق اخائك واقل حقوقك على يلزمنى ان لا اشغل لسانى بغير شكرك ولا قلبى الا بذكرك ولو تجاوزوا طبقات اهل مودتك فى ميدان الثقة وتنازعوا خصل الانس والثقة رجوت ان اكون سابقا لهم لسابق ولا يذكر معه لاحق وان تجلى الغاية منى عن محبة مرباة بالوفاء وعن شكر مرضع بالدعاء وقد بلغنى خبر سعيك لفلان فى العمل الذى هو دون قدره وان كان فوق اعمال عصره فشكرتك عنه وان كان شكرك

اوفى واملأ، وبايفائك حقك احق واولىٰ واردت ان اكل شكرك اليه، ولا اتطفل فيه عليه، فكرهت ان تطوى صحيفة الشكر ولم يجر لى فيها اسم، وان تختم جريدة المشاركة ولم يكن لى فيها قسم، فذكرتها وانت له اذكر وشكرتك عنه وهو لك منى اشكر، على انى ارغب بذلك الحر عن التلطخ باوضار الاعمال، فانها مزالق اقدام الرجال، وضنا به عن تخاليط الايام، وصيانة لمحله عن مدانسة الاوهام، ونعمتك عليه مقتسمة بينى وبينه، بل اكثرها لى دونه، فما ظنك بعارفة واحدة تكسبك شكرين وتستعبد لك حرين وجدير بمن هطلت عليه سحائب عنايتك، ورفرفت حوله اجنحة رعايتك، ان ينبو عنه سيف الزمان مفلولا، ويرجع عن ساحته عسكر الزمان مهزوما والله عز وجل اسأل ان لا يحرمك نعمة يهاديك بها عنق ودوده، ومنه تفقأ عنك عين حسوده اخبرت انك ايدك الله تحدث نفسك بزيارتى وانه ليسرنى ان اخطر ببالك، و يسوءنى ان اصير زيادة فى اشغالك ولا تجشم نفسك فان خيالك، فى كل ليلة نائب عنك عنك وان لم يكن فيه ولا فى الدنيا كلها عوض لى منك

وكتب الى ابى محمد العلوى

كتابى عن حضرة الوزير وانا راتع فى فضله، مستذر من الايام بظله، متعرف نعمة الله تعالى على به وقد كنت اشكو الى السيد ما منيت به من ضعف احتمالى لاعباء من الوزير على، وسوء مجاورتى لاحسانه الى وكنت اخشى ان اكون سببا لحرمانه غيرى من نزاع الآمال اليه، ووفود الشكر عليه، فيقدر ان كلا منهم بكفر النعمة كفرى، ويستروجه الصنيعة سترى والكفر مخبثة لنفس المنعم، فقصدت هذه الكرة لاقيم عذرى واقوم ببعض شكرى واحط عن رقبتى تلك الاعباء التى قد تحتها طليحا، لا بل فعدت نحوها طريحا، فما هو الا ان وردت حضرته حتى انثال على من عطاياه الغزار، ومن نعمه الغرائب والابكار، ما صير امسى ابغض يومى الى، ويوما اكرمهما على، حتى لم تبق زاوية من زوايا الافضال الا اجال لى فيها قدحا واجرى باسمى عليها سهما

ولولا ان بعض الشاكرين يسلف الشكر قبل ان يستحق عليه، ويتنحل البر قبل ان يسدى اليه، ويجعل ذلك استجلاب رزق، وايجاب حق، واقامة سوق لكنت لا اقتصر على هذا المقدار شكرا، ولا اضعافه عشرا، ولكنت لا ارجع عن هذا الميدان الواسع بمقدار هذا الطلق، ولا ارمي هذا الغرض البعيد بمثل هذا الرشق، بل كنت لا انصرف وفي الجفير نبل، ولا انقطع وفي القريحة فضل، ولا ارضى من نفسي الا بان اصبح محسورا وامسي مبهورا

فقد وجدت مكان القول ذا سعة ۔۔۔ فان وجدت لسانا قائلا فقل

وما ظن السيد برجل ليس لعطائه اسم غير الجزيل، ولا لفعاله نعت الا الجميل اول لقائه بشر، وآخره بر، ومقدمة فعاله الى زواره بشرى، وساقتها نعمى اكثر ما يكون نوالا، اشد ما يكون السائل سوالا، واكثر ما كان الطائف، اكثر ما كان الزائر الجافي، واسهل ما كان حجابا، واطلق ما كان وجها ازحم ما كان شغلا واضيق ما كان وقتا واخصب ما كان نوالا، اجدب ما كان

واعدل ما كان في القضية، واحكم ما كان بالسوية، اخصر ما كان المحكوم عليه وسيلة، وانفذ ما كان حيلة، واوسع ما كان نطاقا، اضيق ما كان الخطب خناقا واسبح ما كان حلما، اعظم ما كان الجاني جرما، واجرا ما كان مقدما، اهول ما كانت الحروب فخما، والعساكر عظما، واضحك ما كان سنا، اشد ما كان قلبه حزنا، واسمح ما كان بماله، لمن استفاد بحاله لا يصارف في عطائه، ولا يحاسب على آلائه، قد تكافأت اقسام فضله، وتناظرت محاسن قوله وفعله، فلم تشغله السخاء عن الشجاعة، ولا صرفه الحلم عن السياسة، ولا ثنى عنانه علم الحديث والاثر، عن علم الكلام والنظر، ولا قدح في هيبته، ما اشربته القلوب من محبته، ولا بخس الرئاسة حقها، من حيث وفى العشرة حظها، فهو القوي من غير عنف، واللين من غير ضعف، والشجاع الا انه سخي، والحافظ الا انه ذكي، والعفو الا انه غيور، والسلطان الا انه تقي، والسائس الا انه ريحي، يسكت حلما لا حصرا، وينطق علما لا هذرا، ويحلم كرما لا غفلة ويمنع نظرا لا تقتيرا ويقدم شجاعة لا خرقا

ويتوقف عن ما لا يجتنى كل حسنة من حسناته واقفة على حدها دونه تفريط ولا
وراءه افراط يخرج مكارمه في قصد الافعال ويزن افعاله في كفة الاعتدال

لا عيب فيه يعاب الا انني		امسي عليه من المنون شفيقا	

با عيبه انه في زمان لا يسعه، وفي عالم لا يستحقه، وبين قوم يفعل ولا
يقولون، ويحسن ولا يستحسنون، ويبصر ولا يستبصرون، ويرى
ولا يرون، ومنع واجب الاستحسان، قطع لمواد الاحسان، وتضييع
حقوق النعمة، داعية من دواعي النقمة، واقل ما عنده ان عطاياه قد صيرت
المفحم شاعرا وجعلت العفيف سائلا كالمنهل يقصر رشاؤه، ويعذب ماؤه
فيشرب منه العطشان نهلا، والريان عللا، وكالطعام يحسن في العين ويطيب
في البطن ويخف على القلب فيأكله الجائع تغذيا والشبعان تفكها والحمد لله
الذي راني بهذه الحضرة الاغنياء يعملون عمل الفقراء، والملوك يحترفون حرفة
الشعراء، وما رأيت حضرة الكريم منها داخلا راجيا، ولا خارجا راضيا
الا جمع فيها بين وجهين مختلفين من بلدين متباعدين قد فرق بينهما
الاصل والنسب وجمع بينهما القصد والطلب فوردا وهما اعرى من الحية
وصدرا وهما اكسى من الكعبة، ودخلا وهما اخلى من الراحة وخرجا وهما
اغنى من الشمس حتى لقد صارت مجمع الرجال ومثابة العطاء، وملقى
الرحال وموسم الشعراء وقرارة ينصب اليها العلم والادب وقبلة تهوي اليها العجم
والعرب وما فيهم الا من يود لو اصبحت جوارحه السنة تشكر، وقلوبا تحفظ وتذكر
هذا وفي شواهد حواله، ما يغني عن استماع اقواله، وشاهد العيان، اقوى
من شاهد البيان ودليل البصر، اوضح من دليل الخبر، وناوس كسرى امدح من شعر
زهير بن ابي سلمى ولو حجد واكذبهم العواقب ولو سكتوا اثنت عليه الحقائب جمع
طبقات اهل الفضل رجلان اما اليه ظاعن واما بحضرته قاطن، فالظاعن
يحمد القاطن والقاطن يستبطئ الظاعن فقد نفضت اليه البلاد رجالها
وبرزت له جمالها والقت له الارض فلاذ كبدها، وحسبك بالغلاء جالبا
وبالاحسان جاذبا ومن صادف ثمرة الغراب لم يفارقها ابدا، ومن جد الاحسان

فهو

قيدا تقيدا ، ولقد اصلحني هذا السيد بل افسدني وقربني الى الناس بل بعدني
لاني بعده لا استام الا العظيم ولا ارعى الا الجميم ولا استكرم الكريم ولا الوم اللئيم
لان الناس كلهم في عيني بعده لئام ، فكيف اعيب ما اجتمع عليه الانام ، ومن احمد
مراده ، وصادف من الماء والكلاء مراده ، لم يشرب الا من عفوه ، ولم ينل الا من صفوه
ولم يلق دلوه الا في جمه ، ولم يرتع الا بين غدير وروضة ، فها انا اصبح وامسي
بين السرور والجذل واتقلب بين العل والنهل ، واردد الطرف بين المخيل و
المخول ، قد استوفيت على الايام حواصلي وبقاياي ، وضممت على مطالبي
منها مناي وبغيتي ، واصبحوا اعدائي وهم بالحاجة الى اوليائي كما اصبح
اصدقائي وهم بالحسد لي اعدائي ، فلا طريق الى الفقر ، ولا منفذ في لسهام
الدهر ، والى الله تعالى المعذرة من لساني العيي وخاطري البكي وقد مأت
مجاورة هذه النعمة بكفرها ، وسودت وجه هذه العارفة بقلة شكرها ، وسوء
الشكر اول منازل الكفر ، وقلة النهي للنشر والاذاعة ، اول طبقات المجد
والاضاعة وقد رأيت بهذه الحضرة اقواما كنت شاهدتهم على باب سيف
الدولة ومنهل الصبا عذب وعود الشباب رطب وذكرت بهم مآرب هنالك و
ايام سلبتها سلبا ، ونزعت من يدي غصبا ، ودهرا كأني كنت اقطعه وثبا ، فلما
رأيتهم قد هاجروا الى هذه الحضرة ، وجعلوها من بين الدنيا هجرة ، علمت ان الكرم
يتوارث بين الكرام وانه انحدر الى اصفهان من الشام ، وان العلم والادب يتيمان
ليس عليهما غير وصي وان المروءة والسيادة ايمان ما لهما سواه ولي وان
المغرب لسيف الدولة رحمه الله ، والمشرق لحضرة الوزير ابقاه الله

	ارض مصرة وارض تتجهم		منها التي رزقت واخرى تحرم	
	واذا نظرت الى البلاد رأيتها		تثرى كما تثرى الرجال وتعدم	

فاما آل ابي طالب فانهم ينزلون منه على سيف للتشيع وسنانه ، وعلى
يد الحق ولسانه ، وما ضرهم مع حياته ان لا يعيشهم الا نشره ، وما ضرهم
مع عطائه الا ترد عليهم فدك وخيبر ، غيرة منه على الشرف ان
لا يصان عن الابتذال رحله ، وان لا يحفظ فيه وله اهل ذها بنفسه

عن اتباع الانام، وتقليد الايام، في اهانة الكرام، واكرام اللئام

ان الكريمة ينصر الكرم ابنها ... وابن اللئيمة للئام نصور

فلاجرم ان الايام تتطفل عليه من السعود بما لم يقترحه عليها، وتخرج له من خبايا الصنع الجميل ما لا يقدره لديها، لما رأته يخرج زكاة نعم الله تعالى عليه ويستظهر باحراز ودائع الله تعالى لديه فعنده في كل يوم نعمة تصغر النعم، وتتعب في اداء شكرها اليد والفم

ومابلغت ايامنا منه رتبة ... نراها رضا في قدره المتجدد

وقد علم السيد انه ليس من فرق الاسلام فرقة الا وقد هبت لاهلها رويحة ودالت لها دولة كما اتفق المختار بن ابي عبيد الكيسانية، ويزيد بن الوليد الغيلانية، وابراهيم بن عبيد الله الزيدية والمأمون لساير الشيعة والمعتصم والواثق المعتزلة والمتوكل للنواصب والحشوية وما بلغنا ان احداً من اصحاب تلك الدول زاد في عدد تلك النحل، ولقد قتل المختار اهل الكوفة وبعث كتبه ورسله الى اهل البصرة فما قدر ان يزيد جمجمة واحدة في جماجم الشيعة ولقد دفع المعتصم سوطه ووضع سيفه وصلب وصادر وسلب ووعد واوعد فنبا عنه الدهر بحاجته، وقامت العوائق عليه في وجه بغيته، وهذا الرجل لم يزل يستدعي بقوله وفعله ويستعين على عمارة المذهب بجاهه وماله، ويجرد لسانه والسيف مغمد، ويغمد لسانه والسيف مجرد، حتى اذا علم الله صدق نيته، ومضاء عزيمته، ورآه لا يريد الا رضاه، ولا يسلك الا طريق هداه، جمع عليه القلوب المتعادية، والف له الاهواء المتباينة فدخل الجميع دين الله افواجاً، وتقاطروا على استجابة الدعوة فرادى وازواجا فلم يبق في نواحي سلطانه احد من النواصب الا وقد غاصت عليه الرحمة وخلصت له الدعوة فهو مبتدئ بالدرس قد نبغ، او متوجه في العلم قد بلغ، وان احدهم ليدخل في الحق تحسناً، فيجد بركة الدين حتى يعتقده تديناً، والناس بالزمان والزمان بالسلطان، واذا اراد الله امراً كان، وما اقرب البعيد اذا صادف سبباً، ووافق دعاء مستجاباً، وما اسهل

الصعب

الصعب ذا حضرة النسد بذ واكتنفته العصمة والتأييد وان رجلا يحيل طباع الزمان وينقض بنية البلدان ويفطم الناس عن عادة المنشا والف الاخوان والآباء ويصير حدا بين النار والجنة وبرزخا بين البدعة والسنة لعظيم حجم الهمة واسع ذرع البسطة بعيد مضرب العزم والنية ثابت مناكب الحول القوة سالك في طريقة لم يسلكها من قبله ولن يسلكها من بعده وشتان بين من يصطاد وحش الفلا وبين من يصطاد قلوب الورى وما ابعد ما بين من يبني البنيان ومن يبني المقالات والاديان واين من يعمر الرساتيق والامصار من يعمر الجنة ويخرب النار لا بل اين من يفترع عذارى الجواري من يفترع عذارى المعالي ولكن كل قوم على مقادير هم يدركون وكل حزب بما لديهم فرحون هذه ايد الله السيد شهادة ما اقمتها حتى اعددت لتعديلي فيها مزكيين وهما السويد والكرم ونصبت لقبولها مني قاضيين وهما النعم والنقم وكتبت بها سجلا حررته بيد الصدق وطبعته بخاتم الحق وحضرته من توفيق الله تعالى اذن تسمع وعين ترى فمن رضي بقولي فانما مدح نفسه وزكى حسه واشرف من الحق من قبله واحسن من الحسن من فعله ومن غضب فلا ارضاه الله فانما سخط من الحق ما يرضاه الله وباب الاحسان مفتوح فمن شاء دخله وحمى الجميل مباح فمن اشتهى فعله وليس على المكارم حجاب ولا يغلق دونها باب

اذا اعجبتك خصال امرئ	فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس على المجد من حاجب	اذا جئته زائرا يحجبك

وكتب الى تلميذ له وقد استعار نسخة رسائله لينسخها فتمادى

انت مشغول بنسخ ما استعرته من الرسائل ولا يسع القلب الواحد لكل هذه الشواغل وغيرك من اصحابنا حريص على نسخها ولو كان القلم يمينه والقرطاس جبينه والثمن دنياه ودينه فاعرهم اعزك الله تعالى فالى ان تتفرغ لها قد فرغ غيرك منها وحصل اليوم شكر المعير وغدا فائدة المستعير فاذا انت قد افدت واستفدت وابدأت في الربح

واعدن ؛ واجعل تعجيل ردها الينا كفارة لما جنيته من حبسها علينا

وكتب الى خوارزمشاه

بعد ما كان الامير يسمني من تقريبه لي وتحفيه بي سمة طار في الناس ذكرها وفاح بين العالم نشرها ، وتوجهت الى المطالب وقصدني الراغب والراهب ؛ و صرت مثابة من مثابات الوسائل وصار بابي سوقا من اسواق الحاجات والمسائل نزغ بيننا الشيطان ودب الينا الحدثان ؛ وكسدت عند الامير تلك السوق التي لم اشكره في نفاقها ، ولم اعاتبه على كسادها ؛ والامير بكرمه يقيم لي في الظاهر رسم الانعام ، ويعظم قدر توفره على تعيبي من الاعظام والناس يحسبون ان حظي من قلبه ، حظي من ظاهر قربه ؛ وان محلي من ضميره في المحبة ، كفاء محلي من ظاهره في الرتبة ؛ فلست اعدم كل يوم مستشفعا بي اليه ، ولا يعلم هواني عليه ؛ ومستعينا بجاهي عنده ؛ ولا يشعر اني اقوى اسباب الخيبة له ؛ فان رددتهم ظنوا بي الظنون ، ولاموني وهم لا يعلمون ، وان اجبتهم ، ظلمت الامير وظلمتهم ؛ اما ظلمي للامير فتعريضه لرد الرسائل ؛ واقامته مقام المانع الباخل ؛ واما ظلمي لهم فبيعي المغشوش منهم ؛ وتشرفي بالبسر عندي عليهم ؛ واني لابغض الظلم من نوع فكيف من نوعين ، واكره ان اكون مسيئا الى واحد فكيف الى اثنين وحاجتي الى الامير ان ينزلني من لقائه وبشره ، منزلتي من مكنون صدره وان يسمني مع ابعادي عنه ، كما يسمني بتقريبي منه ؛ وان يجعل هذه الاخرى سبيلا لسلامتي كما جعل تلك الاولى سببا لغنيمتي فاني شاكره على هذا الجفاء ، كما شكرته على ذلك البر والاحتفاء ، فان كل اللسان او تعذر على خاطري الاحسان سرقت من كلام الامير ثم رددته عليه فاكون قد بعت منه بزه و اهديت اليه مسكه واضيعي الاعليه في مقالتي كما طالما كنت عيالا عليه في ماله

وكتب الى كاتب صاحب الجيش جوابا عن رسالة مدحه وعاتبه فيها

٢١ / فهمي

نعمت كتابك الذى هو اشرف كتاب الىّ، قد رصع باظرف عتاب علىّ وما كان
احوجك الى ان تجعل كلامك بمائه، وتحلى ظرفك الناصع بمائه، فلا تشوبه
بالعتاب ولا تكدره بمر الخطاب فتكون قد اذقتنا بصمتك، وعاقبتنا بعفوك
فكفاك سلا حالك قراع الحلم دونك فلربما بلغ الاحسان من العقوبة مالا
تبلغه الاساءة، ودخلت المسرة مداخل تنبو عنها المساءة، على انى ما اجهل
منفعة العتاب ولا انكر موافقة بين الاحباب ولا اشك فى انه يطرى خلق الود
ويجلو غبرة العهد، ويداوى دواء القلوب ويترجم عن خفيات الغيوب
وانه الانموذج بين الاولياء والاعداء، والجسر بين المدح والهجاء، و
المصلح للعشرة الفاسدة والمقرب بين الديار المتباعدة، ولهذا اشتقت لفظة
العتبى وهى الرجوع الى الرضا ولكن اذا كان مصدره عن شكاية ومنبعه
عن جناية، ووقع عن فترة فى الود عرضت، او ثلمة فى الانصاف حدثت
جمع الشمل وجدد الوصل وصقل ما صدئ من العشرة، وازال ما
وقع من الفترة، واذا كان مصدره عن تجرم وتجن كان مفتاحا لباب
العربدة، ومكدرا لصفو المودة، وترجمانا عن لسان القطيعة وانما هو
دواء اذا لم يصادف داء استحال داء، واذا صادفه كان شفاء. وقد كانت هذه
الواحدة منك فلتة وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها قابلناه بسم القطيعة وهو اشد
الحتوف وضربناه بسيف الهجر وهو امضى السيوف ولولا انى لا استجيز
مقابلتك ولا ادعى معارضتك لزعمت انك الظالم المتظلم والمجرم المتجرم وانك
الما عرفت جرمك، وتذكرت ظلمك وعلمت ما وجب عليك من العتاب الذى
هو ابلغ العقاب ورأيت انك قد ارتكبت من القطيعة جريرة قد احلت عرضك
الالسنة الواقعة فيك واهدفت جانبك للظنون المظنونة بك اخذت اخاك
قبل ان ياخذك وشكوته قبل ان يشكوك وبرزت هاربا فى زى طالب وخرجت جانيا
فى معرض عاتب وتكلمت بجراة المنصف وتحتها جور الظالم، واذلت بحجة البرئ
وانت عين الجارم، حتى لقد كدت ان تشككنى فى نفسى وتغلبنى على علمى
وتجعل الوهم سلطانا على فهمى لولا يقينى بباطلك ومعرفتى ان الاساءة فى شقك

والله تعالى المستعان على صديق نحن منه بين ثنتين اذا صارمنا اذاقنا مرارة صده، وساءنا بشاعة فقده، وصفرت بيننا وبينه وطاب اللقاء، واقفرت بيننا وبينه معاهد الاخاء، ودبت لنا وله عقارب القطيعة، وهبت علينا وعليه رياح الجفوة الفجيعة، واذا صالحنا نسب الينا المظالم، وتجرم علينا الجرائم وعلى ذلك فصلحه احب الينا من حربه، وبعده اثقل علينا من قربه

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا — على ان قرب الدار خير من البعد

ذكرت انك متى تجرمني بين وصل واعراض، ومرتبك من عشرتي بين انبساط وانقباض ولقد صدقت في الاولى ولا اقول كذبت في الاخرى سقى الله ايامنا التي عاشرتنا فيها عشرة قصرت عن تناولها يد الدهر، وطرفت عن ملاحظتها عين القطيعة والهجر، وجلت عن ان تنالها انياب السعاة ونبت عن ان تمضي فيها معاول الوشاة حتى لقد دخلنا من الانس مداخل لا تطردها الحشمة، ونلنا من الوصل مراتب البين والغيبة، حتى اذا امنت عليك الدهر الذى لا يؤمن وائتمنت عليك العيش الذى لا يؤتمن خالفتنى الى الود فهدمت منه ما بنيته، وسبقتني الى الوصل فعوجت من اطرافه ما سويته، وابرزت مصون الوفاء للعذر، ووضعت ربقة الاخوة في يد الدهر، وسلطت على ما زرعته يد الوفاء، حاصدا من الجفاء، و ذكرت بعد هذا كله انى استأذنك في الهجران والصد، وتلهيتك في الوفاء وحسن العهد، وانك عرفتني ثم انكرتني، واستلنت مسى ثم استوعرتني وهذه دعوى قد سلمت اولها، وانكرت آخرها، وانا فيما عرفته لك ولست فيما انكرته عليك فان العمر اقصر مدة، والزمان اصغر مسافة من ان اخترمهما معك بالعتب والعتاب واستهلك نفسي منهما ومنك من تكليف الابتداء واقتضاء الجواب فان المودة اذا كانت لا تنبعث الا بالاستبطاء، ولا يمشي امرها الا بالعتب والاشتكاء، كانت كالعلق النفيس يحتوي غصبا، ويؤخذ سلبا، وكان المطالب فيها كالمصادر على قلبه، وكالمستنزل كرها عن حبه، وانا بعد هذا ابرأ اليك من عهدة

خاطرى

خاطری العليل، ولسانی الكليل، وكيف ينبعثان لی فی عتابك وهما مقصران فی مدحك، وكيف يسرعان فی حربك وهما بطيئان فی صلحك، هذا وطريق مدحك نهج قصد وطريق عتابك وعث وعر وجانب صلحك مورق مشرق، وجانب حربك مهول غلق، وانی لآخذ القلم لاكتب بعتابك فيتشظی علی، و يسقط من يدی، وكيف تساعدنی بنانی، علی ما يخالفنی فيه جنانی، وكيف يطيعنی بعضی فيما يعصينی فيه كلی ولو كنت احمد بن يوسف فی البلاغة، وعبد الحميد بن يحيی فی اتساع الكتابة، وجعفر بن يحيی فی الاختصار وابا الربيع فی التوسع والاكثار، وابا العيناء فی المعارضة وابا العتاهية فی البديهة وابن المعتز فی التشبيهات، وابانواس فی الخمريات والطرديات والعتابی فی المعاتبات، والنابغة فی الاعتذارات، وصريع الغوانی فی الاستعارات والفرزدق فی الفخريات، وجريرا فی المهاجاة وغلبت فی المخاطبة صعصعة بن صوحان، وتقعت فی الفصاحة خالد بن صفوان، ونطقت بيتيمة ابن المقفع مرتجلا واتيت بعجوز آل رقبة مبتدعا وبعذرا، آل خارجة مقتضيا وضرب بی المثل فی المقامات لابسحبان وائل وبوهو بری انعی عندی لاباقل، وحفظت حفظ الشعبی وحاضرت محاضرة ابن القرية النمری وابدعت ابداع ابی تمام الطائی ووعظت عظة الحسن البصری وجاولت جدل النظام فی الكلام وصنفت تصنيف الجاحظ فی الجد والهزل واربيت علی اياس بن معاوية فی الذهن والعقل وبهرجت الاصمعی رواية، وزيفت اباعبيدة حفظا ودراية، وعلمت امير المؤمنين عليه السلام الحلال والحرام، ولقنت شريحا القضاء والاحكام وصرت الذی زاده الله بسطة فی العلم والجسم، ووفقت توفيق سليمان فی الحكم، واخذ عنی بطليموس علم الهيئة وادسطاطاليس علم الفلسفة وبلنياس باب الطلسم والحيلة وقرأ علی سيبويه نحو البصريين، والفراء نحو الكوفيين واختلفت الی الهند فی تعليم الحساب ودرس علی ابو عثمان المازنی علم التصريف و الاعراب واقتبس منی الخليل عروض الشعر، وكان هاروت وماروت

تلميذى فى السحر وضرب على قالب خطى خط ابن مقلة وتوارث الكتابة اهل بيتى كما توارثها بنو ثوابة وامليت على ابن الكلبى شجرة النسب وعلى ابى عمرو بن العلاء ايام العرب واوتيت الحكمة وفصل الخطاب وكنت الذى عنده علم من الكتاب وعادت فى الراسخين فى العلم عداً، وقال لى موسى هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا، ثم حملت بعد هذا كله على ان يمضى بى فى عتاب الاخوان لسانى او يجرى فيه بنانى لقصر عن ذلك عنانى ولا رتبك فيه عقلى وبيانى ولعيبت والحو معى وانقطعت والحجة لى وما اعتذر الى احد من عيبين بليت بهما، وخلقين ركبت منهما، جبنى عن الاصدقاء وجرأتى على الاعداء، ورأيتك ايدك الله تعالى قد تواضعت لى فيما تجليبة من الفضل لك لو صح لى الكنت فيه جنيبتك وسلكت فيه طريقتك، وانت بحمد الله تحسن ان تأخذ ما فوقك مما تحتك وان تمدح نفسك بما تمدح به غيرك وان تتواضع وانت ترتفع، من حيث يرتفع غيرك وهو يتضع، وان يخصك فى المراتب الكبرى من خص غيرك الكبر، ولست اقول انك صادق فادعى نفسى فضلا، ولا انك كاذب فانا قضلك قولا، ولكنى اضرب بيننا قول الاول

وعين الرضى عن كل عيب كليلة	ولكن عين السخط تبدى المعايبا

ولولا انى اكره ان ننسب جميعا الى التقارض فى الثناء وان نقعد تحت قولهم من ضيق الصدر صرعة الجزاء لوصفتك ببعض ما فيك من المحاسن التى انت فيها عريق صريح وغيرك فيها دخيل دعى وانت لها نسيب قريب وغيرك عنها اجنبى بعيد وبعد فانا والله معتد للايام بنصيبى منك متحمل لها شكر العارف فيك منافس فى نعم الله تعالى على بك لا افتح عينى على احب منك الى ولا اضم جناحى على اعز منك على واقول انك كنا بالا يهون على ما قبله . ويزهدنى فيما بعده

وكتب الى رئيس دامغان

انا اغار لما بينى وبينك ايدك الله تعالى من فضل التملق، ومن عشق

الشوق

التشوق، واقشر لك عصا العتاب وانتزع لك بخشونة الجواب اذ كانت الحال بيننا مبنية على اساس الصدق ومصونة بحمد الله تعالى عن شوائب المذق و ليس بعد العتاب الا التقدم الى الصلة او النكوص الى القطيعة، وانما هو جسر عن يمينه العتبى والرجعى وعن يساره النوى والشكوى فلا تفتح من التجوز بابا اغلقته يد الوفاء، ولا تبح من المحافظ جانبا حمته قضية الود والاخاء، ولا يحتج في الباطل بحجج هي اضعف من قلب العاشق، واوهى من دين المنافق، وارق من امانة الفاسق، واعلم ان كلام من ينصر الباطل لا يولد الا مخدجا، ولسانه لا يكون الا ملجلجا، واقصر ما يكون بنانه، اذا طال لسانه، وانزر ما تجده عقلا، اغزر ما تجده قولا، فان الباطل يصغر من حيث يكبر، ويقل من حيث يكثر، وليس طلاقة اللسان بغير الحق الا اذى للسامع وحجة على القائل، وسلاحا لكل جاهل، وجناية على كل عاقل، وكل قليل سد ثلمة الحاجة فهو كثير، وكل كثير وقع دون الكفاية فهو قليل يسير، وشبكة المحال اوهى من ان يتشبث بها رجل محق، وكيد الباطل اضعف من ان ينفذ في حق، وحسب الكاذب بفعله شتما، وبقلبه خصما، وبالسكوت عنه ذما، وقد خرقت فيك حجاب المجاملة ولبست لك ثوب المكاشفة فان ادبك نسالك فمؤدب الحر العاقل اخوانه، ومرآته زمانه، وسوط الفرس الجواد عنانه وان ابيت فانا باخع نفسي على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا

وكتب الى خوارزم شاه

كتبت الى صاحبي بتلك الناحية يعرفني انتشار رجالي بها، وتمرد شوكاتي فيها، وما كنت اظن بقعة يجوز فيها للامير ختم، او ينفذ له فيها حكم، تعلو بها للباطل راية او يكون بها للظلم على العدل ولاية، ومن العجائب ان اكتسب الذم في بقاع لم انبت فيها، ولم اخرج منها،

ثم يؤخذ مني في عشي الذي فيه درجت، وبيتي الذي منه خرجت وان احمله فاقتلع به لجج البحار، وفيافي القفار، ويسقط مني على باب الدار، هذا وقد علم الايوان والكرسي رحمهما الله تعالى خلف على ما لو خلفه على اهل بلد لكفاهم، ولو فرقه على فقراء الدنيا لاغناهم، فما زالت صروف الدهر بخوارزم تقاتلني جهراء وتخاتلني سراء حتى خرجت منها اعرى من حية بعد ما كنت اكسى من بصلة وافقر من الحجر بعد ما كنت اغنى من الكعبة واعطل من الحرم بعد ما كنت احلى من الشمس قد كسرت كسر الجوز، وقشرت قشر اللوز، وجرى على في مسقط راسي ومجمع اسرتي ومقطع سرتي من العزم الثقيل ما كان من الثقل ثقل، ومن الذل الطويل ما كان من الطول طول، ومر على راسي ما لو مر على راس الشاب لشاب، ولو نزل بالحديد لذاب على اني حيثما كنت تاج على خوارزم معقود، وشرف لها معدود، ومشهد فيها مشهود، ومقام من مقاماتها محمود، وكل من رآني مدح بلدا كنت من اهله، وفدى والدا انا من نسله، وعهدي بمثلي يغنم، فصرت اليوم اغنم فسبحان من جعل القصر المشيد بئرا معطلة وجعل الغانم غنيمة وسير السالب سلبا وحول الراكب مركبا وادار الفلك فيما يدل على اضطرابه، ويترجم عن خرقه وانقلابه، ومثلي ايدك الله تعالى اذا ابتذل استوحش، واذا استوحش اوحش، ومن وطئ العقرب اوجعته وان اوجعها، ولسعته وان لذعها، ومن فل السيف براسه انكسر منه اكثر مما كسر، وخسر اكثر مما خسر، وان من باعني لقليل البصيرة بالبيع والشراء ردئ المعرفة بابواب الاخذ والعطاء مستريح مما تعبت له نفوس الكرماء، نائم عما لم تزل تسهر له عيون العقلاء والسلام

وكتب الى ابي سعيد احمد بن شبيب لما شارف نيسابور

مرحبا بالقمر الطا	لع في جنح الظلام	مرحبا بالاسد الور	د وبالجيش اللهام
مرحبا بابن شبيب	وايادية الجسام	مرحبا بالرجل الاو	حد من بين الانام

موجبا بالكاتب المجزء لو بالحبر الهمام	قد نجونا منك يا بيسن نو دع بسلام

سبقني يد الله صاحب الجيش فلم املك عنانه، وجمح بي خاطري فلم اضبط زمامه، فكتبت هذه الابيات وجلتني يد الطرب وتماسكي في قبضة العجب والعجب وخرجت من ربقة الوحشة، وهي شبكة الغم والدهشة، حتى لاحت لي رايات اللقاء، وفاحت روائح الالتقاء، وعلمت اني قد رزقت على الدهر دولة واعطيت على الغم كرة وورد البشارة التي جعلتها تاريخ احسان الدهر، وغرة وجه العمر، وترياق القلب والصدر، وعلمت ان الله تعالى لم ييسر هذه القدمة، ولم ينلني هذه العزمة الا وقد اراد بي خيرا، واعتمد لي احسانا وبرا، وقد ان يثلج صدري ويشد بما ازري، ويقوى ظهري، وينصف لي من دهري، ويهزم عساكر الزمان عني ويفرق شمل الحدثان دوني، ويرزقني النظر الى وجه من صنعني واخرجني واصطنعني فتعلمت الترسل من نثره، واصبحت شاعرا برواية شعره، ووطئت بساط الملوك بعنايته اولا، ووضعتهم الكاس بجميل نظره ثانيا هذا من فاق آثاره لدي، ومنسي صنائعه الي وانما ذكرت قلا من كثر واشرت بلمحة الى بدر، فالآن حين اجر ذيل القوم، واتسربل الجذل والمرح، وارى اهل نيسابور خاصة، واهل المشرق عامة، ان خوارزم بيت الرجال ومعدن الكمال ومنبت الفضل والافضال وان في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا، وان البقاع متساهمة في الفضل ومتفاوتة بمقادير الاهل ووددت ان صاحب الجيش يركب النجم السيار، ويمتطي الفلك الدوار، ويطوي المنازل طي الرداء، ويصل الغداة بالعشاء، بل وددت ان الريح تحمله، او ان البراق ينقله، وان الخضر يصحبه خليلا، وسليمان بن داود عليهما السلام يرافقه زميلا، ليصغر حجم الانتظار، وتقل مدة بعد الدار

ولا اعتد في الدنيا بيوم	يمر ولا اراك ولا تراني

وها انا يد الله تعالى صاحب الجيش سيف طرير، ولسان شهير، ولسان على الاعداء مسلول، وسلاح على حساد النعمة مصقول، اذا

ورأيته أبده الله تعالى لزمت بابه، وصحبت ركابه، وكنت بوابه، وقد علمت من سألني عن صاحب الجيش أنه رجل طلع به النجم مرة ودار به الفلك فلتة وولدته أم غلطة وسعد به الزمان خلسة، فهو في الرجال علم وفي الكمال عالم وفي الزمان وأهله غريبة، وبين الدنيا وبنيها يتيمة، وقد كنت سألت صاحب الجيش حاجة صغرت عن أن تلحظها أجفانه، وتجري بقضائها لسانه ولكن الحاجة على قدر السائل لا على قدر الباذل، والهبة تصغر وتكبر في وزان الطالب لا في وزان الواهب، والصغير إذا احتيج إليه كبير كما أن الكبير إذا استغني عنه صغير، ولو تبارى أهل الشكر في رهان وجروا نحو الغاية في ميدان، لبرزت في الحلبة الأولى، وكنت فيما بينهم الأغر المحجل

ولو أن للشكر شخصا يبين	إذا ما تأمله الناظر
لصورته لك حتى تراه	فتعلم أني امرؤ شاكر

وصلت الجارية فقبلتها بالطاعة، ورددتها بالدالة عليه في الساعة، لأن فلانا صديقي قد ملكها وأنا أكره أن أعاشر رجلا له في داري علاقة وأن تكون عندي مضربة لها غيري لحاف، فأقبح بالحر أن ينادم من شركه في حرمته وسبقه إلى باكورته، فيجلس فحلان على لبد ويجتمع سيفان في غمد

وكتب إلى صاحب جيش خوارزم وورد عليه كتاب بخبر علة يعتذر إليه من ترك العيادة ويتوجع له من العلة

هذا كتابي أطال الله تعالى بقاء صاحب الجيش عن سلامة إلا من الاهتمام لعلته، ومن التذمم لترك عيادته ومن العتب على الأيام الجائرة الراكدة الفاترة الظالمة الجائرة، فيما دهمت به الكرم وأهله، والفضل وشمله، و الحمد لله تعالى لا على أن حمد مستزيد فيما نابه، مستهد بالشكوى لما أصابه ولكن إقامة لرسم العبودية، وسلوكا في نهج البشرية، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله خير البرية. وورد علي كتاب الشيخ صاحب الجيش بعد قوم هزني وتطلع طويل لوروده أقلقني واستفزني وبعد أن حاسبت

لتاخره عنى نفسى على ذنوبى، واستدركت عليها عيوبى، وجلت فى زوايا
جناياتى عليه، و سا آتى اليه انظر بانها استحققت ان اطوى فى ادراج
الجفوة، واجلس على قافية التغير والنبوة، ادكنت اعلم ان صاحب الجيش
اعرق فى الكلام نفسا، واصدق فى الفضل حسا من ان يعاتب وفى الصبر
فضلة، او يؤاخذ وللاحتمال جمة فلما كاد الكرب ان يستحوذ على
خاطرى، ويستوعب حساب صدرى وصبرى، طلعت على النعمى فى
اثناء البشرى، وانفرجت لى ضبابة التخمين، عن نور اليقين
ووصلت الى السعادة، تكتنفها الزيادة، وفضضت الكتاب الكريم
عن كل ما اجذل النفس وسرها، وبرد العين واقرها، حتى وصلت منه
الى خبر العلة فدارت بى الارض وهى ساكنة واظلمت على السماء وهى مسفرة
وضاقت على الدنيا وهى واسعة فقلت قبح الله تعالى الدهر فانه على ذوى
الكرم الب وعلى الفضل واهله حرب وللؤم واللئام حزب وللادب وحفظه
عدو ومعاند، وللجهل وذويه ولى معاضد ثم رجعت الى رب الله تعالى
ذكره فوجدت ساحة الصبر اوسع ومطية الدعاء اجمل فقلت اللهم ارفع عن
مهجة المكارم اذاها، وادفع للمجد عن تلك النفس المقبسة والروح الاريحية ما يبيح
حماها، وتصدق علينا وعليه بهذا الواحد لكن بقاؤه جسر بين دولة
الفضل وكرة الجهل وبرزخ بين مد الجود وجزر البخل، ثم انشدت

ماحال من كان له واحد		يمرض عنه ذلك الواحد	

وانا اتوقع كتاب صاحب الجيش بخبر العافية فان تاخرت جنيبه فى العلة وان
ورد عمرت المساجد صلاة، وملأت الفقراء والمساكين زكاة وصمت حتى تعالى
بطنى سغبا، وقت حتى تخاصمنى رجلاى تعبا، وصليت صلاة امية، و
عبدت عبادة حلوية، ولم افعل ما فعله ابن نوفل حيث قال فى ابى شبرمة

نغزوان حروام الوليد		ان الله عافى ابا شبرمة	
جزاء لمعروف عندنا		وما عتق عبدلنا اوامة	

فسأله جارله عن غزوان وام الوليد فقال سنوران فى الدار فاعتق بعتق هرتين بل هو بعتق

سنوريّن ولكن افعل ما فعل قيس بن معاذ مجنون بني عامر حيث يقول

انا جعلنا لك خلتك لمستلب ولا … والله ما اعتل الا الظرف والادب

واذا اتصل بحضرة العالية الذكر موعدك عافية الدين والادب والفضل والحسب قلت

وما اخصك في برء بتهنئة … اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

اردت ان اركض الى حضرة صاحب الجيش ركضا يتقدم الايغال ويقتل الخيل والبغال حتى اصل السير بالسرى واجمع بين العصر والاولى فاشاهد نعمة الله تعالى عليه وعلينا به في افراقه من علته واكتسائه ثوب عافيته ثم تطيرت لنفسي من ان انظر اليه ولي نعمتي به آثار الصفرة والى جسمه وبه بقايا الفترة هذا بعد ان جمعت منتشر اسبابي ووضعت رجلي في ركابي ورفعت عصا السفرة وسلمت نفسي الى القضاء والقدرة وانشدت قول الفرزدق

ونعود سيدنا وسيد غيرنا … ليت التشكي كان بالعواد

ثم اتبعته قول ابي الطيب المتنبي

حر الكواكب ان تعودك من عل … وتعودك الآساد في غاباتها

ولقد جنت الايام على الاحرار جرما عظيما وانت الى الكرام فعلا ذميما وترجم الدهر بانه لئيم لا يحب كريما جعل الله تعالى هذه العلة آخر علل الكرام وخاتمة جنايات الايام ولا ارانى الله بعدها في صاحب الجيش الا ما يضحك منه العلى ويطلق وجه الغنى ولا فجع بسلامته الدين والدنيا

وكتب الى ابي الحسن المعروف بالبديهي الشاعر زعم يعبث به

لست اعاتبك عافاك الله تعالى لان العتاب يصلح منك او يعمل فيك او لان جهلك جهل يعالج بالعذل او يداوى داؤه بالقول كلا عافاك الله تعالى جهل الناس عرض وجهلك جسم لا يزول الا بالفعل ولا يقع دواؤه الا من الكف والنعل ولكني انما اردت بهذه الرسالة ان تتوجه عليك الحجة وان تنقطع عنك العلاقة والعلة وان كانت تردمنك على عين عمياء واذن صماء وقلب لا يعرف النقصان الا في ماله ولا يحس بالالم الا في جسمه

ولا يجد النقص مساً ولا العيب وقعاً ولقد حققت هذا الكلام بك وضيعته فيك، ووجهته منك الى من نزوه عند العتب لغباوته، والشتم لحقارته، ولو قدر الكلام على عقوبة من صنعه، وتوصل الى تضييع من ضيعه، لعاقبني بان يطيل هجراني، ويكون هذا آخر عهده بلساني وبناني، فها انا المظلوم الظالم، والمخاصم المخاصم، ظلمتني بلؤمك فظلمت الكلام بلومك وخاصمتك في جهلك، فخاصمني العقل في عذلك، فيا من جمع على مصيبتين ووضعني على طريق الظلم من جانبين، ويا من بت العجائب فيه ان تردني الامن طرق شتى، وان تقع الامشي مشئ وليس محنتي فيك باعظم من محنة الحق الذي لم تزل تعبث به حتى لو تجسم نفسا لسعيت في ذمها او تمثل دارا لجهدت في هدمها كانك لم تخلق الا لتطمس عين النورية و تقلب اعيان الامور فتجعل الضوء ظلمة وتعكس البدعة سنة حتى كأن سوفسطا استخلفك على جحد ما يدرك عيانا، ويعرف يقيناً فانت وارثه في الباطل وناصر جهله على كل عاقل وحتى كأن الله انزل عليك قرآن ضلالة، وبعث اليك رسول جهالة، وقال لك خالف الاجماع وانت على السنة وعاد الصواب وانت في الجنة، واوحش الاحرار وانت اصل الحريم، و باين الناس ومنك منبع الانسانية، وانصر اللؤم وانت الكريم، وناقض الحكماء وانت الحكيم، لو علق القبيح بالثريا لصعدت اليه، ولو دفن المحال في تخوم الارض السابعة لغصت عليه، الجميل عدوك تحاربه والصدّ ضد من اضداد لا تقاربه ولا تناسبه، فانت العكس الا انه يمشي على رجلين، والجور الا انه ينطق بلسان وشفتين، والجهل الا انه مخاطب والعمى الا انه مثاب معاقب لو سئلت عن يحيى بن زكريا لذكرت انه زنى ولو ذوكرت في لقا تم ادعيت انه مضى ولو استخبرت عن ابليس ذكرت انه سجد لآدم، ولو نوظرت في عيسى نفيته عن مريم ولو انشدت شعر امرئ القيس لنسبته الى الافحام، ولو ذكر ابو جهل حكمت له بالاسلام، ولو استحسن كلام مزبد قلت انه ميت الخواطر

فاتوا النوادر، ولو سمعت خطب امير المؤمنين علي عليه السلام استعييت
بيانه، ولو مررت بايوان كسرى استقللت بنيانه، ولو رأيت بناء
ارم ذات العماد استصغرت شأنه، ولو اجرى حديث الحسين بن علي
عليهما السلام صوبت رأي قاتله، وعذرت فعل خاذله، ولو حكى قول
فرعون انا ربكم الاعلى قلت ما اخطأ ولا تعدى ولو سمى ابن عباس
نفيت عنه علم التأويل وحليته الجهل بمتن التنزيل، ولو خوطبت في
التراويح اخذت بابتداعها الشنعة، ولو عدّ الاجبار والتشبيه الزمت
دينهما المعتزلة ولو انشدت، ويأتيك بالاخبار من لم تزود، ما رضيت
نظمها، ولو اسمعت، لا يذهب العرف بين الله والناس، ما استحليت طعمها
ولو حلم الاحنف بن قيس استخففت عقله، واستعظمت جهله ولو استفتيت
في فريضة ادعيت فيها اجماع الامة، واتفاق الائمة، ولو اعيد حديث
ذي القرنين واستيلاؤه على الخافقين احتقرت سعيه، ولو تعجب الناس
من بناء الهرمين اخذت تذكر انتقاصه ووهنه، ولو استبدعوا صنعة
الخليل العروض اخذت تزعم انه ما احدث امرا، ولا افترع بكرا، ولو
استحسنوا وضع كليلة ودمنة وصفت ان امثالها غثة، وان حكمها
رثة، ولو فضل التوحيد افردت به النصارى ولو عيب الثنوية برأت من
عيوبهم ماني ولو غنيت بالحان ابن شريح ومعبد قضيت عليهما بانهما
من بابة التوبة والعبادة، ومن شريطة النسك والزهادة، ولو مدحت
العافية اسهبت في ذمها، كما لو فضلت السعادة اكثرت في شتمها، ولو
شاهدت الهند عبتهم في ضعف العزيمة كما لو دخلت بلاد الصين لمتهم
في رداءة الصنعة ولو عاينت العرب رميتهم بضيق البيان واللغة
وقلة العارضة والبديهة ولو قرأت سيرة عمر بن الخطاب رضي
الله عنه زدت فيها سن المتعة ولو عثرت بحديث يزيد بن معاوية
عددت في فضائله يوم كربلاء والحرة ولو قرئ بين يديك القرآن
عارضته بنوادر ابي العبر وبكلام يجيب الغلط ولو لحظت السماء قلت

ما اسوأ ما دحیت ولو درست، یام الفرس هجوتهم بقلة السیاسة وضعف التهک للعارة ولو خوفت بیوم القیامة ذکرت انه یوم قصیر صغیر، وان الخطب فیه یسیر حقیر، ولو نوحت فی حدیث العنقاء حلفت انها باضت وفرخت فی بیتک، ودرجت فی وکرک، وانک طالما سقیتها واطعمتها، وطالما اسرجتها والجمتها، ولو عظم امر التنین وحکی الخلاف فی ثباته بین المصدق بین والمکذ بین، اقسمت انک اصطدته من البحر بشبکتک، ورمیت به فی السحاب بقوتک، ولو عددت انساب العرب شهدت ان الشرف فی سلول وجرهم، وفی عدی وتیم، وان هاشما فی قریش اذناب کما ان دارما فی تمیم اوشاب غایتک ان تزعم ان هشام بن الحکم ناصبی وان ابا الهذیل العلاف نابتی وان ابا بکر الاصم شیعی وان واصل بن عطاء حشوی وان سلیمان الاعمش خارجی وان عبد الحمید بن یحیی امی وان رؤبة بن العجاج عجمی وان ابا بن معاویة عامی وان معاویة اول من احیا السنة وامات البدعة کما ان الحجاج اول من سن الرحمة ونسخ القسوة وان النابغة الذبیانی لم یحسن الاعتذار کما ان ابا نواس لم یصف الخمر ولا الخمار، وکما ان ابا بکر الصنوبری لم یر الانوار ولا الازهار، وان طفیلا الغنوی ما رکب کما ان اعشی قیس ما شرب وان العفاف هندی کما ان السخاء رومی وان الوفاء ترکی کما ان العقل صقلی وان التشیع شامی کما ان النصب کوفی وان التجار اقل خلق الله کذبا کما ان الملوک اصغر الناس هما وانه لیس شیء اقل تخالفا وتناقضا من روایات المحدثین ولا کلام اقل سخفا وهجرا من اشعار المناقضین وان ابلیس اصاب فی تفضیل النار علی الطین فلذلک جعل من المنظرین الی یوم الدین وان هاروت وماروت قد احسنا فی عصیان الرب ومواقعة الذنب ولذلک صارا فی السحر امامین، وللخلق معلمین وان الدین لعبة لاعب کما ان التوحید کذبة کاذب وان الوحی اساطیر الاولین وان السنة ارجاف المکلفین، وان العالم یرکب متن عمیاء، وان الموحد یخبط خبط عشواء، وانک من بینهم الذی

خص بالعلم القديم، واحبر بالنبأ العظيم، ولو انك زهير لانفت من ان تقول

واعلم ما في اليوم والامس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عمي

وكذلك لو كنت زيادة بن زيد ما قلت

اذا ما انتهى علمي تناهيت عنده ... اطال فاملى ام تناهى فاقصرا

وانك لو سمعت عليا يقول سلوني قبل ان تفقدوني لسالته حتى يقول دعوني فقد لغمتموني، وانك لو امدت بك الملائكة ما قالت سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وان اباك آدم لو احس بك ما لعب ابليس به، ولا انف من السجود له وان عمك قابيل لو رآك ما اقدم على اخيه هابيل، وان امك حواء لو رأتك لتبرت على ابيك عشقا لك ورغبة فيك، وان العجم عرب اذا كنت فيهم، كما ان العرب عجم اذا بنت عنهم، وان الرياض انما اكتسب طيب ريحها لانها تستمد من نكهتك، وان النجوم انما اعطت ضوءها من ضوء غرتك وان الخيل ما اختالت في مشيها الا لانها حملتك، وان الطير انما لحنت اصواتها لانها عشقتك، وان البحار انما ماجت وزخرت هيبة لك، وان الجن انما توحشت وخفيت لانها حسدتك، وان الشمس انما جعلت مبصرة والقمر انما جعل آية ممحوة لان الشمس تواضعت لك بالتأنيث والقمر نازعك في التذكير وان عدي بن الرقاع تحول في هيكلك ونطق على لسانك حيث قال

وعلمت حتى ما اسائل واحدا ... عن حرف واحدة لكي ازدادها

وان هذا البيت معه طفيلي وفيما بين شعره دعي وانت احق به، واملك له منه، وانك نظرت الى عيب كل ذي صناعة من وراء ستر صفيق حتى عرفت مخاريق المنجمين بكذبهم في الاحكام، وغلطهم في حوادث الايام، وعرفت اختلاف النحويين، بتخالف الكوفيين والبصريين، وانهم لو ابصروا الرمية خرج السهم سديدا ولو عرفوا الطريقة كان المقصد قريبا وان الخلاف دليل على ركوب المحال، وان ليس بعد الحق الا الضلال وعرفت ابطال الاطباء بمناقضة الرومي الهندي وتكذيب الفارسي اليوناني وان عيش البدوي فيما فيه موت الحضري وان الذي يموت

على ايديهم من المرضى ضعاف من يعيش و يبقى وعرفت تخبط اللغويين
باقتنان لغات القبائل، وتباين السن اهل المياه والمنازل فلغة عدنان
غير لغة قحطان، ولغة خندف غير لغة قيس عيلان، والعدى يقول ان
هذين لساحران، والحارثي يقولان هذان لساحران، وعرفت عناد
الفلاسفة بادعائهم قدم الطينة وانكارهم ما يعاينونه في انفسهم من الدلالة
وقلت كيف يعرف غيره من انكر نفسه وكيف يستنبط الغائب ما لا يرى الحاضر
وعرفت جهل المهندسين بجهلهم جذر العشرة وهي اس العدد، واول
منازل العقد، وقلت كيف يعرف الكثير من لم يعرف القليل وانى يحكم الفرع
من لم يحكم الاصل وكما لا يجهل الواحد من عرف العشرة فكذلك لا يجهل
العشرة من عرف المائة وعرفت حيرة المحدثين بتناقض رواياتهم، و
اختلاف كلماتهم، وان احدهم يثبت الرواية ثم ينفيها، ويجلد بالكبيرة
ثم يرخص فيها، ويحل الشيء ثم يحرمه، ويصغر الاثم ثم يعظمه، وعرفت
شك المفسرين، بان احدهم يسمع قول الله تعالى بلسان عربي مبين، و
قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ثم يقول سنبرق فارسية
وسجيل عجمية وسندس عبرانية وناشئة الليل سريانية وان هذان لساحران
حارثية ثم عطفت بعد هذا كله على نفسك فقلت انا الطبيب الذي لا
يموت من شفاه، ولا يمرض من داواه، والنحوي الذي لا تتناقض اراؤه
ولا يثبت ما نفاه، والفيلسوف الذي لا يحمل طبيعة على شريعة ولا يختص
بعلم عقل دون علم رياضة والمهندس الذي يعرف الجذر الاصم، ويهون
العقد الاشد والمنجم الذي قلبه كتابه، وعينه اسطرلابه قد سمعنا عواءك
ايها الراضي عن نفسه والغضبان على غيره والعاشق لفعله والمبغض
لافعال دهره فلا جزاك الله خيرا لا عن الحق عدوك ولا عن الباطل صديقك
اما الحق فلانك هدمت مناره وطمست آثاره، واما الباطل فلانك ابرزته
في معرض الفضيحة حتى هتكت استاره، وكشفت عواره، ونشرته حتى ظهر
مضمره، ونصبته حتى ظهر زهوه، وانما يقبل الناس من الباطل ما يشبه الحق

ویأخذون من الکذب ما یحاکی الصدق، وما الباطل الذی تبصره
العین العمیاء، وتسمعه الاذن الصماء، ویستوی فی ابرازشخصه النور و
الظلماء، فانه یبین عن نفسه، وینذر الابصار والبصائر بعینه، وینادی
بنقص من نطق به فیا من لا یقبله الباطل ولا الحق ولا یناسبه الجور ولا العدل
الی ماذا انسبک بعدهما، والی این اذهب بک عنهما، رحمک الله تعالیٰ

وهذا دعاء لو سکت کفیته	فانی سالت الله فیک وقد فعل

فلو قسم الله تعالیٰ من الرحمة جزءاً لا یتجزأ لما جبلک کما جبلک ولاخذلک
کما خذلک، وانی لا علم ان دعائی هذا اول خائب وان سهمی فیه غیر
صائب ولکنی اصانعک به واسخر منک فیه، فاقول رحمک الله تعالیٰ انا
لو سلمت لک انک انسان نفیت عن نفسی الانسانیة وصححت علینا البهیمیة
اعلیٰ منک فی النقص حکمة، واعظم منک فی الجهل طبقة، فشر من الجهل
نصرة الجهال، واسوء من الضلالة الاحتجاج للضلال لا ترضی ان تصیر
فی صناعتک ذنبا وقد کنت فیها اصلا ولا بان تکون تلمیذا وقد کنت قدیما فیها
استاذا تواضع بنا رحمک الله تعالیٰ فان التواضع خلق من اخلاق السلف وشبکة
من شباک الشرف وتصدق علینا ببشرک فان الله یجزی المتصدقین واحسن فان
الله یحب المحسنین ولا ین اخوانک فی فعالک وقولک فلو کنت فظا غلیظ القلب
لانفضوا من حولک، ولولا انی رحمک الله تعالیٰ لا اقول بالرجعة ولا اذهب
مذهب التناسخیة لظننت ان جمیع ما انطوی من العالم تحول فی هیکلک وانحصرت
محاسنهم فی شخصک، ولظننت انک یونس بن فروة الذی قیل فیه،

الی ابن فروة یونس وکانه	فی کبره ابو الحمار القائم
ما الناس عندک غیر نفسک وحدها	فالناس عندک ما خلاک بهائم

فلقد اعجبت بنفسک الخسیسة التی لا تستحق العجب واحببت منها
ما لا یساوی الحب حتی کان کسری انوشروان حامل غاشیتک، وکان
قارون وکیل نفقتک، وکان بلقیس ذات العرش العظیم دایتک وکان مریم
البتول امتک وحتی کان ریح عاد هبت من غضبک، وحتی کان العود

وجميع الملاهي وضعت لطربك، وحتى كأن المريخ ليستقي من سولك فضائلك، وعطارد يستمد من لطفك وذكائك، وحتى كأن زرقاء اليمامة لم تنطق الا بمقلتك، وكان لقمان لم ينطق بغير حكمتك وكأنك بنيت منارة الاسكندرية من آجر دارك، ووسعت ملعب سليمان عليه السلام من بقايا ملعب صحنك وكأنك علمت زياد السياسة، وافدت عبد الحميد الكتابة، ولقنت يحيى بن خالد الفصاحة، والقيت على الحسن البصري المحبة وعلى الحجاج بن يوسف الثقفي الهيبة وحتى كأنك زرعت غوطة دمشق وشققت نهار البصرة وهندست كنيسة الرها ووضعت قنطرة سنجة وحتى كأن سد يأجوج ومأجوج بيديك، والامر في خروجهم ماكول اليك، ولبس بين الامة وبين أن ينسفوا زرعهم وضرعهم، ويجوسوا برهم وبحرهم الا لفظة من الفاظك، ولحظة من الحاظك، وحتى كأن فضائل امير المؤمنين علي عليه السلام من فضائلك مسترقة، وعجائب بني اسرائيل من عجائب صنعك ملتقطة، وغرائبهم من غرائب فعلك مستنبطة وحتى كأنك جعلت صخرة موسى عليه السلام عتبة بابك، وحتى كأن الحان داود عليه السلام بعض مايسمع في محرابك، وحتى كانك جعلت من مائدة عيسى بن مريم غداءك، ومن كبش اسحق عشاءك، وحتى كأنك امرت شداد بن عاد ببناء ارم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، وحتى كأن خالد بن الوليد قاتل تحت رايتك، وقتيبة بن مسلم فتح البلاد ببركة دعوتك، وحتى كأنك وضعت التقويم لآدم بن يحيى وحللت الزيج الاول وعدلت الطبائع الاربع وحتى كأنك كشفت لبطليموس الفلك حتى نظر اليه، ومثلت لجالينوس تركيب الجسد حتى وقف عليه، وحتى كانك اورثت بني اسد العيافة، وبني مدلج القيافة، وعلمت شقا وسطيحا الكهانة، وحتى كانك علمت حاتم بن عبد الله السخاء، والسموأل بن عاديا الوفاء، وقيس بن زهير المكر والدهاء، واياس بن معاوية الفطنة والذكاء، واخذ عنك سيف بن ذي يزن اخذ الثار والادراك

بالأوتار، وحتى كأنك دعوت لبني إسرائيل حتى جعل الله فيهم أنبياء و
ملوكا وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ثم دعوت عليهم حتى ضربت عليهم
الذلة والمسكنة، باؤا بغضب من الله وحتى كأن خاتم الخلافة في خنصرك
وحساب الدنيا دخلها وخرجها في بنصرك، وحتى كأن الشمس تطلع من
جبينك والغمام ينادي من يمينك، وكأن البحر يمد إذا أمرته، ويجزر إذا زجرته
وحتى كأن كسرى أنوشروان صاحب نفقة اصطبلك، ونمرود بن كنعان
قهرمان على ولدك وأهلك، وحتى كأن تكوير محل دارك، والدرة
اليتيمة أخس سوارك، وحتى كأن رستم بن دستان يعجز عن مد قوسك
وإسفنديار بن كرستاسب ضعف عن حمل سيفك وترسك، وحتى
كأنك في ملك وملك يصغر بينهما ملك سليمان بن داود عليهما السلام
ويقصر معهما قصر غمدان، ويضيع فيهما تاج كسرى بن ساسان، و
يتضع عنهما جبرية فرعون وهامان، وحتى كأنك لا أحد أعلم منك
فاضرب به مثلا ولا أعلى منك فاجعله غاية وأمدا، ومن شبهك به فقد رد
الوصف إليك، ووفره عليك، والفرد لا يشبه بغيره، والراجح لا يوصف بمن
تقاصر عن رجحان قدره، وإذا أردت أن تعلم أني في ذمك جاد وفي
مدحك لاعب وأني في الشهادة عليك صادق وفي الشهادة لك كاذب
فانظر إلى تهافت قولي في نعتك وجلالتك، وإلى إصابتي الغرض و
حزي المفصل في كاشفتك وصدقتك، وذلك أن الصادق معان
ومأخوذ بيديه، والكاذب مخذول مغضوب عليه، وما كان الله تعالى
ليوفقني لفصل الخطاب وأنا أجامل من لا يعرف قط إجمالا ولا تجملا، و
أفاضل من لم يناسب مذ كان إفضالا ولا تفضلا، والفصول التي
قصرتها على مدائحك، ولينت فيها مس القول لك، فإنما هي عوذة
عوذت بها هذه الرسالة، وطلسم حصنت بتحصينه هذه المقالة
فعوذت أحسن الأشياء بأقبح الأشياء، وسترت بنقصان المدح كمال
الهجاء، على أني قد غالطت أسماع الناس وأبصارهم، وسحرت بهذا

اليان خواطرهم وافكارهم فهم يحسبون انى اجدت وانما الصدق اجاد ويقدرون انى احسنت واصبت وانما قصدى الحق احسن اصاب فلو شمتك بالترهات صارت قوارع ولو نلت من عرضك بنصف لسان دفم كان كلامى قلائد وخير المدح والهجاء ماكان له راو من نفسه ومصدق من ذاته

	بيت يقال اذا انشد قد صدقا		وان احسن بيت انت قائله	

يا غلة الفراق، وكتاب الطلاق يا موت الحبيب وطلعة الرقيب، يا يوم الاربعاء فى آخر صفر، ويا لقاء الكابوس فى وقت السحر، يا خراجا بلا غلة، ودواء بلا علة، يا اثقل من المكتب على الصبيان، ومن كراء الدار على السكان يا ابغض من لم ولم، ومن لا بعد نعم، يا بغلة ابى دلامة وحمار طاب، وطيلسان ابن حرب وضرطة وهب يا قدح اللبلاب فى كف المريض يا نظرة الذل الى البغيض يا كنيف السجن فى الصيف يا شرب الخمر على الخشف، يا حجة المستخرج يوم السبت، يا افطار الصائم على الخبز البحت، يا جشاء من اكل فجلية، وفساء من اكل قنبيطية، يا وكف البيت الشتوى فى كانون، وعلى الكانون يا فراش الجرب المطعون، يا ليل الغربة، ووقت العشق والافلاس والغربة، يا خجل الضرطة، وجواب الغلطة، يا كمد المقمور، يا اقذر من ذباب على جعر رطب، ويا اذل من قراد فى است كلب، يا اشأم من دم نبى يا انتن من بول خصى يا شرب الترنجبين على الريق فى تموز، يا عقب التخمة على اثر الحجامة فى غرفة بغير كوة يا طلعة ملك الموت فى عين الكافر، وقد ختم عمره بالكبائر، يا دخول الطفيلى بيت المروزى يا نظر العنين الى البكر وقد عجز عنها، واستشعر مخايل الغضب منها، يا قرع الغريم الباب ومعه جريدة الحساب يا حوض دكاكين الدباغين ومنهج حوانيت القصابين يا مغيض ماء الحمام، يا كوز حانوت الحجام، يا وجه المصانع وقفا المحروم يا شخص الظالم فى عين المظلوم، يا الأم من اللؤم، واشأم من الشؤم، واقل من المعدوم، واوخم من غم البرسم المحموم، يا غم الدين، ووجع العين، ويوم البين، يا اوحش من زوال النعمة بعد كفرها، واقبح من

ارتجاع الصدعة بعد تنكرها، يا فم من اكل السمك في الشمس ولم يغسل يده
وخمار من تقيأ ولم يغسل فمه، يا ابرد من كافورة في الثلج مدفونة في يوم
شمالي قرة، وفي وقت بكرة في جبل من جبال ارمينية، يا اثقل من جبل
رومي تحت ثلج حولي فوقه عساكر في وسطه قوافل لا بل يا اثقل من منادمة
طفيلي على الندماء، مقترح في الغداء والعشاء، محتشم الساقي قاطع على المغني
يواثب ويخف لا بل يا اثقل من الحق عليك، وابغض من الانصاف ليك يا
جواب الحجاب وعبوس البواب يا مهاجرة الصديق يا نظر الى زوج الام
على الريق، يا سوء القضاء، وجهد البلاء، ودرك الشقاء، يا شماتة الاعداء
وحسد الاقرباء، وطوارق الارض والسماء، وملازمة الغرماء، وعربدة الجلساء
وخيانة الشركاء، وغش الاصدقاء، وملاحظة الثقلاء، ومسئلة البخلاء
ومحادثة البغضاء، ومشاتمة السفهاء، ونصرة الضعفاء، وعداوة الامراء،
ومزاحمة السعداء، يا كرب الدواء، يا من لو كان اللؤم يلد كان اباه،
ولو كان يولد كان اخاه، ولو شارك شريكا ما عداه، يا بيع المتاع الكاسد
وجوار الجار الحاسد وسماع المغني البارد، يا مطبوخ الافيثمون وحب
الاسطيفون، يا ليلة المسافر في كانون الآخر على اكناف بائس، تحت
مطر وبرد قارس، يا من لو نظرت اليه السماء وهي تمطر اقلعت، ولو
طلعت الشمس بوجهه ما طلعت، يا خيبة من رأى السراب فظنه شرابا
وندامة من نظر الى الخطا فتوهمه صوابا، يا من هو دليل على ان الله تعالى
حرّ حيث اطعم مثله ورزقه، يا من هو حجة الملحد على الموحد في قوله الذي
احسن كل شيء خلقه يا من احتماله اصعب من عد الرمل ومن عدد النمل
ومن رعي شعرة سوداء بالليل والصبر عليه اشق من الصعود الى السماء
على سلم من زبد، وحبال من شهد، والنظر اليه ابشع من النظر الى ذبح
الانبياء عليهم السلام ونبش قبور الشهداء والاولياء جعلت فداءك
من اخبر الا من الشر هذا كله مصانعة لك، ورفق بك، وذلك لاني
شممتك باشياء تنقص في باب الذم عنك، وتأنف والله منك، ولقد

ظلتها بك، اذكان قد تفرق فيها من المعايب ما اجتمع فيك، ومن لي بشيئ يوازيك، وشبيه يضاهيك، ومن اين اجد للقوم منتظما، والقبح مجتمعا والجهل مجتمرا والشؤم محتفلا والنقص محتشدا في هيكل واحد وفي شخص ماثل وانما يجد الواصف ما يسمع وما يرى، ويحيل المشبه على ما كان او يكون في الورى، قد شبه الله تعالى نوره، بنور المصباح والمشكاة والزجاجة و ان كانت الثلاثة قاصرة عنه في الصفة رحمك الله تعالى دع اليونانية من الحكمة ما تنفق به سوقهم، واترك لبني العباس من التملك ما تمشي به امورهم، وابق الشمس والقمر من الحسن بمقدار ما يطلعان به، ويلوحان فيه، ويهب للريح العاصف، والرعد القاصف، من الصولة قدر ما يسمع به صوتهما، ويصح به اسمهما ونعتهما وارفق بالارض من خطواتك، وارحم الجبار من شدة سلطانك، وانظر الى النساء من وراء حجاب ومن خلف برقع والا خرجن عن عشقك من ستر الله، وقطعن ايديهن وقلن حاش لله، فلا تعرض ما ءا لله لسخط الله، ولا تفرق بينهن وبين عباد الله، ولا تحمل الحوائج على خشونة الطلاق، ولا تذق المماليك مرارة الاعتاق ولا تزد في شغل الكرام الكاتبين، ولا تسود صحف العالمين، ولا تشمت ابليس بنا، ولا تعطه مراده فينا، ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا لي رحمك الله حوايج فان قضيتها كنت قد تسلفت شكري ورضاي، وان رددتني عنها فقد رأيت انموذج سخطي وشكواي، قد اتفق الناس على ضياع النسخة الاولى من كتاب اوين فاملها علينا، واجمعوا على ذهاب قراءة ابي بن كعب وعبد الله بن مسعود، فاخرجهما الينا، وتخالف الناس في المهدي وشكوا في السفياني وفي الاصفر القحطاني فعرفنا متى يخرجون فاني اعلم انهم الىك يختلفون، وفي امرك ونهيك مترددون، وبمشورتك يغيبون ويحضرون، والكيمياء فقد علمت انه انفقت فيه الاموال وتعب له الرجال ثم لم يحصل لهم منه الاماني مسوفة، ومواعيد مزخرفة، فما عليك لو علمتناه واغنيت

الفقراء، وزدت الاغنياء، وارحت الناس من الضرب في البلاد وص الكد
والاجتهاد، ومن ان يخدم الفقير غنيا، و يتخذ بعضهم بعضا سخريا، و
الزيج الاكبر فقد انقطع و انقرض اهله وهو من مفاخر الروم علينا، ومن
محاسنهم دوننا، فاعمل في اصلاحه ولا تدع النصارى يفضلون المسلمين في ابداعه
ومسجد دمشق فهو حسنة يباهي بها اهل المغرب اهل المشرق فابر لنا مثله ولا تثبت
علينا فضله فانما هي ساعة من هندستك، وجزء تستعمله من اجزاء حكمتك
وقد زدت عليه، و بنيت ضعفيه، وآل ابي طالب قد علمت انهم مسلوبون
حقهم، ومغصوبون ارثهم، فتقدم الى غلامات الدهر بان يرفع رايتهم
ويرد اليهم ولايتهم، والفلك قد زعموا انه خرف فاردد شبابه، واعد
عليه من الشبيبة ثيابه، وقد سمعت قول ابن عباد من نكد الدنيا
منفعة الاهليلج، ومضرة اللوزينج، وتجعل في اللوزينج منفعة الاهليلج
فاذا بك قد جعلت الناقص كاملا، واضفت الى العاجل آجلا، وليس
يخفى عليك تطاول العراق بعبد الله بن هلال الهجري صديق ابليس
فارنا رحمك الله تعالى من عجائب صنعتك، ولطائف فكرتك ما يكسد
به سحرهم، و يهدم به فخرهم، فان ابليس تلميذ لك تعلم منك، واخذ
عنك، وشتان بين من يدعي ان ابليس من اخوانه، وبين من يعتقد
انه من غلمانه، وهل استنظر ابليس الى الوقت المعلوم الا ليدرك
زمانك، و يرى برهانك، وهل جسد دم الاملاك، وهل ادا الافلاك
ولعلك تنكر قولي خرف الفلك ولولا خرفه ما كان القمر سماويا وانت ارضي ولا كانت
الملائكة روحانية وانت بشري ولا كانت السماء تظلك والارض تقلك و
انت اكبر منها قدرا، واكرم منها نجرا ولا كانت الدنيا تضم عليك
وانت الدنيا ولا كنت عند الناس بعض الورى وانت الورى ولا كنا
نسميك ونكنيك ذهابا بك وبقدرك عن الاسامي والكنى اني وقدرك فلا
نبي اعلى منه، ولا احسن منه، ما سمعت قول علي بن جبلة في ابي دلف

	بين باديه ومحتضره		انما الدنيا ابو دلف	

فاذا

فاذا ولى ابو دلف   ولت الدنيا على اثره

الاغضبت عنك عليه اعتقك الى اسر وصنعتك واعارالى دلف مدحتك ولا سمعت قوله

انما الدنيا حميد   واياديه الجسام   فاذا ولى حميد   فعلى الدنيا السلام

الاتمنيت لو عرفت قبره فوجئته او عرفت بيته فهدمته، ولا سمعت قول ليلى

فتى كان احيى من فتاة حيية   واشجع من ليث بخفان خادر

الاقلت فكيف لو رأت ليلى اخانا؛ فتعلم اين دعواها من دعوانا؛
ولا انشدت قول ابن ابى السعلا فى الرشيد

اغيثا تحمل الناقة ام تحمل هرونا   ام الشمس ام البدر ام الدنيا ام الدنيا

الارحمتك مما قطع عليك طريق استحقاقك؛ ومدح غيرك
بمحاسن اخلاقك؛ واما قول الطائى

تسور اقوام وليسوا بسادة   بل السيد المقدام سلم بن نوفل

فلا شك ان الشيطان تكلم به على لسانه حتى ابرز وصفك فى غير
اوانه؛ ولو رآك علم ان سلم بن نوفل لا يسود وانت حى واما قول زهير

لو كنت من شيئ سوى بشر   كنت المنور ليلة القدر

فانى والله اعجب منه كيف قاله فى غيرك ولم ترمه جهنم بشرارها؛ ولم
ترجمه الملائكة باحجارها؛ واعجب منه قول من قال فى معن بن زائدة

سبقت معد وجه معن سابقا   لما جرى وجرى ذووا الاحساب

كيف يسبق غيرك فى حلبة انت فى عدادها؛ وكيف يكون غيرك سابق
جيادها؛ انت رحمك الله تعالى من ايدى هؤلاء الشعراء الكذابين
مرحوم؛ وفيما بينهم مظلوم؛ سلبوك علاك وهى حلاك؛ ونحلوها
قوما سواك؛ والمدح الكاذب ذم؛ والبناء على غير اساس هدم؛ والكلام
يرجع الى مظنته؛ والمدح ينصب الى قرارته؛ كما قال ابو الطيب المتنبى

واذا الفتى طرح الكلام معرضا   فى مجلس اخذ الكلام اللذ عنى

وكفاك بفضلك مادحا لك؛ وحسبك بانفرادك مقارعا دونك، هذه
رحمك الله هدية اهديتها اليك؛ بل هى من العرائس جلوتها عليك؛ ومامهرها

الا قعدك، ولا ثمنها الا بعدك، فاذا وصبتها فقد وفيت المهر، وارضيت العروس والصهر، فسبحان من ارانيك ولك صهر مثلي، وانت ختن لي وعهدي بالناس يخطبون الكرائم بالكرم، ويطلبونها بحسن الاخلاق والشيم، وانت خطبت هذه الكريمة بلؤم نجرك، وصغر قدرك، وعهدي بهم يحملون المهور في اموالهم وانت جعلت مهر هذه من عرضك الخلق اللبيس الممزق، واعجب ما فيها انك اذا طلقتها لم تطلقك، واذا طلقتها من حبالك لم تطلقك، فخذها مباركا لك فيها، فبئست العروس وزوجها شر منها

وكتب في نكبة نيسابور والى حسام الدولة الى بكر بن عبدوس بعض عدول نيسابور

وصلت الرسالة التي كل الرسائل بدونها في الكتبة، كما ان كل كاتب دون كاتبها في الرتبة، ووافقت مني قلبا معمورا بل مغمورا بالهم، وجسما معضلا بل مكدودا بالسقم، فشفت القلب حتى نسي همه، والجسم حتى طلق سقمه، واذا صدرت الموعظة من قلب سليم، ولسان حكيم، وردت على اذن واعية، وعين كالئة، واذا عرف الطبيب الداء، ولئن كانت الايام سلبتني من المال علقا خطيرا، لقد بقيت لي منك عوضا كبيرا، ولئن كانت صادرتني على ثوب يبلى، ودرهم يسلى، لقد وهبت لي من مودتك ما لا يبلى اذا استعمل، ولا يصدأ اذا اهمل، ولا يفنى اذا بذل، ولا يخلق اذا ابتذل على اني قد تعودت ضربات الزمان حتى صارت لا توجعني، والفت صواعقه ورواعده حتى صارت وان قربت مني لا تسمعني ونكبت حتى ما ابكي لنكبة، وفرحت حتى ما اضحك لفرحة، ولقد

رماني الدهر بالارزاء حتى	فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتني سهام	تكسرت النصال على النصال

فها انا الجريح المقطع، والفؤاد المرقع، والغرض الذي رمي حتى دمي وضرب حتى نقب واصابته السهام حتى لا يتوجع لها، ولا يحس بها، ولما ارادت الايام ان تحركني فوجدت بحمد الله صنجة راجحة ونفسا متماسكة

وقلبا لا تقلبه السراء ولا الضراء، ولا يغيره الدواء ولا الداء، ولقد قبلت الايام على ما استقبلتها فرحا ومرحا، وادبرت عني فما شيعتها جزعا ولا هلعا، ولبست لكل حال لبوسا، اما نعيما واما بوسا، ومما احمد الله تعالى عليه ان هذه الواقعة لم تثلم قدري، وان كانت ثلمت وفري، ولا حلت عقد صبري وعزائي، وان كانت حلت عقد ملكي وثرائي، وان اصبحت يوم اجتماع جيشها علي وبحوف عساكرها الي والوجه طلق، واللسان ذرب ذلق، واللون مضيء مشرق، والقلب متماسك متمالك، ومدد الصبر متقاطر متدارك، لم الاحظ الفائت بعين تدمع، ولم اقابل النازل بنفس تهلع، ولا عثر لساني ولا قلبي في ميدان كلام، ولا قصر همي ولا همتي عن غرض في مرام، ذكرت ابدك الله سلفي رحمهم الله تعالى وانك بقيتي منهم، ومذكري بهم وسلي قلبي عنهم، وصديق الوالد والد وان لم يلد، وترب الولد ولد وان لم يولد، ومن صادق اخا ولم يصادق اباه فانما اخذه ابتر الذنب مجهول الاصل والنسب، ومن صادقه قبله سلفه فقد ضم على الحبل يديه من كلا طرفيه، وعرف صديقه من جانبيه، رحم الله تعالى اولئك القوم الذين

ورثت سيوفهم وبقيت فردا		وما نفع السيوف بلا رجال	

فلقد فجعت منهم بخير سلف، وريثهم خير خلف، اطال الله تعالى بقاءك على حالة ارضاها لك وارضاك فيها، ولا استزيدك عليها، وهذا الدعاء محال فاني لو رايتك امتطيت السماكين وانتعلت الفرقدين، وملكت الخافقين، واستعبدت الثقلين، وتناولت الشمس والقمر بيدين، ووطئت الفلك برجلين، ما بلغت ما اريد، وكنت استزيد واستعيد

وكتب الى ابي الحسن بن عبد العزيز قاضي جرجان وقد خرج منها

فان الك قد ودعت نجدا واهله		فما عهد نجد عندنا بذميم	

جميع ما حصل لي بهذه الحضرة من تنزيل وانزال، ومن اقبال على واقبال، ومن قول جميل وفعال، فانما فعل بي، واتفق لي لاحسان الوزير كان

الي، وتوفره كان علي وبدله لي الرغائب التي لا تسمح بها الا نفس مثله ولا تزل الا عن مثل يده وهو الذي قومني قيمة صارت لي بين الملوك قيمة عدل، وفصل لي بسهاده اصبحت في العباد والبلاد قضاء فصل ونظر الي اهل هذه الحضرة بعينه ووزنوني بمثل وزنه ووضعوني في الكفة التي وضعني فيها، واهلوني للمرتبة التي هلني لها، وعلموا انه الحاكم الذي لا ننقض حكومته والشاهد الذي لا يجرح شهادته والرجل الذي لا اختيار مع قوله ولا نظر مع امره ولا خلاف عليه ولا رجوع الا اليه وانه لا يشتري من المتاع الا ما يخرج من نار الاختبار صريحا صحيحا ولا يرضى من القداح الا ما يخرج من كف المجيل معلى لا منيحا فضربوا علي سيكه وسلكوا في طريقه ونسجوا علي منواله، وحذوا علي مثاله، فوصل الي نواله وان كان لم يصل الي ماله، وحصل لي بره، وان لم يخرج به امره، وشيعتني بركات حضرته بعيدا عنها كما كانت تستقبلني وتكتنفني قريبا منها فكل جميل اطرفته فمنسوب اليه وكل خير رزقته فمن آثار لسانه ويديه

ان تبوأت غير دنياي دارا	واتاني نيل فانت المنيل

وانما الملوك شعراء يتناقضون فعلا لا قولا، وفرسان يتسابقون بانفسهم خيلا، فالحمد لله الذي جعلني فارق تلك الحضرة فلا تفارقني عوائد فضلها ولا ينحسر عني نصيبي من ظلها، واياه اسأل ان يطيل بقاء الوزير علي حالة ارضاها له فوالله ما ارضى له الارض خطة، ولا السماء ظلة، ولا الدنيا خزانة ولا الشمس طلعة ولا الدهر خادما ولا الفلك حاجبا ولا السعد سوطا ولا السيف قلما وان يحرس على الدين جماله ويبلغه في الدارين آماله

وكتب الي بعض اصدقائه

كتابي وقد كنت احيانا ينظر سيدي الي قد لبست جمال هذه الدولة وتشربت حالي ماء هذه الحضرة ورفعت طرفا طالما غضضته وبسطت باعا طالما قبضته فيعلم سيدي ان غراسه قد اثمر ومراده قد تيسر، وان علاجه حالي قد هزم الداء وجلب الشفاء، بعد ما اعيا الاطباء وغلب الدواء، فان فرح الطبيب بعافية

المريض اشد من فرح كل اخ قريب وكل حميم وحبيب الآن حين انقطعت عن الملوك وابوابهم فقد كان لي صدر في ورود النهر قبل ورود البحر وفي الاجتزاء بالتيمم قبل وجود الماء الطهور وعهد سيدي بي وانا ارتاد غير ارضي وارتع في غير روضي واطلب الرزق خارجا من داري فالآن قد نزعنا تلك الثياب واغلقنا ذلك الباب ونسخنا ذلك الكتاب

وكنت زبيريا فاصبحت شيعة ‌ ‌ ‌ لمروان وارتد الهوى لابن بجدل

هذا وقد انثال علي من الخير بهذه الحضرة ما ترك بيانی حسيرا ولسانی قصيرا والنعمة اذا زادت على الوظيفة مسكنة والسرور اذا افرط مقطعة ومسكتة والناطق اذا تحير ابكم والشاعر اذا خرج عن مقدار استحقاقه مفحم فلا زال السيد يبتدع برا ويقصد بقوله وفعله خيرا ويكفيهم شرا ونصره الله تعالى على دهره فانه لئيم ظفره قبيح في الاحرار اثره

وكتب بعد محنته ورجوعه الى خراسان الى كاتب خوارزمشاه قد نكب

كتابي وانا بين محنة قد ادبرت ونعمة قد اقبلت وولي قد طلك وعدو قد هلك والحمد لله الذي ابتلى ثم ابلى فانعم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الاكرمين ورد كتابك ولست اقول غمني واهمني بل اقول اعماني واصمني تذكر انك امتحنت وانت بريء ونكبت وانت محسن لا مسيء واي ذنب اعظم من ان تشكر بالفضل اهل النقص واي جرم اشنع من ان تنزل بالفهم فيما بين طبقات اهل الجهل وما للطائر الكبير والقفص الصغير وما بال الدرة اليتيمة تضيع بالصدقة اللئيمة وانما الادب جناح فهلا طرت به من الوكر الصغير الى الوكر الكبير وهلا اذ كملت آلتك انتجعت بها مكانا تكمل فيه حالتك وما نزلت بك هذه النازلة الا ليقلعك بها السعد من يد النحس من تلك الطبقة الناقصة اهلا المنبتة جهلا فابشر ولا تتهم الله تعالى في مصالح خلقه ولا تقنط من رزقه فانه انما يرتاب المبطلون ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واياك ان تفل هذه الحادثة غربك او تكسر حدك

وتضرع خدك، او تثلم ركنك، او تسيء بالله تعالى ظنك فانما كانت صاعقة احرقت ثوبك، ومست بعضك، وسلم الله وله الحمد منها روحك، وصان فيها لسانك وقلبك، وورائك الدهر الطويل، وخلقك صنع الله الجميل، ووعده بجميل صنعه كفيل، وقد خرجت الى الدهر من نوبة العسرى فهو عز يملك الآن فى اليسرى، واذا رأى جلادتك على وقع سهامه، وصلابتك على تصريف ايامه، جاءك معتذرا، وهرب اليك مستترا واسا باليمنى ماجرح باليسرى، ووزن عليك بالسنجة الكبرى، ما اتزن منك بالسنجة الصغرى، فانتظر الفرج فانه منتظر، واصبر فان الدهر لا يصبر

وكتب الى ابى محمد عبد الرحمن بن احمد من نيسابور

كتبت الى الشيخ من داره التى طالما تصرفت بها على امره ونهيه، وتقلبت فيها بين افضاله وفضله، وحالى ببركته تعلقنى بذيل الدولة السامية، وانتمى الى الحضرة العالية عن يمينى السلامة وعن يسارى العافية، ولا تزال كتبى تورد على الشيخ بكلام ان لم تكن فى ادنى طبقات الجودة، كانت فى اول طبقات الرداءة، وانما يروى لناس حد الكلامين ويتمسكون فى الرواية باحد الطرفين فاما حسن جيد معجب واما ردى معجب ولقد ولانى الشيخ من الصنع العميم ومن الاحسان الحادث والقديم، ما تركنى اهذى بمدحه، واحلم بوجهه واتصبح باسمه واتغادى بذكره، واحتلب ضرع الشعر بذكر بره، ولن استعين على شكر تلك النعمة، ولا امسك بيدى طرف تلك الخدمة، بمثل الاعتراف بالتقصير عن الواجب، والقصور عن اداء المواجب وانما النعم مطية شرق ولن ترتبط بمثل الشكر، ولن تنفر بمثل الكفر، وانما الشيخ ابو بر واهل الادب بناؤه، وسمسار كبير وطبقات اهل العلم والفضل حرفاؤه فمن احسن الى احدهم فانما احسن اليه، وافضل عليه، واستحق المكافات من لسانه ويديه وليشكر عنا اهل الصنعة اذا احسن بنا، وليعلم انه قد حصل له ما حصل لنا وقد احسن الى فلان فى كذا والشيخ هو الذى مهد لى عنده موضعى

رسهل

وسهل لي مسلكي، ووطأ لي في تلك الحضرة لسانا، واقام لي بها ميزانا، لازال الشيخ راكبا كاهل الدهر، محكما في الخير والشر، تخدمه الانام بل الايام، وترجوه الكرام كما تخافه اللئام، وتعشقه السلامة والسلام

وكتب الى ابي منصور كثير بن احمد

كتبت الى الشيخ من داره التي ما ينغصها علي الا بعدي عنها، وخلوها منه وقد كثرت كتبي اليه كثرة نعمه علي، وتواترت تواتر اياديه الي، وعهدي بتفضل الشيخ يسلك طريق الابتداء، والطريق محرم فكيف صار الآن لا يسلك طريق المكافاة والطريق معبد، قد يسمع الشيخ اخباري بالحضرة واني اكتلت بالصاع الاوفى واتزنت بالسنجة الكبرى ضعف ما كنت وزنت بالسنجة الصغرى واسترجعت باليمنى ما كنت اعطيت باليسرى وفلان قد وصلت الى بركات اتصالي به وانا في غير حضرته واخذت ماله وان لم يخرج من خزانته واستغفر الله من حظي الدنيا كلها حضرته والناس باجمعهم رعيته، والملوك باسرهم شيعته والاحرار عبيده وحاشيته فاما اعداؤه فمرحومون من الم الحسد ومقتولون بسيف الغم والكمد، سكوته افصح من كلامهم، ومنعه اندى من نوالهم، وحجابه احلى من لقائهم، وعبوسه احسن من ابتسامهم وغضبه انفع من رضاهم، ويسراه اسد من يمناهم، وبخله افضل من عطاياهم

وكتب الى ابي القاسم المزني وقد صالح اخاه

كتابي وانما الشيخ باز عتيق كان طار عن اهله، وفرع عميم كان انقطع من اصله، فردته ايام السعادة الى بيته، وضمت اتفاقات الاقبال بعضه الى بعضه ونعم المعلم الدولة ونعم الدليل السعد والسعادة وانا اعرف الشيخ معرفة يقين وغيري يعرفه معرفة ظن، وانظر اليه بعينين وسواي ينظر اليه بعين والرجال كثير ولكنهم قليل، والدهر باشخاصهم جواد، وبحقائقهم بخيل، وقد كنت احسبني اذا هربت من نعمته علي وانهزمت من عساكر احسانه الي خففت رقبتي من طوق صنائعه، وخلت يدي من بعض ودائعه. وتنفست الى الفراغ مدة واسترحت

من تواتر الاعباء، وتناسق النعماء، ولو ساعة واحدة، فاذا نعمت لي بمرصده حيث كنت، وعلى مد رحتي اينما قطنت اوظعنت، اهرب منها وتتبعني وارحل عنها و تشيعني فنها الطلب ومني الهرب فلا عدمتها طالبا، ولا زلت منها هاربا ولا زال الشيخ يستقل باحسانه كل نازل ويشيع به كل راحل واطال الله بقاءه على حالة ترضيني له وفيه فوالله ما ارضى له الا بالرضى ولا انزل فيه الا وراء الغاية القصوى ولا استعظم له ملك الدنيا ولا ملك الورى ولا تزال كتب الشيخ تزد بما يحيي ميت مالي بل ميت آمالي وتطري خلق حالي وترد الماء فيما نضب من جمالي ولسان العناية ناطق ووسم الاحسان على الاحوال لائح وطريق الجميل نهج واضح، والشيخ صنائعه في الناس رجوان لا اكونها اعياهم لسانا ولا اقصرهم بالشكر بيانا، ولا اسواهم لنعمته جوارا ولا اقلهم باعبائها نهوضا ومن كبر الاحسان كبر شكره، ومن شرف الكلام شرف من رواه ونشره، وانما السيد بطاعة عشيرته، والامير بصلاح رعيته، والممدوح بالسنة شيعته

وكتب رحمه الله تعالى

طالت محنة فلان حتى كأن جسم الابد الذي ليس لها مد وكأن عطبه يوم القيامة الذي ليس له غد واني اكره السيد ان يكون زحل خطوة العفو وجاذي حركة الصفح لا يحل عقده، ولا تتجافى عن فريسته يده، فان ذلك يقوي عزم عدوه على مقارعته، ويثلم رجاء وليه لمراجعته، ولعمري ان الاسير لكبير واكبر من الاسير من اسره ثم اعتقه واشجع من الاسد من قيده ثم اطلقه

وكتب ايضا

تركي مكاتبة الشيخ وهو معترضة لي غم وحسرة واقدامي عليها قبل استطلاع رأيه فيها خوف وخجل ولما التنفني الحالان سلكت طريقة بينهما، متوسطة لهما، فاقتصرت من الكتاب على الرقعة ومن التفصيل على الجملة فان اكن قد احسنت فالقليل من الاحسان يقبل وان اكن اسأت فالقليل من الاساءة امثل موصل الرقعة فلان وهو تام في آلته، ناقص في حالته، جديد ثوب الجمال خلق ثوب الحال، حال من الادب عاطل من النشب وسبيله ان يوزن في كفة كماله، لا في كفة حاله

وكتب ايضاً

تأخر كتابك يا سيدي فطرق لسوء الظن طريقاً الى وفائك، وفتح للتهمة باباً الى اخائك، واني لاكره الوديعة الطلاقي وتجربة التنائي، وابغض الصد بين مقالية البغض والحب في بين البعد والقرب، وانا الذي صاب عهدك بعينه، وافسدك بحسن ظنه، ويا عجباً للدهر كيف فطن لمكانك من قلبي، وكيف طلع على غيبي، وما زال الدهر يقرطس سهمه في كل شيء احببته ويعارضني في طريق كل مراد طلبته، حتى لو احببت الموت لابقاني، ولو اردت الحرمان لاعطاني، ولو آثرت الفقر لاغناني، ولو عاديت الباطل لوالاه وعاداني، ولقد

عجبت للدهر في تصرفه	وكل افعال دهرنا عجب
يباين الدهر كل ذي ادب	كانما نال امه الادب

وكتب الى ابي القاسم المحسن بن علي

انقطع كتابي عن الشيخ لتصاريف الاحوال لديه، وتكون الاسفار والاطوار عليه، لانه كان مشغولاً بكتائب الاعداء عن كتب الاولياء، وبمقارعة الامراء عن مطالعة الادباء، والسيف اصدق انباء من الكتب، فلا جرم انه قد اسفرت آماله عن المساعي الغر وعن الآثار الزهر وعن الفتح والنصر، فافترع مملكة طالما خطبت فانكحت وطلبت فما وجدت بكراً فافترعتها كف حادثة، ولا ترقت اليها صحة النوب وبرزة الوجه قد اعيت ابا ضبها كسرى وصدت صدوداً عن ابي كرب وعلى قدر الهمة تكون مقادير الآثار، و في دون القيمة يكون افتراع الابكار وشتان بين من افتض عذارى الجواري وبين من افتض عذارى النواحي، لا بل شتان بين من صار مملوكه تحت اللحاف وبين من صارت مملكته تحت الرماح والاسياف، لا بل شتان بين من افعاله ثيبة وطريقه مسلوكة قد سبق اليها، وشورك فيها، وبين من

ترفع عن عون المكارم قدره	فما يفعل الفعلات الا عذاريا

والشيخ ادام الله عزه على قضية فعله وشريطة فضله ذو الكفاية للسبق في الحلبتين، والتحلي بالحليتين، فهو فارس القلم واللسان ثم رب السيف والسنان

قد كان يوم نداك بجودك باهراً	حتى اضفت اليه يوم ضراب

وبديهة انت بتدأت طريقها ‏ ‏ ‏ ‏ لولاك لم تكتب على الكتاب

والحمد لله تعالى الذي لحق زماننا بالازمان وان فضل الزمان راجع الى فضل اهل الزمان وعلى مقادير الايام تكون محاسن الانام وان ذكر اهل العراق في رجالهم الفضل بن [illegible] ذا الرياستين وعلى بن سعيد ذا القلمين واسحق بن كنداج ذا السيفين [illegible] ذا الوزارتين وقبلهم طاهر بن الحسين ذا اليمنين ذكرنا ذا الكفايتين وزدنا عليهم للواحد اثنين لان اولئك انما صحبوا باسيافهم والدنيا شابة والخلافة مقبلة والايام مساعدة والسعود قائمة والنحوس نائمة ونحن دفعنا الى زمان هرمت فيه الدولة وفترة الدعوة وكسدت السلعة وبطلت الصنعة وضاقت المملكة وكل القلم وقل الدينار والدرهم، وانشدنا

اتى الزمان بنوه في شبيبته ‏ ‏ ‏ ‏ فسرهم واتيناه على الهرم

وانما الناس بالاحسان، والاحسان بالسلطان، والسلطان بالزمان والزمان بالامكان والامكان على قدر الكيان،

وانت عند الله اكبر همة ‏ ‏ ‏ ‏ واكرم من فضل ويحيى وخالد
اولئك جادوا والزمان مساعد ‏ ‏ ‏ ‏ وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

هنأه الله تعالى ما اولاه، وبارك له فيما اعطاه، واراه في ولاه واخراه، وفيمن والاه وعاداه، ما يريد ويهواه، وآتاه مما يسمعه ويراه ما يقترحه ويتمناه، واراني فيه ما يرضاه وارضاه حتى يرى الدهر وهو عبده ومولاه والسيف يتبع مراده وهواه والاقبال وهو يسلك طريق خطاه والموت وهو سلاحه وبلاه يفني من افناه ويبقي من ابقاه، ويرى في الامال والاجال ما يراه، واطال بقاه، وجعلني فداه والسلام

الحمد لله رب العالمين وقد تمّ طبع هذه الرسائل التي لم يبلغ شأوها في الفصاحة سحبان وائل بل هو عندها ادخل من باقل باهتمام المكرم المحترم الميرزا محمد الملقب بملك الكتاب الذي هو في تدبيره محي الفنون والعلوم وكاشف بين السفاف والصواب بخط اقل الخليقة بل لا شيء في الحقيقة الميرزا محمد حسن ابن علي الكازروني عفى الله عنه وعن والديه وعن والديه وكان ذلك في غرة الشهر شعبان لسنة [illegible]

هذا فهرست رسائل ابی بکر الخوارزمی